القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
www.alquds.co.uk
الأسبوعي
Weekly
السنة الثانية والثلاثون العدد 10045 الأحد 4 تشرين الأول (اكتوبر) 2020 – 16 صفر 1442 هـ
Volume 32 - Issue 10045 Sunday 4 October 2020

36

قصر البارون التونسي: تراث موسيقي ومعماري

38

دوري أبطال أوروبا: رونالدو ضد ميسي

46

نائلة عزام لبس وعرائس الجليل البيضاء

العراق: سياسة النعامة وتغوّل الميليشيات 05

سعيد يقطين: شيوخ بلا مريدين 23

خفايا حرب الموانئ بين العراق والكويت 28

الحوار الفلسطيني ـ الفلسطيني: جولة أخرى أم صحوة عميقة؟

تكررت في الماضي حوارات القيادات الفلسطينية المختلفة لتجاوز الخلافات والتوصل إلى وحدة وطنية وإجماع يتكفل بتحصين الصمود الفلسطيني في وجه الاحتلال ويعيد وضع الحقوق الفلسطينية في قلب المعادلة. وإذا كانت مختلف الفصائل قد شاركت في الحوارات، فإن الدور المركزي فيها ظلّ منعقداً للسلطة الوطنية وحركة «فتح» من جهة أولى وحكومة غزّة وحركة «حماس» من جهة ثانية. وبعد جولات سابقة شهدتها القاهرة والدوحة ومكة وصنعاء، احتضنت القنصلية الفلسطينية في اسطنبول جولة جديدة عُقدت على خلفية اتفاقيات التطبيع بين عدد من الأنظمة العربية ودولة الاحتلال، الأمر الذي قرع ناقوس الخطر ووضع على عاتق المتحاورين مسؤولية متجددة في التوصل إلى نتائج ملموسة تلاقي حال التدهور العربية الراهنة.

(حدث الأسبوع 8ـ15)

■ الأردن 500 فلس ■ الامارات 5 دراهم ■ البحرين 300 فلس ■ تونس 1.50 مليم ■ الجزائر 90 دينارا ■ السعودية 3 ريالات ■ السودان10 دنانير ■ سورية 12ليرة ■ عُمان200 بيزة ■ العراق 500فلس ■ قطر 4.5 ريالات ■ الكويت 150 فلسا ■ لبنان 1500 ليرة ■ ليبيا 500 درهم ■ مصر 1 جنيه ■ المغرب 6 دراهم ■ اليمن 50 ريالا
Price List
Australia 1.50 A.Dr • Austria € 2 • Belgium € 2.50 • Cyprus € 1.71 • Denmark 12DKK • France € 2.50 • Germany € 2.50 • Greece € 2 • Italy € 2 • Netherlands € 2.50 • Spain € 2.20 • Sweden SK 17 • Malta € 1.89 • Switzerland 3.50 SF • Turkey 1.60 YTL • UK £1 • USA $ 3.00 (New York $2.50) • Can $2.50

تقارير اخبارية

الخبراء يطالبون البيت الأبيض بوضع خطة لنقل السلطات

نظريات المؤامرة والشائعات تندلع في واشنطن بعد إصابة ترامب بفيروس كورونا

ترامب في طريقه إلى المستشفى

وضع الرئيس الأمريكي نفسه في موقف حرج حين تكون المصداقية ضرورية خلال أزمة وطنية، والآن لا أحد يثق بما يصدر عن البيت الأبيض.

واشنطن ـ «القدس العربي»: رائد صالحة

عادت مشكلة مصداقية إدارة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب لتجد نفسها في وسط أزمة متنامية، بعد نقل ترامب إلى المستشفى بسبب إصابته بفيروس كورونا.

واندلعت نظريات المؤامرة والشائعات في الولايات المتحدة والعالم أجمع، بعد أن اتضح أن حالة ترامب أكثر خطورة مما تم الاعتراف به في البداية، إذ غادر الرئيس الأمريكي إلى مركز والتر ريد الطبي العسكري بعد صدور تعليمات تقلل من خطورة إصابته.

ولم تنجح محاولات البيت الأبيض لتثبيت سفينة الإدارة، ووفقا لما قاله العديد من المحللين الأمريكيين، فإن الجزء الأكبر من اللوم يقع على المحاولات السابقة الواضحة لترامب وإدارته للتقليل من أهمية التحديات الصحية، وسجل الإدارة الطويل في التصريحات المضللة حول العديد من الموضوعات.

وأفادت صحيفة «واشنطن بوست» على سبيل المثال أن ترامب قدم أكثر من 20 ألف ادعاء كاذب أو مضلل خلال فترة توليه البيت الأبيض، على الرغم من أن المصداقية هي أثمن سلعة للرئيس، على حد تعبير آلان ليشمان، أستاذ التاريخ في الجامعة الأمريكية.

وقد وضع الرئيس الأمريكي نفسه في وضع حرج، في وقت تكون فيه المصداقية ضرورية في أزمة وطنية، والآن، لا أحد يثق بما يصدر من البيت الأبيض.

وقد بدأت سلسلة الأحداث، التي بلغت ذروتها بذهاب ترامب إلى المستشفى، بعد صدور تقارير تكشف عن إصابة مساعدته هوب هيكس، التي كانت من بين الفريق الذي سافر معه على متن الطائرة الرئاسية لحضور المناظرة الانتخابية الأولى في كليفلاند، وإلى تجمع حاشد في ولاية مينيسوتا.

ولا تزال التفاصيل حول من كان يعرف عن حالة هيكس ويوم إصابتها غائمة، ولكن مشكلة عدم الشفافية كانت واضحة أكثر عندما زعم كبير موظفي البيت الأبيض مارك ميدوز أن «ترامب ليس في حالة معنوية جيدة جداً، ولكنه نشيط للغاية» وبعد 5 ساعات، أصدر طبيب ترامب، شون كونلي، بياناً وصف فيه ترامب بأنه «مرهق».

وقوبلت جميع روايات البيت الأبيض بشأن صحة ترامب بتشكيك، لا سيما من قبل أولئك الذي لديهم ولاءات غير جمهورية، وقال زيك إيمانويل، عالم أخلاقيات البيولوجيا البارز، والذي خدم في إدارة الرئيس السابق باراك أوباما، «أنت لا تعطي المريض، وخاصة إذا كان رئيساً للولايات المتحدة، ولديه أعراض خفيفة، أدوية لم تتم الموافقة عليها من قبل إدارة الغذاء والدواء» مشيراً إلى تأكيد البيت الأبيض بأن ترامب تناول «مزيجاً من الأجسام المضادة» من بين أدوية أخرى.

ولاحظ إيمانويل بأن جميع روايات البيت الأبيض غير صريحة، مشيراً إلى أنه لم يتم شرح سبب زيارة ترامب إلى مركز ريد الطبي العسكري في تشرين الثاني/نوفمبر الماضي، وقال إن السكرتيرة الصحافية للبيت الأبيض صرحت في ذلك الوقت أن الرئيس كان يستفيد من عطلته الأسبوعية من أجل القيام بفحص بدني سنوي روتيني.

والأمر المثير للانتباه حقاً، هو ما كشفته صحيفة «نيويورك تايمز» في الصيف الماضي بأنه طُلب من العديد من المشرعين هم من كبار السن، ويسافرون إلى خارج الولايات المتحدة، ومن المتوقع أن يتخذ الكونغرس قراراً بذلك قبل عودة المشرعين من عطلة تشرين الأول/أكتوبر، التي بدأت بعد ظهر الجمعة.

خليفة ترامب

وأثارت إصابة ترامب أسئلة جدية حول ما ستفعله الإدارة إذا لم يكن ترامب قادراً على القيام بواجباته الرسمية، وما هو التأثير الذي يمكن أن يحدثه المرض المتفاقم على الانتخابات القريبة، وقال خبراء إن هناك ضرورة لوضع خطة في البيت الأبيض لنقل محتمل للسلطات، علماً بأن البيت الأبيض أكد بأنه لا توجد خطط لنقل لسلطات إلى نائب الرئيس، مايك بنس.

ويوضح التعديل الدستوري لعام 1967 مسألة ما يحدث عندما يفقد الرئيس القدرة على أداء مهامه، ولكن التداعيات الانتخابية قليلة الوضوح، وقال ريك هانس، خبير قانون الانتخابات بجامعة كاليفورنيا، إن سيناريوهات وفاة الرئيس أو إصابته بالعجز تثير مشكلات معقدة حقاً.

ويعاني ترامب من زيادة الوزن، ويبلغ من العمر 74 عاماً، وهو من ضمن فئة المخاطر العالية بفيروس كورونا، وإذا تم التأكد بأنه في وضع خطير، فإن الأمر سيؤدي إلى تداعيات على الانتخابات الرئاسية الوشيكة، وتتمتع اللجنة الوطنية للحزب الجمهوري بصلاحية اختيار مرشح بديل، ولكن الصعوبة تكمن الآن في أنه من غير المرجح أن تتمكن بعض الولايات من تغيير بطاقات الاقتراع الخاصة لإدراج هذا المرشح الجديد، وعلى الأرجح سيظهر اسم ترامب في صناديق الاقتراع، وبشكل عام تذهب السلطات إلى نائب الرئيس في حالة غيابه، وإذا لم تكن هناك قدرة لنائب الرئيس على القيام بمهماته فإن قانون الخلافة الرئاسية ينص على تولي رئيس مجلس النواب – نانسي بيلوسي حالياً– بعد أن تستقيل من منصبها.

نائب الرئيس، مايك بنس، بأن يكون على أهبة الاستعداد لتولي صلاحيات الرئاسة مؤقتاً، وفي نفس الوقت، أشار أحد الأطباء إلى تعرض ترامب لسلسلة من «الضربات البسيطة».

وجاءت هذه السلسلة الغريبة من الأحداث في وقت كان فيه طبيب البيت الأبيض آنذاك، روني جاكسون، يتحدث عن «جينات ترامب المذهلة» وأن «ترامب هو الشخص الأكثر صحة الذي يتم انتخابه رئيساً».

وتشير استطلاعات الرأي إلى أن ترامب غير جدير بالثقة، حيث رأى 58 في المئة من الناخبين المسجلين أنه «رجل لا يمكن الوثوق به» وهذا النوع من عدم الثقة يثير مشكلة حقيقية، قبل أسابيع قليلة من موعد الانتخابات في تشرين الثاني/نوفمبر.

وقد أدت إصابة ترامب بكورونا إلى تزايد المطالبات في الكونغرس بالقيام بفحص روتيني للفيروس في مبنى «الكابتول هيل» لأن

واقعة مقتل مصري على يد ضابط تثير الغضب

المصريون يكسرون حاجز الخوف وأحزاب المعارضة تتضامن على استحياء مع المتظاهرين

تواصلت ردود الأفعال على مقتل شاب رفض إهانة والده على يد ضابط شرطة في قرية العوامية في محافظة الأقصر، جنوب مصر.

القاهرة ـ «القدس العربي»:

على الرغم من أن المظاهرات التي دعا إليها الفنان والمقاول المصري محمد علي الجمعة الماضية جاءت محدودة، إلا إن ذلك لا ينفي كسر المصريين لحاجز الخوف رغم التشديدات التي فرضتها الأجهزة الأمنية طوال الأيام العشرة الماضية، التي شهدت فيها مصر مظاهرات في محافظات متفرقة منذ العشرين من أيلول/سبتمبر الماضي، استجابة للدعوة التي أطلقها محمد علي بالتزامن مع مرور عام على دعوته الأولى، في وقت قدرت منظمات حقوقية عدد المعتقلين على خلفية الأحداث بما يقرب من الألف معتقل.

المظاهرات التي خرجت تطالب برحيل السيسي في المحافظات، جاءت رفضا للأوضاع الاقتصادية الصعبة التي يعيشها المواطن المصري تحت تأثير السياسات الاقتصادية التي تبناها السيسي منذ وصوله للحكم تحت شعار الإصلاح الاقتصادي التي قضت بإلغاء الدعم عن الحروقات والكهرباء ورفعت أسعار تذاكر وسائل النقل وأثرت بشكل مباشر على الطبقتين المتوسطة والفقيرة إضافة إلى قانون التصالح في مخالفات البناء الذي وضع ملايين الأسر المصرية بين خيارين كلاهما صعب إما فقد منازلها أو دفع غرامات ضخمة.

المواطن المصري الذي خرج وحيدا وجد نفسه بدون غطاء سياسي من أحزاب المعارضة التي تجاهلت في بداية الأمر إعلان موقفها من الأحداث قبل أن تضطر لتعلن على استحياء في بيانات دعوات للسلطة لمراجعة سياساتها الاقتصادية.

وعلق حزب «الدستور» المصري، على التظاهرات موضحاً أن «مصر شهدت في الأيام القليلة الماضية احتجاجات في قرى وضواحي العديد من المحافظات لتعلن عن احتقان وغضب شديد لدى قطاع واسع من الشعب المصري الذي ضاق ذرعا بالسياسات والقرارات التي أثقلت كاهله. وفي حين أن المواطن لم يكد يستفيق من الآثار الاقتصادية لجائحة كورونا ليجد نفسه مطالبا بأن يتحمل مسؤولية الحكومات السابقة التي تراخت في مواجهة فساد المليات لسنوات طوال وأن يقتطع من قوت يومه الذي بالكاد يتعيش به أن يعوض الدولة عن أخطائها في السنوات الماضية».

وأضاف في بيان: «لم يجد المواطنون سبيلا إلا الاحتجاج للتعبير عن رفضهم واستيائهم من الأوضاع الاقتصادية خاصة مع انسداد كل القنوات الشرعية للتعبير عن الرأي فالأحزاب السياسية أغلق عليها السبيل لممارسة دورها المشروع، والبرلمان وأعضاؤه بمعزل عن الشارع المصري ومعاناته التي كانوا سببا بها طوال الدورة التشريعية السابقة».

وطالب «السلطات المصرية بتغليب المصلحة الوطنية ومصلحة المواطن على أي اعتبار آخر والإنصات إلى مطالب الشعب بدلا من مواجهة الاحتجاجات بالقوة المفرطة التي تؤدي إلى مزيد من الاحتقان والغضب، إضافة إلى إطلاق سراح كل من تم القبض عليه أثناء ممارسته حقه في الاحتجاج السلمي والتعبير عن الرأي وكذلك كل المحبوسين احتياطيا في قضايا الرأي من المعارضين حزبيين كانوا أم مستقلين».

كذلك، رفض حزب «التحالف الشعبي الاشتراكي» مواجهة الاحتجاجات الجماهيرية التي انتشرت في عدة محافظات، بالقوة والقمع، مشددًا على أن هذه التظاهرات «ليست نتاج مؤامرة».

وأعرب عن «رفضه مواجهة الاحتجاجات الجماهيرية بالقوة والقمع الذي طال حتى الأطفال» وحذر من «توجهات السلطات لتجاهل الدوافع الاقتصادية والاجتماعية التي فجرت الغضب، وتحويل هذه الاحتجاجات، كالعادة، إلى ملف أمني، مثل كل ما لا ترضى عنه، بدلا من إدراك حاجة البلاد إلى إصلاح اقتصادي واجتماعي وسياسي عاجل يستجيب لمطالب الشعب في العدل والحرية».

وتابع «أكدنا دوما أن الطريق إلى الاستقرار الذي ننشده ونحتاج إليه، يصنعه التوجه الثابت لتحويل الشعارات التي رددتها حناجر الملايين في ثورة يناير (عيش حرية عدالة اجتماعية وكرامة إنسانية) إلى سياسات عملية، وثمار يحصدها المواطنون في حياتهم اليومية، بدلا من تبديد الموارد في مشروعات كبرى لم تثبت جدواها أو أهميتها على سلم الأولويات».

نتاج القمع

وزاد: «كما أكدنا دوما أن التعددية والتنوع مصدرًا للقوة، وأن القمع وتجريف المجال السياسي سوف يقود إلى هبات وانفجارات، فلكل فعل رد فعل، مهما تمتد حبال الصبر، وأن مصر أحوج ما تكون إلى فتح النوافذ والنزانزين، فالزنازين لن تمنع الطريق إلى يناير، بل يمنعه انتصار السياسات لمطالب الشعب، والثورة لم تنتصر من ثقوب في الجدار الأمني، بل من الفقر والظلم والإقصاء والفساد والتوريث والتهميش».

ورأى أن «التوجه نحو التنظيم الواعي المعبر عن مطالب أصحاب المصلحة هو الذي يمكن أن يوفر مسارات آمنة لتغيير سلمي ديمقراطي يجنبنا مخاطر الانفجارات والفوضى والقمع والعنف والعنف المضاد ومن هنا تأتي ضرورة ترابط الإصلاح السياسي مع الإصلاح الاقتصادي».

وشدد على «مطالب عاجلة لفك الاحتقان وفتح الطريق لتغيير أوسع وأشمل يكون هدف السياسات فيه هو تلبية الاحتياجات الأساسية المادية والروحية للمواطنين في التعليم والصحة والغذاء والبيئة النظيفة والمسكن اللائق والأجر العادل وتطوير القدرات الإنتاجية للاقتصاد وهي توجهات تتناقض مع توجهات السياسة الاقتصادية الراهنة وفي صدارة هذه المطالب العاجلة، الإفراج عن السجناء المتهمين على ذمة الأحداث الأخيرة خاصة الأطفال وإقرار الحق في التظاهر السلمي والإفراج عن المحبوسين احتياطيا على ذمة قضايا الرأي عامة، ضمن انفراجة سياسية حقيقية لفتح النوافذ والزنازين والاعتراف بحق الاحتجاج السلمي والحق في التعددية والتنوع، خلافا لمنطق سمع هس وتحويل كل القضايا الاقتصادية والاجتماعية إلى ملفات أمنية».

وأكدت حركة الاشتراكيين الثوريين أن المظاهرات التي شهدتها مصر خلال الأيام الماضية «تأتي لتتحدى السلطة (الحاكمة) وتعلن أن الاحتجاجات لا تزال ممكنة، بدون إعلام أو أحزاب أو نقابات أو أي تنظيم سياسي أو شعبي».

وأضافت في بيان «لا تُقاس أهمية المظاهرات التي حدثت في بعض محافظات مصر في الأيام الماضية لا بحجمها أو درجة انتشارها، ولا بطبيعة الدعوات التي سبقتها أو الداعين لها».

وأبدت تضامنها مع «كل احتجاج جماهيري ضد سياسات الإفقار والاضطهاد التي تمارسها السلطة» مؤكدة «الحق المطلق للجماهير في التعبير الاحتجاجي، وتؤكد رفضها لسياسات الملاحقات الأمنية والقمع والاعتقالات التي واجهت السلطة بها المتظاهرين، وتطالب بإطلاق سراح المعتقلين كافة ومحاسبة المسؤولين عن ضحايا قمع المظاهرات».

وتابعت: «لا يمكن قياس أهمية تلك المظاهرات إلا ضمن السياق الذي حدثت فيه. المظاهرات التي تحركت في عدد من المحافظات لم تكن ضخمة بالقياس لما شهدته مصر في فترات ليست بالبعيدة، ولكنها كانت ضخمة بالقياس لما سبقها من مصادرة لكل أشكال الاحتجاج والتعبير، وإحكام القبضة الأمنية على كل مظاهر العمل السياسي والاجتماعي وإغلاق المجال، حتى أمام محاولات ممارسة حق الترشح في الانتخابات، ومحو أي مساحة للإعلام المستقل وملاحقة وإغلاق السجون على كل من يحاول معارضة السلطة بأي طريقة».

ووفق البيان «السلطة التي تفوقت على كل سابقيها في القمع والاستبداد، توهمت أنها أصبحت بمأمن من أي غضب جماهيري بعد كتم كل الأصوات، وتمكنت بالفعل من تطبيق سياسات اقتصادية كان بعضها يمكن أن يؤدي إلى انفجار شعبي في طول البلاد وعرضها».

وأشارت إلى أن «الاحتجاجات لم تنفجر ضد الغلاء والإفقار فقط بل بسبب القبضة الأمنية التي لم تر مصر مثيلها من قبل، وبسبب الهيمنة الإعلامية التي فرضت أجواء من الخوف والهلع من أي حراك جماهيري».

وأكملت: «ربما يستحيل التأكد من حجم المظاهرات وانتشارها في الأيام الماضية، بسبب التعتيم الإعلامي، ولكن ما لا يقبل الشك هو أن حجم الغضب في الشارع أضعاف تلك المظاهرات التي لن تكون آخر التحركات الجماهيرية، طالما استمرت السلطة في تطبيق سياسات الإفقار والاضطهاد».

عويس الراوي

تواصلت ردود الأفعال على مقتل شاب رفض إهانة والده على يد ضابط شرطة في قرية العوامية في محافظة الأقصر، جنوب مصر.

وبدأت الواقعة عندما توجهت قوة من الشرطة للقبض على شاب في قرية العوامية، إلا أنه لم يكن موجودا في المنزل، فصفع الضابط الأب على وجهه، فرفض الشاب عويس الراوي إهانة والده ورد الصفعة للضابط الذي أخرج سلاحه وأطلق النار عليه وأرداه قتيلا. المرشح الرئاسي السابق، حمدين صباحي، علق على واقعة مقتل الراوي. ونشر عبر صفحته على موقع التواصل الاجتماعي «فيسبوك» صورة للضحية مع طفله، مُعلقا «كيف سيكبر هذا الطفل ما لم تنتصر العدالة لدم هذا الرجل؟».

وأضاف: «عويس الراوي شهيد الكرامة على يد سلطة متدنية الكرامة والكفاءة والأخلاق تنشر الظلم والكراهية وتدفع الوطن إلى الهاوية».

واختتم تدوينته بوسم العدالة لدم عويس، وكل الدم المصري حرام. المعارض المصري ممدوح حمزة كتب على صفحته على «فيسبوك»: «عويس الراوي رمز الكرامة والحب والشهامة قتلته الدناءة والخسة والتكبر في عهد اللا إنسانية وبدون معاقبة الجاني».

السنة الثانية والثلاثون العدد 10045 الأحد 4 تشرين الأول (اكتوبر) 2020 – 16 صفر 1442 هـ

هل تنجح تركيا في دعم أذربيجان لتحرير قرة باغ بدون الدخول في صدام مع روسيا؟

روسيا وتركيا تتجنبان حتى الآن التدخل لصالح طرفي النزاع بشكل مباشر، لكن في حال فشل وقف المعارك وتغليب لغة الحوار فإن سيناريو التدخل العسكري سيكون واردا بقوة.

إسطنبول ـ «القدس العربي»: إسماعيل جمال

من حرب قرة باغ

في أحدث تصريحاته حول الحرب المتصاعدة بين أذربيجان وأرمينيا، أكد الرئيس التركي رجب طيب اردوغان أن بلاده سوف تواصل دعمها لأذربيجان حتى تحرير إقليم قره باغ من أرمينيا، وهو السيناريو الذي يبدو ممكناً في ظل التفوق العسكري الأذربيجاني على أرمينيا حتى الآن، لكن السؤال الأكبر يبقى: إلى أي مدى يمكن لتركيا أن تواصل دعمها لأذربيجان بدون الدخول في صدام مع روسيا؟

اردوغان اعتبر في خطاب له، الجمعة، أن «أرمينيا اعتدت على أذربيجان مجدداً في وقت لم تُحل فيه قضية إقليم قره باغ الذي احتلته أرمينيا بارتكاب مجازر دنيئة»، مضيفاً: «أرمينيا واجهت بعد اعتدائها الأخيرة نتيجة لم تكن تتوقعها فأذربيجان الشقيقة بدأت عملية عسكرية كبيرة من أجل الدفاع عن ترابها وتحرير قره باغ، والجيش الأذربيجاني الذي يتقدم بنجاح على الجبهة نجح في تحرير العديد من المناطق».

وشدد على أن تركيا سوف تواصل «الوقوف بكافة إمكاناتنا وقدراتنا إلى جانب أذربيجان الشقيقة والصديقة، وإن شاء الله النضال سيستمر حتى تحرير قره باغ» معتبراً أنه «بالنظر لأماكن الأزمات الممتدة من سوريا إلى المتوسط والقوقاز، تتكشف المحاولات الرامية لحصار تركيا».

ويرى مختصون عسكريون أن أذربيجان ومن خلال الدعم العسكري الذي حصلت عليه من تركيا في السنوات الماضية إلى جانب دعم دول أخرى وجهود داخلية واسعة نجحت في تطوير قدرات جيشها الذي بات يتفوق على الجيش الأرميني بالعدة والعتاد والإمكانيات المختلفة.

وبحسب سير المعارك منذ أيام، يظهر بوضوح تفوق الجيش الأذربيجاني على نظيره الأرميني، حيث بث عشرات المشاهد التي تظهر تدمير أعداد كبيرة جداً من الآليات العسكرية والدبابات والأنظمة الدفاعية وضرب تجمعات الجنود وقتل وإصابة المئات منهم، إلى جانب إعلانه استعادة السيطرة على العديد من القرى والتلال الاستراتيجية في قره باغ، وهو ما دفع مراقبين للتكهن بقدرة أذربيجان على السيطرة على الإقليم في حال توا صلت المعارك على هذا النحو بدون تدخل قوى دولية خارجية لصالح أرمينيا.

هذا السيناريو تحديداً هو ما تخشاه تركيا بشكل كبير وتسعى بكافة الطرق والوسائل إلى تجنبه تماماً، وذلك من خلال نفي تدخلها العسكري المباشر لعدم منح أرمينيا مبرراً لطلب تدخل دول خارجية إلى جانبها وهو ما لوحت به أرمينيا الذي يعتقد أنها تقصد روسيا بدرجة أساسية.

ففي مقابل تأكيدات تركيا المتلاحقة وقوفها الكامل إلى جانب أذربيجان «بكافة إمكانياتها» إلا أن سارعت خلال الأيام الماضية إلى النفي المطلق للاتهامات الأرمينية لها بالمشاركة عسكرياً بشكل مباشر إلى جانب أذربيجان في المعارك المتواصلة، مؤكدة أنها لا تشارك بشكل مباشر في المعارك «على الإطلاق».

ومنذ بداية العمليات العسكرية بين البلدين، وجهت أرمينيا اتهامات لتركيا بأنها تقدم الدعم العسكري المباشر لأذربيجان وأنها تشارك من خلال قيادة العمليات وتزج بطائراتها الحربية والمسيرة في العمليات بشكل مباشر، واتهمت تركيا مباشرة بإسقاط طائرة حربية تابعة لها، وهو ما نفته أنقرة تباعاً، ووصفت هذه الاتهامات بأنها «دعاية سوداء» في وصف يظهر مدى خشية أنقرة من تبعات هذا الاتهام.

وجاء في بيان لوزارة الدفاع التركية رداً على اتهامات أرمينيا: «مزاعم تقدمت بها حسابات رسمية أرمينية، حول استخدام طائرات مسلحة من دون طيار ومقاتلات تركية ضدها في إقليم قره باغ بأذربيجان». ووصفت الوزارة في بيان، تلك المزاعم بـ«الدعاية السوداء» التي تهدف أرمينيا من خلالها إلى زيادة الدعم المقدم لها، عبر خلق تصور بأن تركيا تواجهها. وأكدت أن «هذه المزاعم كاذبة ولا تستند إلى أي دليل».

وقالت وزارة الدفاع التركية: «أظهرت القوات المسلحة الأذربيجانية للعالم خلال الأيام القليلة الماضية أن لديها القدرة والإمكانية لتحقيق النصر بمفردها، والعزم والتصميم لتحرير أراضيها المحتلة» واعتبرت أن اتهامات أرمينيا «لم يأخذها على محمل الجد سوى داعمي أرمينيا».

وتشير التقديرات في تركيا إلى أن أرمينيا ومن خلال إصرارها وعملها الدؤوب لإثبات وجود تدخل عسكري تركي مباشر في المعارك تهدف من وراء ذلك إلى الضغط على حلفائها لجرهم من أجل تقديم الدعم العسكري المباشر لها، وهو أمر لا ترغب أنقرة في حصوله على الإطلاق لأنه يحمل في طياته خطر دخول روسيا كطرف مباشر وهو ما لن يكون في صالح أذربيجان وتركيا على الإطلاق لأنه سيؤدي إلى ترجيح موازين القوى لصالح أرمينيا ويجلب خطر المواجهة العسكرية المباشرة مع روسيا أو دول إقليمية أخرى.

وتخشى تركيا أن تلجأ روسيا إلى تقديم دعم عسكري أوسع أو التدخل المباشر إلى جانب أرمينيا، ولا ترغب في تعزيز فرصه، وما زالت روسيا تدعو الجانبين للحوار. كما نفت الرئاسة الإيرانية أن تكون قدمت أسلحة ومعدات عسكرية لأرمينيا، ولفتت إلى أنها تولي أهمية كبيرة لعلاقاتها مع باكو وهو موقف تريد أنقرة البناء عليه لضمان افشال جهود أرمينيا في جر داعميها للمعركة.

ومن جانب آخر يتعلق بالقانون الدولي، لا ترغب أنقرة في أن يتم اعتبارها دولة تنفذ عمليات عسكرية ضد دولة أخرى وترجح مواصلة تقديم الدعم العسكري بشكل غير مباشر إلى أذربيجان التي تتمتع بتفوق قانوني على أرمينيا كونها تنفذ عمليات عسكرية في إقليم قره باغ المحتل من أراضيها وهو ما تدعمه الكثير من القرارات الأممية.

ومن خلال التطورات على الأرض، يظهر أن روسيا وتركيا تتجنبان حتى الآن التدخل لصالح طرفي النزاع بشكل مباشر، كما تجري محاولات دبلوماسية بين الجانبين لكن وفي حال فشل وقف المعارك وتغليب لغة الحوار فإن سيناريو التدخل العسكري المباشر من قبل تركيا لصالح أذربيجان وروسيا لصالح أرمينيا سيكون قائماً بقوة، وهو السيناريو الكارثي الذي ما زال مبكراً الحديث عنه إلا أنه يبقى قائماً وبقوة إذا ما تواصل القتال وتوسع في الأسابيع المقبلة.

Volume 32 - Issue 10045 Sunday 4 October 2020

سياسة النعامة هل تفلح أمام تغول الميليشيات وفرار السفارات من العراق

زاد من تعقيدات أزمة إطلاق الصواريخ وصولها إلى أربيل كرسالة تحدي الفصائل المسلحة لحكومة الكاظمي وإبلاغ رسالة إيرانية إلى أمريكا بأن صواريخ أدواتها ستطاردها في أربيل أيضا.

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

تظاهرات مطالبة بالإصلاحات

تداعيات الأحداث في الساحة العراقية، تشير بوضوح إلى ان طهران اتخذت قرارا بتصعيد المواجهة مع واشنطن في العراق، وان ما يجري في العراق هو إعلان حرب بالنيابة من قبل قوى اللا دولة الموالية لإيران، ضد حكومتي العراق والولايات المتحدة معا، بهدف التأثير على نتائج الانتخابات الأمريكية وزيادة الهيمنة على العراق وثرواته. وفي المقابل تقف حكومة مصطفى الكاظمي في موقف متردد عاجزة عن حسم قرارها، سواء بالتصدي للفصائل المنفلتة أو حيتان الفساد أو فرض هيبة الدولة والقانون، بما سيترتب عليه من مخاطر أمنية وسياسية واقتصادية وعزلة دولية على العراق.

وما زاد من تعقيدات أزمة إطلاق الصواريخ، هو وصولها إلى أربيل شمال العراق لأول مرة، بعد ان كانت مقتصرة على بغداد، في تحد جديد من الفصائل المسلحة لتعهد حكومة مصطفى الكاظمي للبعثات الدبلوماسية بالحد من الهجمات عليها، وفي رسالة إلى أمريكا بأن صواريخ أدواتها ستطاردها في أربيل أيضا.

ورغم الضجة الواسعة حول نية الولايات المتحدة وعشرات الدول، سحب سفاراتها من بغداد، بسبب استمرار القصف بصواريخ الكاتيوشا عليها وعجز الحكومة عن منع ذلك، ورغم المحاذير من الإجراءات العقابية السياسية والمالية والاقتصادية المتوقعة ومخاطر العزلة الدولية على العراق، فإن حكومة بغداد تقف عاجزة عن اتخاذ إجراءات جدية للتعامل مع هذا الوضع الخطير، وهو ما يعكس المأزق الذي أصبح فيه الكاظمي، بين تحدي الفصائل المنفلتة لسلطة الدولة وعجزه عن اتخاذ موقف حاسم تجاهها نتيجة تهديدات القوى الشيعية بإشعال حرب أهلية إذا قررت الحكومة لجم الفصائل إضافة إلى ضغوط الجار الشرقي، وبين ضغوط شعبية ودولية قوية، بضرورة اتخاذ الحكومة لموقف حاسم، وان لا تصبح مجرد مؤسسة إعلامية لاصدار البيانات والتصريحات، بل ان تتصرف كسلطة لديها امكانيات كبيرة ودعم شعبي ودولي، ويفترض ان تقدم على قرارات حاسمة تحفظ هيبة الدولة وتنقذ البلد من براثن الفصائل المسلحة وتمنع إجراءات عقابية دولية ثقيلة متوقعة على البلد.

وحتى اجتماع رئيس الحكومة مصطفى الكاظمي مع ممثلي السفارات الأجنبية والعربية في بغداد للتخفيف من قلقهم من تدهور الوضع الأمني «وتعهده بوضع حد للهجمات التي تستهدف البعثات الدبلوماسية وفرض سيادة القانون وحصر السلاح بيد الدولة» كان محاولة فاشلة، ليس لأنه لم يقدم ضمانات بعدم تكرار الهجمات، بل أفشلته هجمات صاروخية جديدة على أربيل بعد الاجتماع مباشرة، مما عزز المخاوف من توجه هذه الدول لإغلاق بعثاتها العاملة في بغداد.

وما زاد الطين بلة، تصريحات وزير الخارجية العراقي فؤاد حسين، الذي أثبت عدم استيعابه لخطورة موقعه عندما أعلن «إن الحكومة بدأت بفتح قنوات اتصال مع بعض الفصائل لتصل إلى اتفاقات بشأن استهداف البعثات» مقرا بخضوع الحكومة لسطوة تلك الفصائل وعجزها عن ردعها. وكان مثارا لسخرية العراقيين بتأكيده ان «طهران أبلغت الحكومة العراقية عدم صلتها بالجهات التي تقف وراء الهجمات المتكررة على البعثات» وكأن القصف تقوم به فصائل موالية للمريخ!

وبالنسبة لاحتمال غلق السفارة الأمريكية، سواء كانت مخاوف واشنطن صحيحة أم لا ، بخصوص نوايا إيرانية لمهاجمة سفارتها أو محاولة خطف دبلوماسيين أمريكان في بغداد، فالمؤكد ان ترامب لا يريد ان يجازف بوقوع أي عملية ضد المصالح الأمريكية قد تقوم بها إيران في العراق تؤثر على حملته لإعادة انتخابه رئيسا، إلا ان ذلك لا يعني ان حلم طهران باقفال مواجهة مع الولايات المتحدة عبر أدواتها، لجعل واشنطن تتخلى عن سفارتها في العراق، وارد لدى الإدارة الأمريكية، لأهمية العراق في خريطة مصالحها في المنطقة. والاحتمال الوارد هو ان تنقل السفارة مؤقتا إلى أربيل أو تقلل عدد موظفيها، لحين انتهاء الانتخابات الأمريكية بعد أقل من شهرين، مع توقع الاستهداف الأمريكي لقادة الفصائل الموالية لإيران، وفرض بعض العقوبات على حكومة بغداد لعجزها عن حماية البعثات ولجم الفصائل المنفلتة، وما سيترتب عليه من عزلة دولية خانقة على العراق.

وقد أصبح واضحا ان إيران تتجه نحو التصعيد في العراق هذه الفترة، فبالإضافة إلى مواصلة الفصائل الموالية لها هجماتها الصاروخية، فقد برزت العديد من المواقف الإيرانية غير الودية تجاه العراق. وليست مصادفة الآن، ان يعمد علي شريعتي، مستشار المرشد الأعلى علي خامنئي، إلى توجيه انتقاد جارح لأول مرة، لمقام المرجع الشيعي الأعلى علي السيستاني، عندما هاجم بمقال، طلب السيستاني من المتحدة الإشراف على الانتخابات المقبلة في العراق. وكان أسلوب المقال بعيدا عن الاحترام واللياقة للمرجعية وجمهورها ومكانتها، إضافة إلى كونه تدخلا واضحا في شؤون العراق، وهو ما اعتبره العراقيون تطاولا على أهم رمز شيعي عراقي، وصورة للغرور والعنجهية الإيرانية واستخفافها بسيادة العراق وشعبه وحكومته ومكانة السيد السيستاني الذي تدعي احترامه. وقد شكل الفشل فضيحة جديدة للقوى الشيعية وكشف ولاءها المطلق لإيران، حيث اكتفت ببيانات الاستنكار دون أي إجراء آخر.

وبمناسبة الذكرى الأولى للحراك الشعبي المطالبة بالإصلاحات ومحاربة الفساد والسلاح المنفلت، جدد آلاف المتظاهرين المتوافدين إلى ساحات التظاهر، في بغداد والمحافظات، اتهاماتهم لحلفاء إيران بعرقلة إجراء الانتخابات المبكرة وتعطيل الإصلاحات.

وفي كل الأحوال، يبقى الشيء المهم في هذا الصدد، هو ان الظروف الحالية توفر فرصة ذهبية نادرة لحكومة مصطفى الكاظمي لإنهاء خطر الفصائل والدولة العميقة معا، إذا لم يستغلها فسوف تبقى حكومته والعراق تحت رحمتهما في تكرار للنموذج اللبناني. ومع تقديرنا بأن المهمة ليست سهلة، إلا ان تأخير التحرك قد يكون فيه ضرر كبير على البلد سيدفع ثمنه الشعب العراقي وحده. ولذا فإن الكاظمي أمام خيارين لا ثالث لهما، أما اتخاذ قرار مواجهة الدولة العميقة وأدواتها المسلحة، أو القبول بالواقع المزري وضياع حكومته وكل آمال الإصلاح في العراق.

بعد ليبيا قتلى من فصائل هل تكون إدلب

يستمر الجيش التركي بدفع تعزيزات عسكرية إلى محافظة إدلب، وتقدر أعداد الآليات التركية في الستة أشهر الأخيرة بأكثر من عشرة آلاف بينها ناقلات جند ومدرعات وتحصينات هندسية.

منهل باريش

أعلن الرئيس التركي رجب طيب اردوغان، في كلمة افتتاحية للعام التشريعي الجديد في البرلمان التركي، يوم الخميس، تمسك بلاده بمحافظة إدلب وعدم التخلي عنها لعدة أسباب أهمها، «حماية حدود البلاد من تسلل الإرهابيين، وتوفير الأمن للمدنيين والنازحين في المنطقة» مشيرا إلى أن هدف تركيا «تحويل المنطقة إلى آمنة، ووقف الهجمات والقصف البري والجوي».

وترافق كلام الرئيس التركي مع تغيب الجانب الروسي عن المشاركة بالدوريات المشتركة المقررة، وعدم انعقاد الجولة الثانية من مباحثات أنقرة على مستوى الخبراء العسكريين للدولتين، والتي بدأت في 15 و 16 أيلول (سبتمبر) الفائت، من دون التوصل إلى اتفاق، بعد اقتراح الروس على نظرائهم الأتراك سحب أربع نقاط مراقبة رئيسية من جنوب طريق حلب –اللاذقية الدولي/M4 إلى شماله، حيث لاقى المقترح رفضا تركيا حاسماً.

وأرسلت الرئاسة التركية، الخميس، مذكرة إلى البرلمان لتمديد مهام قواتها في سوريا، وهي واحدة من ثلاث مذكرات لتمديد عمل القوات التركية خارج أراضيها في العراق ولبنان وأفريقيا الوسطى. وأشارت المذكرة المتعلقة بسوريا: أن وجود تنظيمات إرهابية مثل داعش و«بي كا كا/ي ب ك/ب ي د» في شمال سوريا، ما زال يهدد أمن تركيا وسلامة حدودها؛ حسب وكالة «الأناضول» الرسمية، إضافة لمذكرتين لتمديد عمل القوات التركية في بعثة الأمم المتحدة في مالي وأفريقيا الوسطى، وتمديد مهمة القوات التركية العاملة ضمن قوة الأمم المتحدة المؤقتة لحفظ السلام في لبنان (يونيفيل) لعام جديد.

وأثار نقل أنقرة مقاتلين سوريين من فصائل المعارضة السورية إلى أذربيجان موجة انتقادات كبيرة في أوساط النشطاء السوريين وعلى وسائط التواصل الاجتماعي. وفضلت قيادة الجيش الوطني السوري المعارض والحكومة السورية المؤقتة والائتلاف الوطني المعارض الصمت وعدم الإدلاء بأي تصريحات حول الأمر.

في حين اصدر المجلس الإسلامي السوري المعارض، مقره اسطنبول، بيانا بعنوان «بيانٌ إلى المرابطين على الثغورِ والجبهاتِ في مواجهةِ النظام المجرم ومَن مَعه» الخميس، وعلق البيان على قضيّة القتال خارج جبهات القتال مع النظام، وتجنب أي ذكر للقتال في أذربيجان أو ليبيا صراحة، وقال البيان «ولا يكون الجهاد لمقصد جمع المال والارتزاق والرياء والسمعة» ورد على المبررين ان سبب الذهاب هو العوز والفقر وشح الحال، ان على المقاتل الصبر «على شظف العيش فكل ذلك مأجور عليه».

المعارضة السورية في أذربيجان مكان الرد الروسي الإيراني؟

وأضاف «فصَّل الفقهاء في تفاصيل الانحيازِ والتحرف للقتال ومتى يجوز الانسحاب، فمن كان على الثغور فلا يحل له أنْ يخليها لا سيما مع توقع هجوم العدو فيُؤتى الضعفُ مِنْ قِبَلِه ويخشى عليه أن يقع عليه إثم الفرار من الزحف».

وحذر المجلس الإسلامي السوري من الاشتغال بقتال بعيد وترك القتال القريب حيث يغير النظام «على الجبهاتِ فيقتل العباد ويستولي على البلاد، فالعدو القريب أكثر ضرراً علينا، وفي دفعِه أكبر مصلحة لنا».

وتناقل نشطاء سوريون أخبار مقتل 18 من «الجيش الوطني» في المعارك بين أذربيجان وأرمينيا، تحققت «القدس العربي» من صحة عشرة منهم، خمسة منهم من المقاتلين الذين سيطر النظام على مناطقهم المشمولة باتفاق خفض التصعيد، عام 2018 وأربعة من مدينة الرستن في ريف حمص الشمالي، وواحد من الحجر الأسود جنوب دمشق واثنين من من سيطر النظام على مناطقهم في هجوم شباط (فبراير) الماضي، واحد من بلدة عنجارة وآخر من معرة النعمان واثنين من بلدة مارع في ريف حلب الشمالي وواحد من بلدة الاتارب في ريف حلب الغربي.

وأكدت وكالة «رويترز» عبر مقاتلين سوريين حاورتهما انهما يتقاضيان 1500 دولار شهرياً، في حين قال مقاتل آخر لـ«بي بي سي عربي» انه سيحصل على 200 دولار شهريا، ويؤكد جميع المقاتلين انهم أتوا للقتال في أذربيجان بسبب سوء أوضاعهم الاقتصادية في سوريا. ويبلغ راتب مقاتل الجيش الوطني 550 ليرة تركية (تعادل 65 دولارا أمريكيا) وفي الواقع يحصل المقاتلون على مبالغ متفاوتة حسب الفصائل التي ينتمون إليها، تتراوح بين 200– 400 ليرة تركية ولا أحد يحصل على راتبه كاملاً، وبلغ متوسط كلفة الإيجار الشهري للمنازل في شمال سوريا نحو 100 دولار أمريكي.

على الصعيد العسكري، يستمر الجيش التركي بدفع تعزيزات عسكرية إلى محافظة إدلب، شمال غرب سوريا. وتقدر أعداد الآليات التركية في الستة أشهر الأخيرة بأكثر من عشرة آلاف بينها ناقلات جند ومدرعات وتحصينات هندسية لحراسة طريق حلب–اللاذقية/M4.

وانتقد وزير الخارجية التركي السابق، احمد داوود أوغلو تردد بلاده تجاه الأزمة السورية عام 2014 حيث تلكأت في تقديم الدعم المباشر لمقاتلي الجيش السوري الحر. منوها: «لو خاطرنا بالمجازفة قليلاً كما فعلت روسيا لما وصل الوضع إلى ما هو عليه اليوم في سوريا، ولكان ثقلنا وتأثيرنا في المنطقة أكبر مما هو عليه الآن» محذرا من العلاقة مع روسيا «خسرنا حلب بسبب علاقتنا مع الروس، ونحن نخسر إدلب أيضاً».

وأشار أوغلو إلى أن هيئة أركان الجيش التركية عارضت «تحرير محافظات حلب والرقة ودير الزور من قبضة الأسد» حسب مقترح الحكومة التركية. وتبين في وقت لاحق أن بعض القادة العسكريين كانوا يعملون لصالح حركة فتح الله غولن، وهم قادوا محاولة الانقلاب الفاشلة في يوليو 2016».

التدخل التركي في أذربيجان سينعكس بالتأكيد على علاقة روسيا وتركيا الداعمين لأرمينيا، في إدلب، وترفع من احتمالية التصعيد مجددا في إدلب.

السنة الثانية والثلاثون العدد 10045 الأحد 4 تشرين الأول (اكتوبر) 2020 – 16 صفر 1442 هـ

«كورونا» هل تؤثر على «نسبة الاقتراع»؟

حماس «فاتر» شعبيا في الأردن لانتخابات 2020

العديد من المرشحين قلقون من تأثير الاحتقان العام بسبب الفيروس وانخفاض معنويات الناس على نسبة الاقتراع أو حتى على الاهتمام بالانتخابات.

عمان ـ «القدس العربي»: بسام البدارين

يعود عضو البرلمان الأسبق والمرشح أيضا للانتخابات المقبلة سامح المجالي إلى حالة الرصد الاجتماعي التي قد تعكس هوية وملامح ومزاج الشارع في ملف الانتخابات.

الإعلان عن نمو غير مفهوم بعدد الإصابات بفيروس كورونا في مقاربة المجالي بدأ يخيف الناس.

لا يبدو أن الخوف حقيقي وجدي في المجتمع الأردني من فيروس كورونا رغم كل تحذيرات وزارة الصحة وكبار المسؤولين.

ويعتقد القطب السياسي الدكتور ممدوح العبادي مجددا وهو يعلق مع «القدس العربي» على الأحداث، أن مرد التساهل في سبل الوقاية وسط المجتمع سببه التكاسل في فرض القانون ثم عدم حصول نتائج كبيرة جدا تثير خوف المواطن.

الخوف من فيروس كورونا بهذا المعنى صعد إلى مستويات غير مسبوقة مؤخرا فقط ومع اخفاق النظام الصحي الرسمي في الاستقصاء والمتابعة وحصر البؤر الفيروسية. وزاد الخوف الاجتماعي بعدما حذر عضو اللجنة الوبائية الطبيب الدكتور وائل الهياجنة صاحب سجل المصداقية بالنسبة للمواطنين، من الانتقال إلى تسجيل ألفي أو 3 آلاف حالة يوميا. السبب حسب الهياجنة هو عدم الالتزام بارتداء الكمامة والتساهل مع إجراءات وسبل الوقاية. لكن في رأي المجالي هذا النمو في خريطة انتشار الوباء بدا يؤثر على معنويات الناس. ولم يعد سرا في الأردن ان نسبة الخوف من الفيروس تزايدت خصوصا بعد تزايد الوفيات والقفز عن تسجيل ألف حالة يوميا وتجاوز تسجيل عشرة آلاف حالة.

السؤال هو: هل سينعكس هذا الخوف على نسبة الاقتراع لانتخابات 2020؟

يبدو العديد من المرشحين قلقون من تأثير الاحتقان العام الذي يتسبب به الفيروس وانخفاض معنويات الناس على نسبة الاقتراع أو حتى على الاهتمام أصلا بالانتخابات نفسها، حيث يعتقد أن رئيس الوزراء الجديد الذي تسلم الأمور من الدكتور عمر الرزاز ولأغراض الاشتباك ميدانيا وبسرعة مع الفيروس، قد يطلب الإذن لاحقا من القصر الملكي بتأجيل الانتخابات.

ذلك سيناريو قد يكون محتملا.

لكن الانطباع قوي بإن الانتخابات ينبغي أن تحصل فعلا في العاشر من تشرين الثاني/نوفمبر المقبل ويتوجب ان تعقد بكل الحالات وبمن حضر.

والانطباع صلب ومتماسك بأن حكومة الرزاز رحلت أصلا لعدة أسباب أهمها ملف الانتخابات في سياق الاستحقاق الدستوري الذي بدأ بحل مجلس النواب وإعادة تشكيل مجلس الأعيان.

طوال ثمانية أسابيع نشطت الهيئة المستقلة لإدارة الانتخابات في التأكيد للجميع على جاهزيتها المطلقة لبروتوكول وقائي صحي تنظيمي يوم الانتخابات.

وقال رئيسها الدكتور خالد الكلالدة إن التنسيق فعال والهيئة جاهزة تماما.

لكن مقتضيات العملية الانتخابية سبق ان انتجت جملة بيروقراطية وأمنية شاذة قليلا عن إجراءات الوقاية الصارمة، فالاجتماعات العامة الوحيدة التي سمح لها منذ شهرين هي اجتماعات الاجماع العشائري للمرشحين حيث حضرها عشرات آلاف من المواطنين خصوصا في الأطراف والمحافظات.

تلك كانت جملة إجرائية نشاز إلى حد كبير أثارت حيرة المراقبين لكنها احتوت جدالات وصدامات محتملة على الترشيح في صلب العشائر وتساعد الدولة دوما في التحضير لانتخابات أقل صخبا.

حظيت الإجماعات العشائرية بتساهل.

الإشارة هنا سياسية واضحة وتوحي بأن المقتضيات الفيروسية يمكن التلاعب بها بيروقراطيا عندما يتعلق الأمر بانتخابات ينبغي ان تجري. لكن تلك الاجتماعات سمح بها قبل اسابيع في توقيت كانت تعلن فيه عشرات الاصابات بالفيروس فقط في المملكة فيما يتم تسجيل المئات الآن وقد يصل العدد إلى آلاف قريبا جدا حسب تقديرات الخبير الوبائي الدكتور الهياجنة. ويبدو ان الحسبة السياسية تؤشر على إجراء انتخابات بصورة ضرورية لأن الإقليم بصدد تغيرات وتحولات كبيرة وهي المهمة الصعبة على الحكومة الجديدة واجتيازها أقرب إلى امتحان أو اختبار قاس خصوصا وان منظومة التحفيز على المشاركة في الانتخابات وزيادة عدد المقترعين تتطلب وجوبا التغاضي عن متطلبات الوقاية وتوصيات لجنة الأوبئة خصوصا وان الدستور لا يسمح بالتصويت الإلكتروني. وخصوصا أيضا بسبب طبيعة المجتمع الأردني ونسبة الاقتراع المرتفعة بالعادة في المحافظات والأطراف.

وهي نسبة كبيرة يتفاعل فيها المواطنون مع الاقتراع والصناديق بدون الحاجة إلى الالتزام الحرفي بمقتضيات الوقاية حيث لا مشكلات في مراكز الاقتراع التي يمكن السيطرة عليها أمنيا وصحيا.

لكن المشكلات معقدة وكبيرة عند الاشتباك مع الحملة الانتخابية حيث اجتماعات بالجملة وجماعات تتحرك وسط المواطنين لصالح مرشحين بالتقسيط وحراك يتطلب تسهيلات نقل وسيارات وحملات دعائية وزيارات ميدانية وتجمعات كواليس.

نسبة الاقتراع المتوقعة أصلا متدنية بسبب الإحباط الاقتصادي والوضع المعيشي الصعب.

لكنها وبالنسبة للمرشحين اليوم صعبة ومتدنية أكثر بسبب اصطدام الحكومة بحائط الانتشار المجتمعي للوباء.

فحص للكورونا في عمان

اليمن: سياسيون يتحركون لتشكيل تيار شعبي ضد انتهاك السيادة من قبل الإمارات والسعودية

عبر عن التيار العديد من السياسيين والحقوقيين والنشطاء والبرلمانيين والقيادات، ردا على تحكم التحالف بقيادة السعودية والإمارات بشؤون البلاد.

تعز ـ «القدس العربي»: خالد الحمادي

بدا العديد من السياسيين والنشطاء التحرك لتشكيل تيار شعبي رافض للتدخلات الخارجية في الشأن اليمني من قبل دولة الإمارات والسعودية، خاصة مع سيطرة الميليشيات التابعة للإمارات على العديد من المحافظات الجنوبية اليمنية وهيمنة القرار والنفوذ الإماراتي عليها، ومنع السلطات الحكومية الشرعية من ممارسة مهامها الرسمية فيها.

وعلمت «القدس العربي» من مصدر سياسي ان «هناك تحركا جادا وفاعلا في الوسط السياسي والحقوقي اليمني في الداخل والخارج من قبل مختلف الأطراف السياسية لوضع حد لانتهاك السيادة اليمنية، التي أضعفت الحكومة الشرعية وجعلتها مقيدة الإرادة، كما حولت العديد من المحافظات اليمنية الجنوبية تحت الوصاية أو الاحتلال الإماراتي، وهو ما يرفضه جميع اليمنيين».

وأوضح «ع . س. م» رفض الافصاح عن هويته لأسباب أمنية لأنه مقيم في مدينة عدن، ان «العشرات بل المئات من السياسيين والحقوقيين اليمنيين في المحافظات الجنوبية والشمالية على حد سواء، بدأوا بالتواصل المنهج لتشكيل تيار مناهض للتواجد الإماراتي والسعودي في اليمن، وبالذات الحضور الذي يمس السيادة اليمنية بشكل مباشر، ويمنع الحكومة الشرعية من ممارسة نشاطها».

وذكر أن هذا التيار لا يمثل طرفا سياسيا يمنيا بعينه، بقدر ما يمثل جميع اليمنيين، من مختلف المشارب والتوجهات والأحزاب السياسية «نظرا لأن قضية السيادة اليمنية محل إجماع كافة الأطراف السياسية وقضية مشتركة تهم الجميع».

مشيرا إلى أن التدخلات الإماراتية والسعودية في الكثير من القضايا التي تمس السيادة اليمنية أصبحت قضية الساعة وتمس كل مواطن يمني بشكل مباشر أو غير مباشر، نظرا لأن هذه التدخلات الخارجية تؤثر سلبا على مجريات الحياة اليمنية السياسية والاقتصادية والأمنية والعسكرية وغيرها وتقوم بتعطيل الحياة بكل تفاصيلها وهو ما دفع الكثير من السياسيين والحقوقيين والنشطاء إلى الوصول إلى قناعات بضرورة التحرك لتشكيل تيار شعبي رافض لهذه التدخلات الخارجية والتحرك على كل الأصعدة السياسية والدبلوماسية والإعلامية محليا وخارجيا لوضع حد للانتهاكات التي تمس السيادة اليمنية من قبل أي طرف كان.

وعن المكوّن والجهة التي تقف وراء تشكيل هذا التيار وتدفع باتجاه تحريك عجلته قال «ليست هناك أي جهة حزبية أو أي مكون سياسي يقف وراء تشكيل هذا التيار، فهو وليد قناعات ورؤى متّفق عليها وتشكل أرضية مشتركة للجميع، والمنضوون في هذا التيار يمثلون مختلف الوان الطيف السياسي اليمني، بما فيهم التيارات المتصارعة على السلطة، حيث شعروا أن الصراع المسلح الراهن وتداعياته دفعت بالبعض ليس إلى حافة الهاوية فحسب ولكن إلى الهاوية نفسها، ولم يعد كدولة قادرا على إدارة شؤون البلاد لا سياسيا ولا اقتصاديا ولا أمنيا ولا حتى عسكريا، وأصبحت الحكومة الشرعية مجرد دمية لتمرير صفقات لصالح الدول واللاعبين الخارجيين».

وبدأ التعبير عن هذا التيار أو هذا التحرك من قبل العديد من السياسيين والحقوقيين والنشطاء وفي مقدمتهم العديد من البرلمانيين والقيادات السياسية والحقوقية والذين وصل بهم الحال حد الانفجار من الوضع القائم حاليا في اليمن، على مختلف الأصعدة، والتي أوصلت الناس إلى حد اليأس من الخروج من عنق الزجاجة في حال ظل التحالف العربي بقيادة السعودية والإمارات يتحكم بشؤون البلاد ويقرر مصيره، فيما الحكومة الشرعية عاجزة عن القيام بأي دور يمثل الإرادة اليمنية ويحقق تطلعات وآمال الشعب الذي طحنته ويلات الحرب ويشعر أن التدخل السعودي والإماراتي هو السبب الرئيسي في إطالة أمد الحرب وادخال اليمن في هذه الأزمة السياسية والإنسانية غير المسبوقة في البلاد.

وكان العديد من اعضاء مجلس النواب اليمني، النسخة الموالية للحكومة، أعربوا صراحة عبر تصريحات إعلامية أو عبر رسائل رسمية للحكومة وللرئيس اليمني عبدربه منصور هادي، عن استيائهم الشديد من التدخلات الإماراتية والسعودية التي تمس السيادة اليمنية وتحوّلت معها الحكومة الشرعية إلى أداة لشرعنة وتمرير الصفقات المشبوهة التي تطعن اليمن في الخاصرة وتضر بمصالحه السيادية.

في غضون ذلك وجه محافظ محافظة سقطرى رمزي محروس، رسالة عاجلة للرئيس هادي منتصف الأسبوع المنصرم تطالبه بضرورة العمل على وقف الانتهاكات الإماراتية للسيادة اليمنية في الجزيرة، التي سيطرت عليها الميليشيا المحلية المدعومة من أبو ظبي في حزيران (يونيو) الماضي، والتي كشف فيها عن دخول شخصيات أجنبية لسقطرى من دون تأشيرات وإجراءات يمنية، بالاضافة إلى وصول سفينة إماراتية تحمل معدات شركة اتصالات من دون اذن أو ترخيص من الحكومة اليمنية، وكذا قيام الميليشيا التابعة للإمارات بنهب معسكرات الدولة وبيع السلاح وتهريبه لخارج الجزيرة وإقامة معسكرات جديدة للميليشيا واستقدام مسلحين من خارج الجزيرة بالإضافة إلى إخراج عينات من الأشجار النادرة من جزيرة سقطرى إلى خارج البلاد.

وأوضح وزير الثروة السمكية فهد كفاين، الذي ينتمي لجزيرة سقطرى أيضا، ان محتوى رسالة المحافظ رمزي محروس يكشف عن «انتهاك السيادة اليمنية في أرخبيل سقطرى» من قبل ميليشيا المجلس الانتقالي التابعة للإمارات وقال إن هذه الانتهاكات «تجعلنا في الحكومة أمام مسؤولية تاريخية إزاء ما يحدث».

وتواكبت هذه التصريحات بتحركات سياسية من قبل سياسيين ونشطاء وحقوقيين تطالب بضرورة التحرك الجماعي المشترك لتجميع كافة الأصوات الرافضة لانتهاكات السيادة اليمنية من قبل الأطراف الخارجية وتفعيل هذا التوجه على الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية والدفع بالحكومة الشرعية اليمنية نحو ضرورة العمل على إنهاء مهمة التحالف العربي في اليمن.

Volume 32 - Issue 10045 Sunday 4 October 2020

أمريكا تنقل صراعها مع روسيا والصين إلى شمال أفريقيا

إذا كان ملفا الإرهاب والأزمة الليبية القاسم المشترك في محادثات إسبر مع المسؤولين المغاربيين، فإن حصاد الجولة على صعيد العلاقات الثنائية لم يكن أقل أهمية.

مارك اسبر مع عبداللطيف لودديعي

رشيد خشانة

ثلاثة أيام أمضاها وزير الدفاع الأمريكي مارك إسبر متنقلا بين العواصم المغاربية، كانت كافية لبحث وسائل احتواء التمدد الروسي والصيني في منطقة تعتبرها واشنطن ذات أهمية استراتيجية لمصالحها ومصالح حلفائها في المتوسط. والبلدان الثلاثة التي زارها إسبر شريكة للحلف الأطلسي من دون أن تكون حاصلة على عضويته، إذ تُجري تشكيلات من قواتها مناورات سنوية مع قوات الحلف، في إطار ما يُسمى «الحوار المتوسطي». وشمل هذا «الحوار» منذ العام 1994 ست دول عربية ليست عضوا في الحلف، إضافة إلى اسرائيل، يُغية «تأسيس علاقات جيدة وتفاهما ثنائيا أفضل، إلى جانب الترويج للأمن والاستقرار الإقليمي».

وسبق إسبر إلى المنطقة قائد القيادة الأمريكية لأفريقيا (أفريكوم) الجنرال ستيفن تاونسند، الذي زار المنطقة قبل أسبوع من جولة وزير الدفاع. وقبل أن يُعلن إسبر أن أمريكا تسعى لاحتواء النفوذين الروسي والصيني في شمال أفريقيا، أعلن الجنرال تاونسند لدى تسلمه مهامه في أيار/مايو العام الماضي، أن روسيا والصين تشكلان الخطر الرئيسي على الزعامة الأمريكية في القارة الأفريقية، وإن توقع أن تطيح الصين بروسيا في مجال التبادل التجاري.

اتفاق لعشر سنوات

وإذا كان ملفا الإرهاب والأزمة الليبية القاسم المشترك في محادثات إسبر مع المسؤولين الذين اجتمع معهم خلال جولته المغاربية، فإن حصاد الجولة على صعيد العلاقات الثنائية لم يكن أقل أهمية. وفي المحطة الأولى في تونس، وقع إسبر ونظيره التونسي ابراهيم برتاجي على اتفاق للتعاون في مكافحة الإرهاب، يستمر عشر سنوات. ولم يُكشف عن مضمون الاتفاق، غير أن الوزير إسبر أكد أن الهدف من زيارته هو تعزيز العلاقات مع هذا الحليف «الكبير» في المنطقة، ومناقشة التهديدات التي تشكّلها التنظيمات الجهادية، مثل تنظيمي «الدولة الإسلامية» و«القاعدة» على تونس. ورمى الاتفاق، الذي طلبت مواده طي الكتمان، «إلى مساعدة تونس على حماية موانئها وحدودها ضد الارهاب» على ما قال إسبر. ويُعتبر هذا الاتفاق الأول في نوعه مع الحلفاء الاستراتيجيين لتونس، بمن فيهم فرنسا. إلا أن الاشارة إلى الموانئ والحدود قد تدل على أن التونسيين طلبوا دعما استخباراتيا ولوجستيا من الأسطول السادس الأمريكي في المتوسط، للتوقي من أي عمليات إرهابية قد تأتي من البحر أو من الحدود مع ليبيا.

وكانت مجموعات إرهابية اجتازت الحدود التونسية الليبية في آذار/مارس 2016 بهدف إقامة «إمارة إسلامية» في مدينة بنقردان، إلا أن الوحدات الأمنية والعسكرية، قضت على المهاجمين، بدعم قوي من سكان المدينة، وأسفرت العملية عن مقتل 43 من المهاجمين والقبض على سبعة منهم. في السياق كان الأمريكيون طلبوا من التونسيين، منذ عهد الرئيس الراحل زين العابدين بن علي، نقل مقر القيادة العسكرية الأمريكية لأفريقيا من المانيا إلى تونس، ولم يُستجب لطلبهم. ثم طلبوا من الحكومات التي أتت بعد الإطاحة به، إقامة قاعدة استخباراتية في جنوب البلد لمراقبة الوضع في ليبيا ومنطقة الساحل والصحراء، ولم يُلبَ طلبهم أيضا. إلا أن تونس تحتفظ بعلاقات تعاون متينة مع حلف شمال الأطلسي، وكانت حصلت في العام 2015 على وضع الشريك المفضل من خارج الحلف.

وأكد الأمريكيون أن الاتفاق الذي وقع عليه إسبر، الأربعاء، هو خريطة طريق من أجل تطوير العلاقات من خلال التدريب في حال قررت تونس شراء أسلحة دقيقة. أما السلطات التونسية فأكدت، مرارا، أنه لا توجد قاعدة عسكرية أمريكية على أراضيها، وأنها لن توافق على إقامة كهذا قاعدة مستقبلا. غير أن تقارير إعلامية أمريكية كشفت في العام 2017 أن فريقا عسكريا متخصصا في تسيير الطائرات دون طيار موجود في قاعدة سيدي أحمد، في محافظة بنزرت (شمال).

بعد ذلك أعلنت القيادة العسكرية الأمريكية في أفريقيا في بيان أهمية خاصة بحكم وزنها العسكري وموقعها الاستراتيجي، المُطل على أربعة بلدان في الساحل والصحراء تنشط فيها بكثافة الجماعات الإرهابية وشبكات تهريب السلاح والمخدرات. وشجع الأمريكيون على إنشاء مجموعة «الميدان» التي تضم قوات خمسة بلدان صحراوية بقيادة الجزائر، كما عززوا التعاون العسكري مع الجيش الجزائري الذي عبأ حوالي 40 ألف جندي، لمراقبة حدود يصل طولها إلى 7000 كلم، للحؤول دون تسرب العناصر الإرهابية، المتسللة من جنوب الصحراء.

البنتاغون دعما للجيش التونسي بحوالي مليار دولار منذ ثورة 2011 وفقا لبيان صادر عن «أفريكوم».

تطويق الجماعات المسلحة

ويندرج الاهتمام الأمريكي المتزايد بمنطقة شمال أفريقيا في إطار الاستفادة من موقعها الاستراتيجي لتطويق الانتشار الواسع للجماعات المسلحة في ليبيا، ومنها جنوبا نحو بلدان الساحل والصحراء، بعدما عجز 5100 عسكري فرنسي عن احتواء تلك الشبكات والقضاء عليها. كما يرمي الحضور الأمريكي المتزايد إلى الحد من توسُّع النفوذ الروسي في المنطقة، ولا سيما إثر القمة الأولى الروسية الأفريقية في تشرين الأول/اكتوبر 2019 والتي جمعت عددا كبيرا من الرؤساء الأفارقة. وشعر الأمريكيون أن روسيا، التي ابتعدت عن القارة طيلة ثلاثة عقود، أي بعد انهيار الاتحاد السوفييتي السابق، عائدة إليها بقوة، بعدما استطاعت جمع ذلك العدد الكبير من الرؤساء حول فلاديمير بوتين.

وارتدت زيارة إسبر إلى الجزائر أهمية خاصة بحكم وزنها العسكري وموقعها الاستراتيجي، المُطل على أربعة بلدان في الساحل والصحراء تنشط فيها بكثافة الجماعات الإرهابية وشبكات تهريب السلاح والمخدرات. وشجع الأمريكيون على إنشاء مجموعة «الميدان» التي تضم قوات خمسة بلدان صحراوية بقيادة الجزائر، كما عززوا التعاون العسكري مع الجيش الجزائري الذي عبأ حوالي 40 ألف جندي، لمراقبة حدود يصل طولها إلى 7000 كلم، للحؤول دون تسرب العناصر الإرهابية، المتسللة من جنوب الصحراء.

واستدل مراقبون من المحادثات التي أجراها الوزير الأمريكي إسبر مع الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون (الذي يشغل في الوقت نفسه منصب وزير الدفاع) ورئيس أركان الجيش اللواء سعيد شنقريحة، رغبة واشنطن بمحاصرة النفوذ الروسي، إذ أن الجزائر هي أهم زبون للسلاح الروسي في المنطقة.

الزبون الأول

وإسبر هو أول وزير دفاع أمريكي يزور الجزائر منذ زيارة كسبار واينبرغر لها قبل 14 عاما. غير أن العلاقات بين الجانبين ظلت متينة طيلة السنوات الماضية، بحكم التعاون المستمر في مكافحة العناصر والجماعات الإرهابية في المتوسط، وفي منطقة الساحل. وإذا كانت الجزائر أهم زبون للأسلحة الروسية في شمال أفريقيا، فإن أمريكا ما زالت تراهن على كسب ود الجزائريين كي يُقبلوا على شراء أسلحتها. وكانت الجزائر اتفقت أخيرا مع روسيا على صفقة لشراء 18 طائرة حربية من طراز «سوخوي 35». وتعزو أوساط جزائرية مسؤولة هذه الصفقة إلى ضرورة تعويض الطائرات الاعتراضية ميغ 25 القديمة، التي انتهى عمرها الافتراضي، والتي من المقرر أن تُسحب من الخدمة مع أواخر العام الجاري. وحسب رئيس مجموعة التصنيع العسكري الروسية «روسوبورون إكسبورت» تأتي الجزائر في الرتبة الثالثة عالميا، بين زبائن «سوخوي 35» التي تُعتبر فخر الصناعة الحربية الجوية الروسية، لكونها مُتعددة الوظائف، وقادرة على حمل ثمانية أطنان من الأسلحة، ومُجهزة برادار متطور.

وجرب الجزائريون هذا النوع من الطائرات، منذ عشر سنوات، لدى شرائهم الدفعة الأولى من «سوخوي 34». وتُصنف الجزائر اليوم باعتبارها القوة العسكرية الرابعة في أفريقيا، من حيث عدد أفراد القوات المسلحة. أما من حيث الاعتمادات المخصصة لموازنة الدفاع، فتتبوأ الجزائر الرتبة الأولى بحوالي 6 مليارات دولار (5 في المئة من المنتوج الوطني الخام).

وختم إسبر جولته المغاربية في الرباط، الحليف التاريخي القوي للولايات المتحدة. ويُعتبر المغرب حليفا استراتيجيا وزبونا وفيًا لأمريكا منذ أيام الحرب الباردة. وتشير إحصاءات تخص صفقات التسلح، المُبرمة خلال السنوات الماضية، إلى أن 91 في المئة من واردات السلاح المغربية مصدرها أمريكي. وكانت الادارة الأمريكية وافقت على بيع المغرب 36 مروحية من طراز «أباتشي» بمبلغ 4.25 مليار دولار، و24 مقاتلة من طراز أف 16 و24 طائرة تدريب، بالإضافة لتجديد 200 دبابة قديمة من طراز «أبرامز». كما طلبت الرباط شراء صواريخ أرض جو وأنظمة اتصال داخلي، وأجهزة خاصة بمراقبة الملاحة، بالاضافة إلى قطع الغيار.

اتفاق الصخيرات

استأثرت ثلاثة ملفات بمحادثات إسبر مع القادة المغاربة، وهي تطوير التعاون الثنائي العسكري والأمني، وتكثيف التنسيق لمحاربة التنظيمات الإرهابية، بالإضافة إلى تطورات الملف الليبي، الذي يلعب فيه المغرب دورا بارزا، باستضافة محادثات 2015 التي أسفرت عن اتفاق الصخيرات، وأخيرا لقاءات بوزنيقة، التي تمهد لتسوية سلمية للنزاع. وكان وزير الخارجية الأمريكي مايك بومبيو ناقش هذه القضايا مع كبار المسؤولين المغاربة، خلال زيارة رسمية للرباط في كانون الأول/ديسمبر الماضي.

واسوة بتونس وقع المغاربة اتفاقا للتعاون العسكري مع الوزير الأمريكي لتعزيز التنسيق المتطور أصلا، إذ يحتضن المغرب كل سنة، مناورات الأسد الأفريقي، بإشراف القيادة العسكرية الأمريكية لأفريقيا، وهي العملية التي الغيت هذه السنة جراء وباء كوفيد–19. وينظر الأمريكيون بإيجابية إلى احتضان المغرب «الحوار الليبي» في مدينة بوزنيقة بداية الشهر الماضي، والذي انتهى بالتوصل إلى اتفاق إطاري يحدد «المعايير والآليات الشفافة والموضوعية لتولي المناصب السيادية».

وتزامنت زيارة إسبر للرباط الجمعة مع انطلاق الجولة الثانية من محادثات بوزنيقة، بمشاركة وفد من المجلس الرئاسي وآخر من البرلمان، والتي يُفترض أن تخصص بشكل أساسي لبحث المادة 15 من الاتفاق السياسي الليبي الموقع بالصخيرات، والتي تتمحور حول ما تسمى المناصب السيادية، ومنها رئيس البنك المركزي الليبي ورئيس هيئة مكافحة الفساد، ورئيس مجلس الحوكمة، ورئيس المفوضية العليا للانتخابات، والمدعي العام، وكذلك رئيس المجلس القضائي. وأتت الجولة الثانية من المفاوضات السياسية بوزنيقة، على إثر اللقاء الذي احتضنته مدينة الغردقة المصرية، والذي ركز على الملف الأمني، فيما تتواصل دعوات الحكومة المعترف بها دوليا، برئاسة فائز السراج، وأطراف دولية عدة، إلى ضرورة وقف نهائي لإطلاق النار على جبهة سرت من أجل إنجاح مخرجات الحوار السياسي

حدث الأسبوع

«فتح» و«حماس» تقارب نحو المصالحة بعيدا عن الوصاية والرعاية العربية

غزة ـ «القدس العربي»:
أشرف الهور

تستعد القيادة الفلسطينية والفصائل، لعقد لقاء ثاني للأمناء العامين للفصائل خلال الأيام المقبلة، من أجل إقرار جملة من التفاهمات التي جرت خلال لقاءات مطولة دامت على مدار يومين بين وفدين من «فتح» و«حماس» عقدت في القنصلية الفلسطينية في اسطنبول، وأطلعت عليها باقي الفصائل، من أجل طي سنوات الانقسام، تكون ركيزتها الأساسية إجراء الانتخابات العامة بشكل متتالي، وذلك بعد أن قرر الفلسطينيون، الخروج من عباءات الرعاية العربية للمصالحة.

تفاهمات وأجواء إيجابية

وفي هذه الأوقات تسود الشارع الفلسطيني أجواء إيجابية، لم تعهد من قبل، جاءت على ضوء التفاهمات الأخيرة بين حركتي فتح وحماس، في مدينة اسطنبول التركية، والتي يتطلع الفلسطينيون لأن تطوي سنوات من الخلافات، وتمهد لوحدة وطنية، ستكون المتغيرات الإقليمية وأولها تطبيع أنظمة عربية علاقاتها مع الاحتلال، وخطط التوسع الاستيطاني والضم، سببا رئيسيا فيها.

والمعروف أن التقارب الحاصل حاليا بين فتح وحماس، كبرى التنظيمات الفلسطينية، جاء بعد جملة اتصالات بين فريقين من قياديين، حيث نجم في بداية التوافقات ترتيب فعاليات وطنية جماهيرية منددة بـ «صفقة القرن» الأمريكية، وبخطط التطبيع العربية، حتى نضجت تلك الاتصالات، لتتلوها مشاركة حماس في اجتماع القيادة الفلسطينية، المعارض لاتفاقيات التطبيع، قبل أن يجري الاتفاق بعد غياب دام سبع سنوات، ترتيب عقد لقاء للأمناء العامين للفصائل، برئاسة الرئيس محمود عباس ما بين رام الله وبيروت، وما تخلله من توافقات على تشكيل لجنة تقدم رؤية للمصالحة الشاملة.

وفي خضم الترتيب لتشكيل اللجنة، ومن أجل إنجاح عملها، عقدت حركتا فتح وحماس في مقر السفارة الفلسطينية في اسطنبول، وبعيدا عن أي رعاية سواء عربية أو إقليمية، جلسات حوار أساسها العمل الثنائي، وقد تمكنتا هذه المرة، ورغم عدم تضمن الجلسات للمرة الأولى وجود وسطاء، تقريب وجهات النظر كثيرا حيال العديد من المسائل التي كانت تشكل سابقا «برميل بارود» كان الجميع يخشى الاقتراب منه خوفا من الانفجار، علاوة عن توافقهم على عقد اجتماع جديد وقريب للأمناء العامين، لإقرار التفاهمات لتخرج في شكل وطني موحد، ضمن رؤية المصالحة، التي تهدف إلى تسوية الخلافات، ودخول حماس في منظمة التحرير الفلسطينية.

وفي هذا السياق، قال جبريل الرجوب رئيس وفد فتح في حوارات اسطنبول، وهو يتحدث عما حصل في تركيا، أنه تم التوافق مع قيادة حركة حماس على إجراء الانتخابات الفلسطينية متتابعة، مجلس تشريعي، تليها الانتخابات الرئاسية، ثم انتخابات المجلس الوطني، لافتا إلى أن الانتخابات ستكون على أساس التمثيل النسبي، ووفق تدرج مترابط لا يتجاوز الـ6 أشهر، وقال «توافقنا على أن الانتخابات بالتمثيل النسبي هي الطريق لبناء النظام السياسي وتحقيق الشراكة السياسية».

الانتخابات أساس الحل

وأشار وهو يشرح ما حصل هناك على مدار يومين، أنه جرى حوار وطني استراتيجي مكثف، وتم التوصل لرؤية واضحة آليات بناء الشراكة الوطنية من خلال انتخابات وفق التمثيل النسبي، لافتا إلى أنه سيصار خلال الأيام المقبلة تطوير آليات لبناء الشراكة من خلال انتخابات عامة. وحول نتائج الانتخابات، حال أجريت، أوضح الرجوب أن فتح متمسكة بمخرجات الانتخابات التشريعية التي قال إنه يتوجب أن «تُشكل حكومة ائتلاف وطني».

وفي المقابل، تشابهت تصريحات ومواقف قادة حماس تماما مع تصريحات قيادة حركة فتح حيال المصالحة، في مشهد يعكس مدى التقارب الحاصل حاليا بينهم، وقال عضو المكتب السياسي لحركة حماس حسام بدران، الذي شارك في الحوارات الأخيرة، إنها ركزت على مناقشة كيفية تطبيق مخرجات اجتماع الأمناء العامين، و«استكمال هيكلية القيادة الموحدة للمقاومة الشعبية التي اتفقنا على تشكيلها، والوصول إلى شراكة وطنية كاملة في جميع الملفات».

وأكد أن الحوار في اسطنبول هو «استكمال لما اتفقنا عليه في اجتماع الأمناء وأنه جرى خلاله التوافق على ضرورة العودة للشعب الفلسطيني صاحب الحق الأصلي والوحيد في اختيار قيادته، وتمثيلها في المؤسسات من خلال الانتخابات». وأضاف «نريد الذهاب إلى الانتخابات بقدر كبير من التوافق، يتيعها تشكيل وحدة وطنية فلسطينية يشارك فيها كل أطياف الشعب الفلسطيني، الذين فازوا في الانتخابات وغيرهم، وأكد أن الحركتين توافقتا على تنفيذ خطوات لتهيئة الأجواء، والا تنظم هذه الانتخابات إلا بعدما يشعر بالنسبية الكاملة، تكون البداية للتشريعية منها، ثم الرئاسية، بمدة ثلاثة أشهر، حيث تعثرت بعد ذلك الاتصالات حول الأمر، بسبب وجود خلافات فنية بين الطرفين، ولعدم حصول القيادة الفلسطينية على ضمانات لعقدها في القدس المحتلة.

وينتظر حاليا أن يصار إلى عقد اجتماع قريب للأمناء العامين للفصائل، يخطط لأن يكون في بدايات تشرين الأول/أكتوبر الجاري، ليعقد عبر تقنية الربط التلفزيوني ما بين رام الله وعاصمة خارجية، ربما تكون بيروت، أو من خلال مشاركة الأمناء العامين كل شعبنا بالثقة في نجاح هذه الخطوة.

يشار إلى أن التفاهمات التي جرى التوصل إليها بين فتح وحماس في اسطنبول، بشأن الانتخابات، جاءت امتدادا لتلك التفاهمات التي جرى التوصل إليها في تشرين الثاني/نوفمبر من العام الماضي، عقب جولة محادثات قادها وقتها رئيس لجنة الانتخابات المركزية حنا ناصر، بتكليف من الرئيس عباس، وحصلت على موافقة من الفصائل بما فيها حماس على انتخابات حسب مكان إقامته الحالية، ليجري خلاله طرح ما جرى التوافق عليه مؤخرا بين فتح وحماس، بعد أن عقدت الحركتان اجتماعات ومشاورات داخلية ناقشت بدقة تفاهمات اسطنبول، حيث أعلنت تلك التفاهمات.

وأكد عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، عزام الأحمد، إنه تم قبل إن اللقاء بين حركته وفتح كان «في ضيافة الإخوة في تركيا ولم نكن تحت رعايتهم، بمعنى أنّ الحوار كان فلسطينيا–فلسطينيا خالصا» وأضاف «نحن نقيم حوارا فلسطينيا–فلسطينيا صرفًا بدون تدخّل من أحد، واللقاءات جرت في مقري السفارة الفلسطينية في بيروت، والقنصلية الفلسطينية في إسطنبول» وأوضح بدران أن التقارب مع حركة فتح بدأ قبل ثلاثة أشهر، وأن ما سرّع هذا التقارب هو ما وصلت له القضية من محاولة تصفية من خلال صفقة القرن، ومخطط الضم، ومشاريع التطبيع.

المصالحة عام 2011 وأشار إلى أن الرئيس عباس دعا الأمناء العامين للفصائل الفلسطينية لاجتماع، تمهيدا لإصدار مرسوم رئاسي يحدد موعدا للانتخابات التي ستعقبها «حكومة شراكة وطنية» ومعالجة آثار الانقسام، مؤكدا أن هذا الاتفاق يأتي للتصدي إلى «صفقة القرن» ومواجهة الهرولة للتطبيع مع الاحتلال من قبل بعض الدول العربية، ولفت إلى أن الاحتلال سيضع كافة العراقيل في مواجهة اتفاق المصالحة الفلسطينية، وفي وجه إقامة الانتخابات التشريعية.

ترحيب واسع

ولاقت التفاهمات الأخيرة التي جرت بعيدا عن أجواء الرعاية، ترحيبا من كافة الأطراف الفلسطينية، وأكد إسماعيل هنية رئيس المكتب السياسي لحركة حماس، أن حركته أولت تحقيق الوحدة الوطنية اهتماما استثنائيا، خاصة وأن القاعدة السياسية للحوار الجاري انطلقت من الموقف الفلسطيني الموحد برفض «صفقة القرن» وخطة الضم ومسار التطبيع، وسبل مواجهة هذه التحديات الخطيرة ميدانيا وسياسيا في إطار بناء جبهة فلسطينية موحدة تتصدى للتهديدات الاستراتيجية التي تحيط بقضيتنا الفلسطينية، وتستهدف ركائزها الأساسية المتمثلة في القدس والأرض واللاجئين، وأشار إلى أن «التفاهم الإيجابي» الذي أنجز في تركيا «مستند في محاوره الأساسية لاتفاقيات القاهرة التي وقعت في مدد سابقة، وخاصة الاتفاق الشامل 2011».

وكان رئيس الحكومة الفلسطينية حمد اشتية رحب بـ«الأجواء الإيجابية» بين فتح وحماس، وأعلن استعداد الحكومة لتوفير كل متطلبات إنجاح تلك الانتخابات، باعتبارها «بوابة لتجديد الحياة الديمقراطية، وتصليب جدار الوحدة الوطنية» وفي هذا السياق أيضا أكد عضو اللجنة المركزية لحركة فتح حسين الشيخ، على أن الرئيس محمود عباس، مصر على انجاز الوحدة الوطنية وتحقيق الشراكة السياسية على أسس واضحة ومتفق عليها، لمواجهة كل المؤامرات ومشاريع تصفية القضية الفلسطينية، وشدد على أن الفرصة التي تأتي ربما لا تعود، والاجماع الفلسطيني الذي تجلى برفض «صفقة القرن» هو الذي أعطى بارقة الأمل والضوء والاستشعار عند الرئيس، ومباشرة دعا لاجتماع الأمناء العامين ليبني بمجموعة من الخطوات لتمتين الجبهة الداخلية والوحدة والشراكة السياسية، وبعث الشيخ برسالة طمأنينة، وقال «نحن ذاهبون للشراكة، والانتخابات، ورسالة نوجهها لحماس والتنظيمات، وإذا نحن فزنا بالانتخابات ذاهبون إلى حكومة وحدة، وإذا غيرنا فاز فهم أحرار، وإذا دعونا لحكومة وحدة سنذهب معهم».

كما رحبت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية على لسان حنان عشراوي، بالأجواء الإيجابية التي طغت على الحوار بين حركتي فتح وحماس، وما انبثق عنها من مخرجات تهدف لبناء شراكة وطنية تنهي الانقسام وتقود نحو إجراء الانتخابات باعتبارها سبيلاً لتجديد الشرعية الديمقراطية للمنظومة السياسية، وقالت في تصريح صحافي «هذا التطور الإيجابي خطوة على طريق إنهاء حالة التشرذم، واستعادة الوحدة الوطنية وتحقيق المصالحة باعتبارها مطلبا شعبيا، وطريقا نحو توحيد العمل الفلسطيني المشترك» في مواجهة الخطر المحدق الذي يهدد القضية الفلسطينية.

انزعاج الجامعة العربية

وقد بدا عقد الاجتماعات بدون رعاية وعلى أراضي تركيا، مزعجا لأطراف عربية، عبر عنه الأمين العام للجامعة العربية أحمد أبو الغيط الذي توجهت بسبب مواقفه هذه وتلك التي أيد فيها اتفاقيات التطبيع، انتقادات فلسطينية حادة، شككت في أمانته للجامعة العربية ودعت لاستقالته، وقد ظهر الأمين العام على أحد الفضائيات الإمارتية وقال «كنت أتصور أن وفد حماس يسافر إلى رام الله ويجتمع بالأخوة في رام الله، أو وفد السلطة يسافر إلى غزة ويجتمع هناك أو في القاهرة أو أي دولة عربية مستعدة لاستضافة هذا الاجتماع» منتقدا عقده في تركيا.

وقد جاء الرد بشكل متوافق من فتح وحماس، خاصة بعد أن قام وفد من الحركة بزيارات لكل من قطر ومصر، بعد لقاءات اسطنبول، لإطلاع قادة البلدين على نتائج الحوارات من أجل دعم المصالحة، حيث قال الرجوب باسم حركتي فتح وحماس أنه لا خلاف على دور مصر اطلاقا، وقال «لا نستطيع ان نستغني عن دورها الإقليمي فيما يتعلق بالوحدة الفلسطينية، والاتفاق على آليات المتابعة، وفي مشروعنا الوطني» لكنه قال إن هناك «منهجية جديدة» تتم الآن بـ«الحوار الثنائي الفلسطيني، وبدون وصاية ورعاية وبدون تدخل من أي كان» وأضاف الرجوب «إن حركة حماس متفقة معنا على دور مصر الريادي، وأبلغنا المسؤولين المصريين بذلك، وأن حوارنا فلسطيني–فلسطيني».

وقد أكد الموقف ذاته القيادي في حماس، حسام بدران، حين قال إن اللقاء بين حركته وفتح كان «في ضيافة الإخوة في تركيا ولم نكن تحت رعايتهم، بمعنى أنّ الحوار كان فلسطينيا–فلسطينيا خالصا» وأضاف «نحن نقيم حوارا فلسطينيا–فلسطينيا صرفًا بدون تدخّل من أحد، واللقاءات جرت في مقري السفارة الفلسطينية في بيروت، والقنصلية الفلسطينية في إسطنبول» وأوضح بدران أن التقارب مع حركة فتح بدأ قبل ثلاثة أشهر، وأن ما سرّع هذا التقارب هو ما وصلت له القضية من محاولة تصفية من خلال صفقة القرن، ومخطط الضم، ومشاريع التطبيع.

القيادات الفلسطينية وسجالات جنس الملائكة

صبحي حديدي

على امتداد 13 سنة أعقبت الشقاق العميق بين «فتح» و«حماس»، دخل الفلسطينيون في حوارات وطنية داخلية، مراراً وتكراراً، في القاهرة ومكة وصنعاء وموسكو ثمّ اسطنبول مؤخراً، عدا رام الله وغزّة؛ شارك فيها أعضاء رسميون في السلطة الوطنية، فضلاً عن قيادات في «منظمة التحرير الفلسطينية» والحركات والفصائل المختلفة. وخرجت عن هذه الحوارات اتفاقيات شتى، ومذكرات تفاهم، ومواثيق وتعهدات؛ وبقيت النار ذاتها كامنة تحت الرماد، تخمد تارة ويتقد أوارها تارة أخرى.

كذلك وصلت هذه الحال إنتاج، وإعادة إنتاج، مسببات الاستعصاء الموضوعية والذاتية على حدّ سواء، والتي تشمل الجميع عملياً؛ مع حصص أثقل ظلت واقعة على عاتق «فتح» و«حماس»، ليس لجهة الخلافات الميدانية والعقائدية والتنظيمية بين الحركتين، فحسب؛ بل كذلك لأنّ كلا التنظيمين انقلب إلى واجهة للسلطة السياسية والأمنية، وفقد الكثير من ركائز الوجود الشعبية، ثمّ النضالية التي تتصل بواقع الاحتلال الإسرائيلي وموجبات الصمود والمقاومة.

وإذا صحّ أنّ حكومة اسماعيل هنية قد انقلبت، عشية الشقاق الكبير، إلى استطالة بيروقراطية للجهاز الأمني/ العسكري الحماساوي، الذي بلغ ذروة قصوى دموية في إبطال القرار الشعبي الفلسطيني الذي جاء بـ«حماس» إلى الحكومة عبر صندوق الاقتراع؛ فإنّ حكومة رام الله كانت، في المقابل، قد انقلبت بدورها إلى محض استطالة بيروقراطية للجهاز الرئاسي الذي سكت تماماً، لكي لا نقول إنه شجّع، الذروة القصوى الدموية التي بلغتها أجهزة محمد دحلان في حينه، اقتفاءً للغرض ذاته في الواقع: أي إبطال الفعل الديمقراطي الشعبي الذي، في جزء جوهري منه، اختار «حماس» على سبيل عقاب «فتح».

وكان مثيراً للعجب، وبعض الإشفاق أيضاً، أن يلمّح الرئيس الفلسطيني محمود عباس (الذي يشغل المنصب منذ 15 سنة بالتمام والكمال!) إلى ارتباط «حماس» بجهات إقليمية، في ما يشبه التأكيد على أنّ «المخطط المعدّ سلفاً»، وتوافقت عليه قيادة حماس في الداخل والخارج مع بعض الأطراف الإقليمية «كان أسبق من محاولاتنا لتجنيب شعبنا الويلات والنكبات». ذلك لأنّ عباس كان الأشطر، بلا منازع، في التعاطي مع الأنظمة العربية كافة، بما في ذلك النظام السوري؛ كما أنّ الإيحاء بأنّ الحمساويين سبقوا الدحلانيين على تلك الشاكلة الخاطفة، في غزّة 2007، كان يُغفل حقيقة أنّ الفريق الأوّل واقع تحت الحصار والفريق الثاني يتلقى مساعدات مالية وعسكرية واستخباراتية.

تقلبت «فتح» مراراً منذئذ، وكذلك فعلت «حماس»، فلم يقصّر عباس زكي القيادي الفتحاوي المخضرم في امتداح نظام بشار الأسد حين كان الأخير لا يُبقي حجراً على حجر في مخيم اليرموك، ولم يتأخر هنية في مغازلة مصر وإيران و«حزب الله» والنظام السوري ذاته؛ على خلفيات مزمنة ظلت هي معايير الاستعصاء الكبرى: غياب الديمقراطية الداخلية، هيمنة الفساد والشللية والتبعية، نقل البندقية من كتف إلى كتف بسهولة لا تجاريها إلا سرعة قلب معاطف الولاء على قفاها، وممارسة سياسات داخلية في القمع والتنكيل وكمّ الأفواه وقهر الحريات لا تختلف كثيراً عن أعتى أنظمة الاستبداد العربية...

والآن وقد قرعت هرولات التطبيع العربية ناقوسَ الخطر، فقد أسفرت حوارات اسطنبول عن إقرار بضرورة إجراء انتخابات تشريعية ورئاسية خلال ستة أشهر. وهذا أمر لا يأخذ صفة تحصيل الحاصل (كما ينبغي له في الواقع، بعد عطالة 15 سنة، عدا غياب انتخابات المجلس الوطني والمجلس المركزي)، بقدر ما يشير إلى مفارقة استحقاق مفوّت، مستعصٍ بدوره، يأتي ولا يأتي.

ولا يُحسد المواطن الفلسطيني، في أربع رياح الأرض بالطبع، على هذا الطراز من الحوارات التي يصعب تماماً ألا توضع على خلفية إخفاقات الماضي، القريب أو البعيد؛ فكيف وقيَم القضية الفلسطينية، الفعلية والرمزية، تخضع اليوم لتهديم منهجي منظم تقوده مراكز التطبيع، ولا تردّ عليه القيادات الفلسطينية بما هو أكثر رصانة وجدّية من سجالات... جنس الملائكة!

اتفاق المصالحة الفلسطينية:
ما هي الخطوة المقبلة وهل ينجح في إنهاء الانقسام؟

الحوار الفلسطيني

لندن – «القدس العربي»:

شكّل الاتفاق الذي تم التوصل له بين حركتي فتح وحماس في مدينة اسطنبول التركية، تحولاً جديداً في ملف العلاقات الداخلية الفلسطينية، وفتح الباب مجدداً أمام مصالحة قد تكون تاريخية بعد أكثر من 13 عاماً على الانقسام الذي تسبب بالكثير من المتاعب للفلسطينيين، لكنَّ هذا الاتفاق ترك وراءه سؤالاً حول الخطوة المقبلة، وحول جدية الأطراف المتصارعة في تسوية الخلاف، ومستقبل هذه المصالحة إن كانت ستنجح أم ستفشل كما المحاولات السابقة.

ويأتي اتفاق المصالحة الذي تم التوصل له في اسطنبول في ظل ظرف فلسطيني ودولي غير مسبوق، حيث أن أهم ما يميزه هو أنه يأتي في أعقاب إعلان الولايات المتحدة عن «صفقة القرن» وبعد القرار الإسرائيلي بضم مناطق واسعة من الضفة الغربية، وكذلك بالتزامن مع موجة التطبيع العربي الجديدة والتقارب غير المسبوق مع إسرائيل، وهو ما أشعر الفلسطينيين جميعاً بأنهم مستهدفون وأنهم يواجهون خطراً وجودياً غير مسبوق.

كما جاء الاتفاق بين حركتي فتح وحماس في أعقاب التصريح اللافت الذي أدلى به السفير الأمريكي في تل أبيب ديفيد فريدمان، والذي قال فيه إن الولايات المتحدة تدرس استبدال الرئيس الفلسطيني محمود عباس بالقيادي السابق بحركة فتح والمقيم في الإمارات محمد دحلان، وهو التصريح الذي أثار جدلاً واسعاً في الشارع الفلسطيني بسبب أنه كشف عن نوايا أمريكية غير مقبولة تجاه السلطة في رام الله، ما يعني أن واشنطن تريد الإطاحة بحركتي فتح وحماس معاً ولا تفرق بينهما ما دامتا ترفضان «صفقة القرن».

وقال مصدر مقرب من اللقاءات التي جرت في اسطنبول لـ«القدس العربي» إن «الأجواء كانت ايجابية جداً وبدا الطرفان أكثر تقبلاً لبعضهما من أي وقت مضى».

وأشار المصدر الذي حضر جانباً من اللقاءات إلى أن القيادي في حركة فتح جبريل الرجوب، كان منفتحاً وأبدى ارتياحاً من اللقاءات التي أجراها مع مسؤولي حماس، كما أنه «أجرى عدداً من اللقاءات الصحافية والتلفزيونية من وسائل إعلام مقربة من حماس أو تمثل حركة حماس بشكل مباشر» لافتاً إلى أن «هذه الحوارات لم تكن في السابق لتتم، حيث لم يكن مراسلو هذه المؤسسات يطلبون لقاءات مع قادة فتح ولم يكن أيضا أي من قادة فتح يوافق على الحديث لهذه المؤسسات إن طلبت».

> التوافق الداخلي الفلسطيني سيكون على حساب التدخلات العربية

تفاهمات مبدئية

وحول مستقبل المصالحة قال القيادي في حركة فتح بالضفة الغربية منير الجاغوب إن «ما حدث في اسطنبول كان مجرد تفاهمات مبدئية لكنها بكل تأكيد ستقود إلى ما هو أكبر من ذلك».

وأكد الجاغوب في تصريحات خاصة لـ«القدس العربي» إن «اللقاءات كانت ايجابية جداً، وكان هناك انفتاح من كل الأطراف، وكان الكل متفق على أنه يجب التوصل إلى وحدة فلسطينية شاملة وأن يكون الجميع متحدون في مواجهة التحديات التي تعصف بنا».

وأضاف: «إذا لم تتوحد الفصائل الفلسطينية في الوقت الراهن فما الفائدة لاحقاً؟ نحن في مرحلة حساسة جداً ولم يمر علينا كفلسطينيين أسوأ من الوضع الحالي».

وشدد الجاغوب على أن «اللقاءات كانت ايجابية لكن المطلوب الآن أن تنعكس أفعالاً على الأرض. يجب الآن الاتفاق على انتخابات، وهذا ضروري حتى يقتنع الشارع الفلسطيني أنَّ فتح وحماس جادين بالمصالحة، لأنَّ الشارع يترقب جدية اللقاءات، وهذا هو السبب في عدم خروج مظاهرات ولا حراك في الشارع».

من جهته، يقول المحلل السياسي والكاتب الفلسطيني المقيم في اسطنبول إبراهيم المدهون إن «الفلسطينيين أمام حوار جدي جرى في اسطنبول وما زال مستمراً، وما يميز هذا الحوار أنه من غير وسيط إقليمي ومن دون تدخلات عربية، وأيضاً بإرادة فلسطينية نابعة من الشعور بالتهديد والخطورة التي نتجت عن الإعلان عن صفقة القرن وموجة التطبيع العربي ومحاولة بعض الأنظمة العربية للقفز عن الفلسطينيين، وكذلك التهديد الذي يتعرض له الرئيس عباس، إضافة إلى أن حركة حماس تشعر أيضاً بالمخاطر ذاتها وبضرورة إنهاء الحصار المفروض على قطاع غزة».

وأضاف: «أعتقد أن هناك الآن نوايا جدية وحقيقية وعوامل داخلية فلسطينية تدفع نحو المصالحة، لكن بالمقابل هناك هذه الحوارات جرت في تركيا وهو ما أثار حفيظة بعض الأنظمة العربية التي تحاول احتكار القضية الفلسطينية».

وحسب المدهون فإنه «لا شك أن التوافق الداخلي الفلسطيني سوف يكون على حساب التدخلات العربية وعلى حساب التلاعب الإسرائيلي بالمتناقضات الداخلية الفلسطينية».

لكن المدهون يقول إن «هذا الاتفاق ما زال بحاجة إلى العرض على باقي الفصائل الفلسطينية، أما الرئيس عباس فكان واضحاً في موقفه عندما قال إنه سيقبل بنتائج الحوار وسوف يدعم أي توافق، وحركة حماس معنية بأن يكون الرئيس عباس موجودا وأن يتم تعزيز سلطاته بعد مواقفه الرافضة لصفقة القرن واستعداده لدعم المقاومة الشعبية، فضلاً عن أن حماس ترفض أي تدخل خارجي للإطاحة بالرئيس عباس».

وكانت حماس وفتح قالتا في بيان مشترك إنهما اتفقتا على «رؤية» ستقدم لحوار وطني شامل بمشاركة القوى والفصائل الفلسطينية، وذلك في ختام لقاءات جمعتهما في مقر القنصلية العامة الفلسطينية في مدينة اسطنبول التركية.

وأضاف البيان: «جرى إنضاج رؤية متفق عليها بين الوفدين، على أن تقدم للحوار الوطني الشامل بمشاركة القوى والفصائل الفلسطينية».

وذكر أن «الإعلان النهائي والرسمي عن التوافق الوطني» سيكون في لقاء جديد للأمناء العامين للفصائل، سيعقد تحت رعاية الرئيس الفلسطيني محمود عباس.

تريد السلطة الفلسطينية بـ«رأسين وبلا عقل»

إسرائيل بين حماس وعباس:
صب دائم للماء على طاحونة الانقسام الفلسطيني

الناصرة – «القدس العربي»: وديع عواودة

حينما نشبت حرب العرق وإيران في 1978 تمنى رئيس حكومة الاحتلال وقتها مناحم بيغن أن تطول أكبر مدة ممكنة راجيا «النجاح للطرفين» اللذين طالما ناصبا العداء لإسرائيل منذ سقوط نظام الشاه. وهكذا في الحالة الفلسطينية منذ الانقسام الكبير في الحركة الوطنية بين «فتح» و«حماس» في 2007 فقد استغلته إسرائيل بطبيعة الحال لتكريسه وتعميقه وإبعاد طرفيه عن طريق السواء والرجعة للوحدة الوطنية على مبدأ «فخار يكسّر بعضه» كما يقول المثل الشعبي. ولم تنتظر إسرائيل أصلا الانقسام في الساحة الفلسطينية، بل طالما بادرت لتفريق صفوف أبناء الخندق الواحد والشعب الواحد والقضية الواحدة من باب «فرقّ تسد» كما كان يؤكد أيضا المؤرخ الإسرائيلي دكتور ميرون بينبينشتي، الذي رحل الأسبوع الماضي. في محاضراته خلال السنوات الأخيرة كان بينبينشتي يقول إن إسرائيل لم تكتف بوجود سلطة فلسطينية ضعيفة برأسين وبلا عقل، بل عملت على تجزئة الشعب الفلسطيني لخمسة شعوب: غزة، والضفة، والقدس، والداخل والشتات. موضحا أن الهدف غير المعلن لدى إسرائيل هو احتلال وعي الفلسطينيين بعد احتلال الجغرافيا، كي تتناثر القضية الفلسطينية وتنحصر في فلسطينيي الضفة الغربية ربما فيسود شعور بالاعتراف لدى كل مجموعة فلسطينية حيال المجموعات الأخرى. من الطبيعي أن تعتبر إسرائيل مساعي استعادة الوحدة الآن بين فتح وحماس أخبارا غير سارة، ولذا فهي تسعى لإفشالها بشتى السبل من آخرها اعتقال القيادي الشيخ حسن يوسف من منزله في مدينة رام الله كجزء من هذه المساعي كما أكدت الحركتان حماس وفتح. وأكدت حركة حماس إن هذه الحملة الاحتلالية لن تفلح في ثني أبناء الحركة وقياداتها عن دورهم الطليعي في مواجهة مشاريع الاحتلال والتصدي لها. وشددت على أن اعتقال الاحتلال الشيخ حسن يوسف لن يوقف مسار الوحدة الذي عمل هو من أجله طوال الشهرين الماضيين اللذين قضاهما في الحرية، وما تعرض خلالهما من ضغوط وتهديدات من الاحتلال عبر الاستدعاء المتكرر، ونوهت الحركة أنه كان يجوب الضفة من شمالها لجنوبها مشاركا في الفعاليات الوطنية. من جهته، أدان أمين سر اللجنة المركزية لحركة فتح اللواء جبريل الرجوب، قيام الاحتلال الإسرائيلي يوم الجمعة باعتقال القيادي في حركة «حماس» حسن يوسف.

سلام مع إسرائيل أو مع الإرهاب؟

وأكد الرجوب أيضا أن هذا الاعتقال هو استمرار لنهج الاحتلال في اعتقال العشرات من أبناء شعبنا الفلسطيني يوميا، واستمرار للعدوان المتواصل على شعبنا منذ عقود، ويأتي في إطار محاولات العبث بالساحة الفلسطينية، ومحاولة للتأثير على إنجاز الوحدة الوطنية. في المرات السابقة هاجمت إسرائيل بقوة كل فكرة أو خطوة نحو المصالحة الفلسطينية، ومشهورة في هذا السياق المقولة الديماغوجية التي كان يطلقها رئيس حكومتها بنيامين نتنياهو، بأن على السلطة الفلسطينية أن تختار بين «الإرهاب أو السلام». لكن مساعي الاحتلال المفهومة لتكريس الفتنة قد سبقت نتنياهو. منذ سيطرة حركة حماس على قطاع غزة عام 2007 وبداية الانقسام السياسي– الجغرافي في الحركة الوطنية الفلسطينية، تحول الانقسام إلى ركن أساس من استراتيجية إسرائيل تجاه الفلسطينيين، فمن جهة أرادت إسرائيل الحفاظ وتعزيز الانقسام الفلسطيني، ومن جهة أخرى أرادت إضعاف طرفيّ الانقسام، الأول من خلال محاصرته اقتصاديا وجغرافيا، والثاني من خلال محاصرته سياسيا. وبصرف النظر عن هوية حكومتها اعتبرت إسرائيل أن الانقسام الفلسطيني المترتب على حالة وجود حكومتين منفصلتين هو مصلحة إسرائيلية كبرى، إذ أنه يعني تشتيت جهود بناء الدولة الفلسطينية، بل إنها كثفت مزاعمها بأن هذه الدولة لم تعد ممكنة واقعياً في ظل وجود نظامين سياسيين مختلفين. كما أن تعزيز حالة الانقسام تصب الماء على طاحونة الدعاية الإسرائيلية بالتعامل أنه لا يمكن إقامة دولة على منطقتين منفصلتين ويخلق مع الوقت سياقات سياسية ومؤسساتية تجعل من توحيد الأطر الإدارية والأمنية أمراً مستحيلا. استماتت إسرائيل بقيادة نتنياهو في شتى السبل لتكريس الانشقاق لأنها تساعد في تحقيق مقاربتها حول إدارة الصراع من خلال إدارة العلاقة اليومية مع حماس في غزة وإدارتها في الضفة مع السلطة الفلسطينية، من دون الحاجة لتقديم تنازلات سياسية.

منافع الانقسام إسرائيلية

أما بالنسبة لبعض أركان اليمين، فإن غزة يجب أن تترك لمصيرها، إذ أن ما يهم هو الضفة الغربية وتحديداً المناطق «ج» التي يجب ضمها إلى إسرائيل. وربما الأهم أن هذا الانشقاق بالنسبة للاحتلال يشغل الفلسطينيين عن الصراع معه ويوّجه جهودهم نحو الصراع الداخلي وبالتالي يتم ترحيل المطالب الفلسطينية بالاستقلال والحقوق السياسية. كما أن سيطرة حماس على قطاع غزة تعني أن الرئيس محمود عباس ليس صاحب سيادة ولا سلطة على الجزء الثاني من الأرض التي يطالب بأن تقام دولته عليه وبذلك كانت تستخدم إسرائيل الانقسام وسيلة لسحب البساط من تحت أقدام الدبلوماسية الفلسطينية في العالم خاصة بعدما أطلق رئيس حكومة الاحتلال العمالي الأسبق إيهود براك فرية «اللاشريك الفلسطيني» عقب انهيار قمة كامب ديفيد في العام 2000. من هنا فإن استمرار سيطرة حماس على غزة يعني تقويض رواية ومطالب الرئيس عباس بخصوص الدولة. ولقد دأب السياسيون الإسرائيليون على استخدام هذه الإشارات حول عدم ولاية الرئيس عباس على غزة لتفنيد المطالب الفلسطينية خلال جولات المفاوضات المختلفة. ولذلك دأبت إسرائيل على تأجيج هذا الصراع ومعارضة أي تقارب فلسطيني داخلي واعتباره تهديداً للمصالح الإسرائيلية وإخلالا بالتزامات الرئيس محمود عباس بالسلام، حيث كانت المفاضلة بين الصلح مع إسرائيل والتصالح مع حماس تتحكم بالكثير من مقولات إسرائيل ورّدات فعلها على جهود المصالحة الفلسطينية ضمن نشاطها الدعائي المتوقع.

ازدراء شديد

وعبر عن هذه الرؤية المحلل العسكري الإسرائيلي ميرون رابوبورت، الذي قال إن المباحثات بين حماس وفتح عام 2011 للتوقيع على المصالحة لم ترق لنتنياهو الذي كان ينظر إلى فكرة المصالحة بـ«ازدراء شديد». منوها أن القصة تكررت مرة أخرى في عام 2014 حينما وقعت كل من فتح وحماس اتفاقية تنص على تشكيل حكومة وفاق وطني، حيث زعم حينها نتنياهو بأن عباس «اختار حماس على السلام» وأعلن تجميد الاتصالات الدبلوماسية التي كانت قائمة حتى ذلك الوقت بين إسرائيل والفلسطينيين. ولفت المحلل الإسرائيلي إلى أنه «لا يوجد دليل على أن الاتفاق بين الفلسطينيين فشل بسبب إسرائيل، إلا أن ما كان واضحاً في الحالتين هو أن معارضة نتنياهو للمصالحة الداخلية بين الفلسطينيين كانت سافرة جداً».

المناورة بين عباس وحماس

يشار أنه طيلة سنوات كانت إسرائيل تعمل على تلبية طلبات حركة حماس بعد كل أزمة ومواجهة عسكرية أو قبلها ومن أجل منعها، بينما تدير ظهرها للرئيس عباس وهو يمد يد السلام والمفاوضات، وهذه في رأي مراقبين إسرائيليين أيضا تندرج ضمن رؤية «فرق تسد» الإسرائيلية وليس مجرد إطفاء حرائق على الجبهة مع غزة. وهذا ما انعكس في صفقات تبادل الأسرى، فقد نجحت حماس أكثر من مرة بإطلاق سراح أسرى فلسطينيين بالضغط واستخدام القوة، بينما نكثت إسرائيل بوعودها للرئيس عباس بالإفراج عن أسرى وعندما فعلت ذلك عادت واعتقلتهم كما حصل في 2014. وخلال كل الفترات عملت إسرائيل بالتصريحات والتسريبات على تبيان حجم التنسيق الأمني مع السلطة الفلسطينية وتأجيج التوترات القائمة بين فتح وحماس وتوسيع باب الفتنة والتراشق والتبادل كي يبقى الجرح نازفا. على هذه الخلفية كان معهد دراسات الأمن القومي التابع لجامعة تل أبيب يحذر حكومة الاحتلال من شد الحبل زيادة عن اللزوم في التعامل مع الرئيس عباس وقطع العلاقات مع السلطة الفلسطينية.

هل يخذل الفلسطينيون أعداءهم؟

ويرى الباحث في الشؤون الإسرائيلية انطوان شلحت ضمن مراجعة مسيرة التعامل الإسرائيلي مع مساعي استعادة الوحدة الفلسطينية أن اتفاقا للمصالحة بين فتح وحماس وإمكان توحيد السلطتين يشكل نقيضا للمصالح الإسرائيلية التي تبلورت منذ الانقسام عام 2007. موضحا أن إسرائيل تفضل حالة الانقسام الفلسطيني للكثير من الأسباب التي تصب في مصلحتها، وخاصة مصلحة اليمين المتطرف الذي يحكم إسرائيل اليوم. وتابع «واضح من خلال متابعة ردود فعل الحكومة الإسرائيلية وخاصة رئيس الحكومة نتنياهو أن رد فعله على محاولة سابقة لاستعادة الوحدة الفلسطينية عام 2017 كان هادئا نسبيا مقارنة مع مرات سابقة، خاصة وأن نتنياهو كان يستغل أحداثا أصغر بكثير من هذا الحدث للتحريض على الفلسطينيين، وهذه المرة اكتفى ببيان رسمي دبلوماسي وصدّ كل محاولات وزراء الليكود والبيت اليهودي، للخروج بخط متشدد أكثر تجاه اتفاق المصالحة». وفي رأي شلحت فإن التفسير لذلك هو أن اتفاق المصالحة قبل ثلاث سنوات يندرج على ما يبدو، ونتنياهو يفهم ذلك، ضمن تقاطعات مصالح إقليمية ودولية وهي ما أشار إليها كتاب وسياسيون إسرائيليون. وتقاطعات المصالح الإقليمية والدولية هذه فرضت نفسها على لهجة وحدة الرد الإسرائيلي على اتفاق المصالحة. في المحاولة الراهنة اليوم عادت إسرائيل للغتها الأصلية ولمعارضة سافرة للوحدة ولمفاضلتها بين عباس وبين حماس ودعوته للاختيار بين السلام وبين الإرهاب، فهل يرد الفلسطينيون على نتنياهو وعلى مساعي تصفية قضيتهم الوطنية بشطب ملف الانقسام وبدء مرحلة جديدة من الوئام واستعادة شراكة الخندق الواحد والقواسم المشتركة الكثيرة أمام محتل لا يرحم ومجتمع دولي لا يكترث وبعض الأشقاء من العرب يطبّعون وبعضهم يتواطئون؟

السنة الثانية والثلاثون العدد 10045 الأحد 4 تشرين الأول (اكتوبر) 2020 – 16 صفر 1442 هـ

هل يكون التطبيع شفيع الحوار بين الأشقاء الفرقاء الفلسطينيين هذه المرة؟

تظاهرات فلسطينية ضد التطبيع

الناصرة – «القدس العربي»:

منذ نكبة الانشقاق بين الأشقاء في حركتي «فتح» و«حماس» عام 2007 فشلت محاولات متكررة لرأب الصدع بين الفريقين رغم الضغط الشعبي الفلسطيني الكبير والوساطات العربية، ورغم استغلال الاحتلال للانقسام علانية لضرب القضية الفلسطينية ضربات موجعة في كل أبعادها. تبدو المحاولة الجارية الآن بمبادرة الأشقاء الفرقاء للتوافق وتجاوز هذه الفترة السوداء أكثر حظوظا من سابقاتها، وهذه المرة تتم من دون وساطة خارجية وبضغط من التهديد السياسي المتّمثل بهرولة دول عربية نحو التطبيع المجاني مع الاحتلال. وتدرك الحركتان أن الوضع الحالي يعني تهديد القضية الفلسطينية برفع الغطاء العربي عنها وتمكين إسرائيل من الاستفراد بالفلسطينيين أكثر فأكثر وكذلك استمرار تدني شعبيتهما واحترامهما بعيون الفلسطينيين أنفسهم ممن فاض بهم وملوا هذا الانقسام المدمّر. وتتواصل لقاءات ممثلي الحركتين «فتح» و«حماس» في الوطن والخارج لترتيب أوراق البيت الفلسطيني بضغط من تدافع دول عربية على التطبيع بتشجيع أمريكي، وتجري محاولات للقيام بعدة خطوات فعلية لإغلاق صفحة الانقسام منها الإعلان عن انتخابات برلمانية عامة وربما خوضها بقائمة واحدة مشتركة من قبل الحركتين على أن تشكل الانتخابات بوابة لفترة استعادة اللحمة الوطنية.

خيار استراتيجي لا رجعة عنه

وفي هذا السياق ترأس رئيس دولة فلسطين محمود عباس في مقر الرئاسة في مدينة رام الله، اجتماعا للجنة المركزية لحركة «فتح» فقرأ الحضور الفاتحة على روح فقيد فلسطين والأمة العربية المغفور له صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح، أمير دولة الكويت، وأكدوا أنه بوفاته فقدت فلسطين والأمة العربية والإسلامية، خاصة القضية الفلسطينية قائداً وزعيماً وحكيماً عز نظيره، وضع فلسطين وشعبها والدفاع عن حقوقها في صلب سياسته الحكيمة التي أرسى قواعدها خلال مسيرة حكمه الرشيد. على صعيد القضية الفلسطينية بحث اللجنة المركزية المستجدات والتطورات المتعلقة بملف المصالحة الوطنية، والجهود السياسية التي تقوم بها القيادة للدفاع عن حقوق شعب فلسطين في الحرية والاستقلال.

التطبيع المجاني مع الاحتلال

وفي الملف السياسي جددت اللجنة المركزية التأكيد على الموقف الفلسطيني الثابت والواضح الرافض لكل المخططات والمؤامرات الهادفة لتصفية قضيتنا الوطنية، وفي مقدمتها ما يسمى «صفقة القرن» ومخططات الضم الإسرائيلية المنبثقة عنها، والتطبيع المجاني مع دولة الاحتلال. وأوضحت «فتح» أن محاولة الإمارات والبحرين الالتفاف على مبادرة السلام العربية مرفوضة، ومخالفة لقرارات القمم العربية والإسلامية ولمبادرة السلام العربية. مشددة على أن الموقف الفلسطيني هو ما تعّبر عنه القيادة الفلسطينية ممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، والتي لم تعط الإذن لأحد للتكلم باسمه وقيادته، وهي قادرة على الدفاع بكل قوة عن المشروع الوطني الفلسطيني الذي ضحى الآلاف من الشهداء والجرحى والمناضلين بدمائهم في سبيل تحقيقه، داعية الدول العربية الشقيقة إلى التمسك بالمبادرة العربية للسلام كما هي، التي أطلقتها المملكة العربية السعودية عام 2002 والتي شددت على ان السلام والاستقرار في المنطقة يجب ان ينطلقا من الحفاظ على حقوق الشعب الفلسطيني. وعلى صعيد المصالحة الوطنية، وبعد ان استمعت إلى تقرير من القادة في «فتح» جبريل الرجوب، وروحي فتوح، وعزام الأحمد، عن الحوارات التي جرت مع حركة حماس وفصائل منظمة التحرير الفلسطينية واللقاءات في كل من اسطنبول والدوحة والقاهرة وعمان، صادقت اللجنة المركزية بالإجماع على التوافقات التي تمت مع وفد «حماس» كما جاء في بيان للحركة.

وأكدت اللجنة المركزية أن مسار الشراكة الوطنية خيار استراتيجي لا رجعة عنه، مؤكدة أهمية الشراكة النضالية في مواجهة صفقة القرن والضم والتطبيع من خلال المقاومة الشعبية والعمل على تطوير هذه الشراكة في كل مكونات النظام السياسي في السلطة ومنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني من خلال الانتخابات الحرة والنزيهة بالتمثيل النسبي الكامل في كل الأراضي الفلسطينية وعلى رأسها القدس الشرقية، وصولا إلى إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشرقية. وفوضت اللجنة المركزية الأخوة جبريل الرجوب وروحي فتوح وعزام الأحمد، بمواصلة العمل لإنضاج العملية الانتخابية وصولاً لإصدار المراسيم ذات العلاقة بأسرع وقت ممكن. كما رحبت اللجنة المركزية بنتائج الاجتماعات التي جرت، مشددة على أهمية التوافق على إجراء الانتخابات العامة الفلسطينية كمدخل لانهاء الانقسام، وتوحيد الموقف الفلسطيني خاصة في هذه الظروف الدقيقة التي تمر بها قضيتنا الوطنية. ودعت اللجنة المركزية جميع كوادر الحركة حيثما كانوا «للالتزام والالتفاف حول هذه الأهداف وعدم الالتفات لأي أصوات تدعو للتشويش على ما نحن ذاهبون إليه» وقررت استمرار اجتماعاتها لمتابعة آخر التطورات وما يستجد من موضوعات.

منطق الوحدة الكاملة

في المقابل يواصل قادة حركة المقاومة الإسلامية «حماس» التأكيد على ضرورة التقدم نحو إنهاء فعلي للانقسام الوطني وكرر عضو مكتبها السياسي موسى أبو مرزوق، التأكيد على أن القضية الفلسطينية تواجه تحديات كبيرة تعطي دافعا كبيرا للوحدة والشراكة الوطنية. وقال أبو مرزوق مجددا خلال مقابلات إعلامية في نهاية الأسبوع، إن حوارات تركيا ستساهم في الوصول لتفاهم أكبر نحو المصالحة. ونبه إلى أنه لا يمكن أن نقدم على مصالحة وحالة التربص وترسبات الماضي باقية، داعيا لإجراءات بناء الثقة بين الطرفين. وفي هذا المضمار تابع «هو ما يجب أن يحدث. استعرضنا كثيرا من القضايا المتعلقة ببناء الثقة، كعودة مخصصات الأسرى والشهداء والجرحى ومن تم ملاحقتهم بسبب الانقسام». وفي سياق الإشارة لحظوظ محاولة رأب الصدع هذه المرة فعلا أكد أبو مرزوق على ضرورة بناء استراتيجية عنوانها المصالحة والشراكة الفلسطينية، وقال إن هذه هي الكليات المراد الدخول إليها، وشدد على أن الحس الوطني والمسؤولية التي تقع على عاتق الطرفين هي الضامن الأساسي نحو التقدم بملف المصالحة. وأكد أن ملف المقاومة الشعبية بقيادة مركزية وخاصة بالضفة والقدس لا بد أن يكون بمنطق الوحدة الكاملة. كما أكد مسؤول حركة حماس أبو مرزوق ضرورة إجراء الانتخابات للمجلس الوطني والمجلس التشريعي واللجنة التنفيذية، وانتخابات الرئاسة، مشدداً على وجوب أن تكون انتخابات المجلس الوطني والمجلس التشريعي متزامنة. زاعما أن حركة حماس تطالب بالانتخابات منذ عقود كآداة لفرز قيادة الشعب الفلسطيني، وهي أفضل وسيلة يرضى عنها الشعب. وجدد دعوته إلى تفعيل المقاومة لوقف تغول الاحتلال الإسرائيلي في المنطقة، ووقف هرولة التطبيع مع العدو مطالبا بموقف عربي أقرب للموقف الفلسطيني مؤكدا أن «أي هرولة نحو العدو الصهيوني هي خيانة». وأشار إلى أن قلب الصراع الآن هي الضفة الغربية، وقال إن حركة حماس رفضت كل المشاريع التي تريد إبعاد غزة عن الضفة، مبيناً أن حماس حريصة على مقاومة الاحتلال والاستيطان، وتثبيت شعبنا في أرضه. وشدد على أن كل محاولات الاحتلال لإبقاء الضفة مستقرة حتى يتمكن من الاستمرار في الاستيطان لن تنجح وتابع «نشكل اليوم قيادة مشتركة للمقاومة الشعبية، والتي سيكون لها أثر كبير في مشروع المقاومة من ناحية، ومن ناحية أخرى عدم استقرار المستوطنين بالضفة الغربية». بين هذه المواقف المعلنة للحركتين ينتظر الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات بشرى رأب الصدع على أرض الواقع اليوم قبل الغد بعد انتظار طال ووجع ما زال في القلب وعلى البال.

Volume 32 - Issue 10045 Sunday 4 October 2020

مصالحة الفصائل الفلسطينية تاريخية في مواجهة التحديات المصيرية

مخيم عين الحلوة الفلسطيني في لبنان

عبد معروف

شكل اتفاق المصالحة بين حركتي «فتح» و«حماس» ومؤتمر الأمناء العامين للفصائل الفلسطينية يوم الخميس، 3 أيلول/سبتمبر، عبر «الفيديو كونفرنس» بين بيروت ورام الله، خطوة هامة من أجل توحيد الموقف الفلسطيني في مواجهة المخاطر التي تتعرض لها القضية وحالة الانهيار الشاملة التي تعيشها المنطقة والتي ترافقت مع تطبيع بعض الأنظمة العربية العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع الاحتلال الإسرائيلي. ويأتي هذا اللقاء، الأول من نوعه منذ ما يزيد عن 9 سنوات، في ظل تحديات كبرى داخلية وخارجية، من «صفقة القرن» ومشروع الضم والتطبيع، إلى الانقسام المستمر والاعتداءات الإسرائيلية المتواصلة على الأراضي الفلسطينية، وأزمات المخيمات في الشتات، وتحديداً في لبنان وسوريا، مع تأزم الأوضاع الاقتصادية والصحية والاجتماعية.

ورغم الخلافات المتجذرة بين الحركتين الفلسطينيتين إلا أنهما اليوم أظهرتا رغبة (حسب البيانات والتصريحات) بأن تكون المصالحة جدية، تتجاوز كل العقبات من أجل مواجهة المخاطر التي تتعرض لها القضية الفلسطينية بشكل عام، وتتعرض لها الحركتان بشكل خاص.

ويأتي اتفاق المصالحة بين «فتح» و«حماس» في وقت تزداد فيه الأزمات والانتكاسات السياسية والأمنية والاجتماعية التي يعيشها الشعب الفلسطيني على امتداد وطنه وفي دول الشتات، وبعد أن وصلت مسيرة التسوية مع الاحتلال إلى طريق مسدود وأعلن الرئيس محمود عباس صراحة وبكل وضوح، أن الحكومة الإسرائيلية لا تريد ولا تعمل من أجل السلام، مؤكدا أيضا أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تعد راعية لعملية السلام في المنطقة وهي طرف معادي لمصالح الشعب الفلسطيني، وتقف بشكل كامل إلى جانب الاحتلال ومشاريعه الاستيطانية وسياسته العدوانية.

وأمام المأزق الفلسطيني، كان لابد من توجه الحركتين نحو الحوار من أجل المصالحة وتعزيز العلاقات المشتركة لمواجهة المخاطر التي تتعرض لها القضية الفلسطينية بشكل عام.

وفي رأي الكاتب والباحث الفلسطيني الدكتور مروان الخطيب أن المصالحة بين الفصائل الفلسطينية كانت وما زالت هدفا وطنيا، لكل إنسان مخلص لوطنه وشعبه، ويأسف كل شريف، كلما اشتدت الخلافات بين الفصائل وأصبح العداء بينهما يفوق العداء مع الاحتلال الإسرائيلي.

ويؤكد الخطيب لـ«القدس العربي» أن الشعب الفلسطيني ذاق الأمرين بسبب الخلافات والصراعات الجانبية بين الفصائل السياسية طيلة السنوات الماضية، موضحا أن الانقسام الذي شهدته الساحة الفلسطينية بين حركتي «فتح» و«حماس» جاء في مرحلة أشد خطورة في تاريخ القضية الفلسطينية.

وفي الوقت الذي عبرت فيه الفصائل الفلسطينية عن ارتياحها لنتائج مؤتمر الأمناء العامين للفصائل الفلسطينية واتفاق المصالحة بين حركتي «فتح» و«حماس» إلا أنها طالبت بأن تكون المصالحة شاملة، وأن تؤسس لوحدة وطنية تحدد برنامجا واضحا من أجل مواجهة التحديات والمخاطر التي تتعرض لها القضية الفلسطينية. واعتبر عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، علي فيصل، أن اجتماع الأمناء العامين يوم 3 أيلول/سبتمبر الماضي، واتفاق المصالحة، خطوة متقدمة من أجل إنهاء حالة الانقسام ووحدة الموقف الفلسطيني، وإذا ما أحسنّت الفصائل استثمار هذه الفرصة، سيشكل فعلاً وطنياً هاماً في مواجهة التحالف التطبيعي العربي–الصهيوني–الأمريكي الهادف إلى فرض «صفقة القرن» وخطة الضم.

وأوضح فيصل لـ«القدس العربي» أنّ الجبهة الديمقراطية سعت، ولا تزال، عبر اللقاء بحسب فيصل، فهو الخروج من دائرة الانقسام إلى الوحدة، وذلك عبر بناء شراكة حقيقية في مؤسسات منظمة التحرير من خلال دخول حركتي حماس والجهاد الإسلامي في اللجنة التنفيذية للمنظمة، لكي تأخذ دورها الأساسي إلى جانب باقي الفصائل، مطالبا توحيد مؤسسات السلطة الفلسطينية بين الضفة الغربية وقطاع غزة، حتى لا يتعمق الانقسام.

ويتمثل المحور الثالث والأخير في دعوة كل الشعوب العربية لكي تتحرك إلى جانب الشعب الفلسطيني لمواجهة سياسة التطبيع التي كان آخرها تطبيع الإمارات العربية ومملكة البحرين مع الاحتلال الإسرائيلي.

وأكد فيصل أن نجاح مساعي المصالحة بين الفصائل الفلسطينية تشكل رافعة من روافع النهوض الفلسطيني.

وأكد القيادي في حركة «حماس» أيمن شناعة، لـ«القدس العربي» أنّ الاجتماع بين الأمناء العامين للفصائل والمصالحة بين حركتي «فتح» و«حماس» شكل خطوة هامة نحو شراكة حقيقية لمواجهة مشاريع التصفية للقضية الفلسطينية و«صفقة القرن» ومشروع الضم والتطبيع.

مشددا على أن مشروع حركة «حماس» سيستمر مع كافة الفصائل الفلسطينية نحو وحدة وطنية ورؤية فلسطينية موحدة يكون خيارها الأول المقاومة، وكافة الطرق التي يقاوم بها الشعب الفلسطيني تحت تكون تحت راية هذه الوحدة الفلسطينية.

ورحبت القطاعات السياسية والشعبية الفلسطينية المختلفة، باجتماع الفصائل واتفاق المصالحة، ولم تبد هذه القطاعات مخاوف محددة من هذه الخطوة، لكنها أعربت عن أملها أن تكون جادة وفاعلة من أجل وحدة الموقف الفلسطيني أمام التحديات والمخاطر التي تتعرض لها القضية الفلسطينية. وفي رأي الكاتب الفلسطيني، أحمد الحاج، أن لقاء الأمناء العامين للفصائل واتفاق المصالحة بين «فتح» و«حماس» ترك ارتياحاً عاما في أوساط اللاجئين الفلسطينيين، وفي أوساط الفلسطينيين في الداخل والخارج، لأن الانقسام خلال السنوات الماضية، ترك جرحاً غائراً في الجسد الفلسطيني وكاد يقضي على هذا الجسد تماماً.

وأشار الحاج إلى أنه، وبعد تسع سنوات من الانقطاع بين الأمناء العامين أو شبه الانقطاع، أحيا هذا الاجتماع الأمل بإنهاء الانقسام.

ولم ينف وجود عوائق كثيرة لتحقيق المصالحة، لكنه اعتبر أن المصالحة، بمثابة كسر الجليد في الحدود الدنيا ويمكن أن تبني على مشتركات كثيرة، مؤكدا أن البيان الختامي الذي صدر عن اجتماع الأمناء العامين للفصائل «عبر الفيديو كونفرنس» فيه الكثير من الإيجابيات، منها الحديث عن المقاومة الشعبية وهي خطوة مهمة للأمام، والحد الأدنى الذي يمكن أن نتفق عليه في ظل الانسداد السياسي، وانهيار المفاوضات.

وتابع: «من الممكن أن يكون (الاجتماع) أساسا لبناء المشروع الفلسطيني، مع ذلك هناك تفاصيل تبقى معلقة وبحاجة إلى الغوص فيها، مع تقديرنا لتشكيل عدة لجان من شخصيات وازنة».

وذكر أن الاجتماع واتفاق المصالحة بحد ذاته يدعو إلى التفاؤل، لكن بالعموم يجب أن يكون هذا التفاؤل حذراً، لأنه في الماضي كانت هناك عدة اتفاقات لم تؤد إلى النتائج المرجوة منها. وأوضح أنه فيما يتعلق باللاجئين، فإن هناك إيجابية لانعقاد جزء من هذا المؤتمر في بيروت، وكلمات تحدثت عن معاناة اللاجئين الفلسطينيين، معربا عن أمله أن تكون خطوة لمساعدة اللاجئين والضغط على السلطات اللبنانية لسن قوانين تعيد للفلسطيني بعض حقوقه الإنسانية على الأقل.

آراء فلسطينية متعددة ومختلفة حول مرحلة ما بعد اجتماع الأمناء العامين للفصائل، واتفاق المصالحة بين «فتح» و«حماس» عبرت عن أملها بأن تكون خطوة من أجل مصالحة شاملة، تؤسس لوحدة وطنية بين الفصائل بعد أن وصلت الأوضاع داخل الساحة الفلسطينية وعلى امتداد المنطقة العربية إلى مرحلة تنذر بمخاطر تؤدي إلى تصفية القضية.

السنة الثانية والثلاثون العدد 10045 الأحد 4 تشرين الأول (اكتوبر) 2020 – 16 صفر 1442 هـ

المصالحة الوطنية الفلسطينية هل لمواجهة التطبيع

إبراهيم درويش

في خطابه الأخير أمام الجمعية العامة دعا الرئيس الفلسطيني محمود عباس إلى عقد مؤتمر دولي تشارك فيه كل الأطراف المعنية. وقال إنه كان حائرا وهو يعد خطابه ماذا سيقول لممثلي دول العالم، وهل هناك شيء لم يقله عن معاناة الشعب الفلسطيني الطويلة.

وكان خطاب عباس الأخير مختلفا عن الخطابات الأخرى، فقد جاء على خلفية ضغوط أمريكية متزايدة على الدول العربية لتطبيع العلاقات بينها وإسرائيل، حيث ربطت إدارة دونالد ترامب مثلا رفع السودان عن قائمة الدول الراعية للإرهاب بفتح علاقات دبلوماسية. وجاءت التحركات الأمريكية في أعقاب قرار كل من الإمارات العربية المتحدة والبحرين توقيع اتفاقيات دبلوماسية مع إسرائيل. فيما اعتبرته القيادة الفلسطينية خيانة لقضية القدس والأقصى. ورغم ارتباط عمليات التطبيع التي قال الرئيس دونالد ترامب إنها ستشمل خمس أو ست دول عربية منها السعودية والكويت وعمان بالإضافة للمغرب بالانتخابات الرئاسية وظهور ترامب بمظهر صانع السلام في منطقة متقلبة إلا أن الفلسطينيين هم الخاسرون في مبادراته لأنها كلها تصب في صالح إسرائيل وتخلق ديناميات جديدة. فلطالما حلمت إسرائيل بالوصول لدول الخليج الثرية وبناء علاقات جديدة غير تلك التي حققتها مع دول خاضت معها حروبا مثل الأردن ومصر ولم تنتج المعاهدات معها سوى «سلام بارد». لكل هذا يبدو الحماس المتبادل في كل من إسرائيل والإمارات لعقد اتفاقيات في مجال الصحة والزراعة وتطوير الموانئ وبناء شبكات لنقل النفط عبر السعودية إلى البحر المتوسط. فالهرولة الخليجية نحو التطبيع متعلقة بالمصالح الجيوسياسية والاقتصادية والأمنية والتي حكمت العلاقات السرية منذ عقد أو يزيد وخرجت أخيرا للعلن.

محمود غباس

فلسطين ليست مهمة

ولم تعد أنظمة هذه الدولة مهتمة بالقضية الفلسطينية والتي ظلت لأجيال قضية العرب الأولى. وكما كشفت التقارير والتسريبات الصحافية ان قادة مثل محمد بن سلمان لم يعد يهتم بفلسطين وتحدث عن رغبته بالحصول على دعم إسرائيلي تكنولوجي لتطوير مدينة نيوم على البحر الأحمر. ولعل ما دعا إليه الرئيس عباس يعكس حالة العزلة التي يعيشها بعدما ظل يعول على محادثات السلام وحل الدولتين وبالضرورة الدعم العربي وربط أي معاهدة تطبيع عربية بحل عادل للقضية الفلسطينية حسبما نصت عليه المبادرة العربية التي أعلنت عنها الجامعة العربية 2002. وربما لم يجد عباس خيارات لديه سوى دعوة الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غويتريش للتحضير إلى مؤتمر دولي. وعقد مؤتمر دولي غير مضمون في ظل انتشار وباء فيروس كورونا ولعدم معرفة ما ستنتج عنه الانتخابات الأمريكية، فبقاء الرئيس ترامب في البيت الأبيض يعني فشلا للمحاولة، لأن استراتيجية إدارته ممارسة الضغط على الفلسطينيين حتى يقبلوا بخطته التي أعطت كل شيء للإسرائيليين وجردت الفلسطينيين من حقوقهم في القدس والدولة عودة اللاجئين لوطنهم. وفي حال جاءت الانتخابات برئيس جديد وهو المرشح الديمقراطي جوزيف بايدن، فلن يتغير الحال. فهو مؤيد لإسرائيل وأعلن أنه لن ينقل السفارة من القدس. وبحسب مستشاريه للأمن القومي في الحملة فالشرق الأوسط بشكل عام سيكون في المرتبة الرابعة على قائمة أولوياته. فهو وإن تعلم من أخطاء الرئيس باراك أوباما في ملفات العراق وأفغانستان وسوريا إلا أن مساحة حركته في إسرائيل تظل محدودة.

النظر للداخل

ورأى معلقون أن اتفاقيات التطبيع العربية مع إسرائيل أنهت المرحلة الدولية من القضية الفلسطينية ووضعتها في يد إسرائيل التي عليها أن تتعايش مع فكرة الدولة الواحدة التي عملت وبدأب على خلق ظروفها. ولم يعد السؤال هنا عن الحقوق الفلسطينية الثابتة ولكن عن حقوقهم كمواطنين في دولة يهودية. وزعمت الإمارات أنها «اضطرت» للتطبيع من أجل مساعدة الفلسطينيين ومنع رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو ضم أجزاء كبيرة من الضفة الغربية. وهو مبرر ثبت خطله عندما أكدت إسرائيل أن ورقة الضم لا تزال على الطاولة. ومن هنا وبعد شعور الفلسطينيين بخيانة الدول العربية «الشقيقة» لهم التفتوا إلى اللحمة الداخلية وتوحيد صفوفهم. وجرى اتخاذ خطوات مهمة على صعيد بناء الوحدة الوطنية التي طال انتظارها. فالخلاف بين الضفة الغربية التي تخضع للسلطة الوطنية الفلسطينية وغزة الخاضعة منذ 2007 لحماس، ظل شماعة أعطى إسرائيل مبررا للتنصل من التزاماتها في اتفاقيات أوسلو بذريعة عدم وجود الشريك الذي يوثق به في المفاوضات. وكلما اقترب الفلسطينيون من توحيد صفوفهم خربت إسرائيل الخطوات، منذ اتفاق مكة والدوحة والمحادثات التي رعتها مصر بين الفصائل الفلسطينية. ولعل أهم ما كشفت عنه اتفاقيات التطبيع الحاجة لترتيب البيت الفلسطيني أولا. وفي هذا السياق أشارت صحيفة «فايننشال تايمز»(2020/9/36) إلى أزمة القيادة الفلسطينية وقصور اتفاقيات أوسلو لتحقيق حلم الدولة. وقالت إن قرار الإمارات العربية المتحدة والبحرين تطبيع علاقاتهما مع إسرائيل كشف عن حجم الخسارة الفلسطينية. فمن النادر ما بدت فيه القيادة الفلسطينية معزولة وعاجزة أو أصبح فيه مشروع حل الدولتين للنزاع الفلسطيني– الإسرائيلي بعيدا كما هو في الوقت الحالي. وترى الصحيفة أن الإحباط الفلسطيني مفهوم لكن يجب على الفلسطينيين التعامل مع هذه اللحظة كصيحة تحذير ويعيدوا ترتيب استراتيجيتهم. وهي وإن تفهمت أسباب فشل أوسلو بسبب سياسات إسرائيل المتصلبة والتوسع الاستيطاني على أراضي الفلسطينيين. إلا أن هذا لا يعفي القادة الفلسطينيون الذي تسببوا بالضرر على قضيتهم.

فقد أصبحت السلطة الوطنية الفلسطينية التي أنشئت عام 1994 وتسيطر على 40 في المئة من أراضي الضفة الغربية مرادفة للفساد والقيادة التي أصابتها الشيخوخة ولا تمثل الشعب الشاب. وبالنسبة للكثيرين فإن ضعف القيادة سمح لإسرائيل بتوسيع السيطرة على مناطق واسعة من الضفة الغربية. وزاد الخلاف بين حماس التي تسيطر على غزة وحركة فتح من معاناة الفلسطينيين. وفقد الكثير من الفلسطينيين الثقة بقيادتهم وقدرتها على تأمين دولتهم. وفي استطلاع جديد أجراه المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية في رام الله، وشارك فيه مواطنون من الضفة الغربية وغزة، وجد أن نسبة 62 في المئة من المشاركين فقدت الثقة بإمكانية قيام الدولتين بسبب التوسع الإستيطاني الإسرائيلي. وقال نصف المشاركين إن الفلسطينيين يتحملون مسؤولية تطبيع دول عربية مع إسرائيل، نظرا للخلافات الداخلية ولأن السلطة نفسها تعترف بإسرائيل. وطالب ثلثي المشاركين باستقالة عباس. فالرئيس الثماني في منصبه منذ 15 عاما ولم تعقد انتخابات منذ هزيمة حماس لفتح عام 2006. وترى الصحيفة هي تجديد مؤسسات القيادة الفلسطينية خاصة منظمة التحرير بشكل يعطي الفرصة لولادة قيادة جديدة تملك المصداقية وتستطيع البدء في دفن الخلافات ومواصلة البحث عن حل الدولتين إن ظل ممكنا أو حل الدولة الواحدة يحصل فيها الفلسطينيون على حقوقهم المتساوية مع الإسرائيليين.

اسطنبول وليس القاهرة

وفي ضوء التحركات الأخيرة التي جرت على الساحة الفلسطينية كان لافتا تغير المركز في محاولات المصالحة، فلم تلتق قيادات حماس وفتح في القاهرة، المكان التقليدي الذي رعى مفاوضات المصالحة ومنذ سنين بل وفي اسطنبول في حركة لم تفت الكثير من المعلقين، فهي في رأي ديفيد هيرست في «ميدل إيست آي» (2020/10/1) صورة عن تداعيات تطبيع الإمارات مع إسرائيل وأن مصر خسرت فلم تعد تلعب الدور التقليدي كوسيط بين إسرائيل والدول العربية. ولهذا كان تحول الفصائل الفلسطينية نحو تركيا. وفي هذا السياق تساءل فهيم تاكستين بموقع «المونيتور» (2020/9/29) عن الدور التركي المحتمل في عملية المصالحة. وقال إن لقاء الفصائل الفلسطينية في تركيا محاولة للبحث عن راع إقليمي جديد. وقال إن تزايد الدور التركي في المسألة الفلسطينية نابع من عدة أسباب منها الطموحات التركية في الشرق الأوسط والوجود الظاهر لحماس في تركيا والتحولات المهمة في العلاقات الإسرائيلية ـ العربية التي تحرم فتح من الدعم المالي وتزيد من مصاعبها. ومع ذلك فهناك أسئلة حول المدى الذي ستذهب فيه تركيا لدعم الفصائل الفلسطينية. وفي 24 أيلول/سبتمبر وبعد نهاية اللقاء بين الحركتين والذي استمر ثلاثة أيام، أعلن المشاركون عن التوافق على عقد انتخابات جديدة ولأول مرة منذ 15 عاما. وجاء لقاء اسطنبول لعد لقاء غير مسبوق في بيروت ورام الله ومكالمة هاتفية بين الرئيس رجب طيب اردوغان والرئيس عباس. وقاد جبريل الرجوب، أمين سر اللجنة المركزية لحركة فتح وصالح العاروري نائب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس الوفدان، حيث تم الاتفاق على عقد انتخابات تشريعية في الضفة الغربية وغزة والقدس الشرقية في غضون ستة أشهر ومن ثم انتخابات رئاسية والمجلس الوطني الفلسطيني. ويمكن النظر إلى المحادثات الأخيرة التي جاءت بسبب اتفاقيات التطبيع على أنها جولة من الجولات التي عقدها الطرفان منذ سيطرة حماس على غزة 2007 وما تبع ذلك من حصار على القطاع وخلافات مستمرة بين الفصيلين الفلسطينيين، إلا أن قادة الحركتين أكدوا على جدية جهودهم في عقد المصالحة الوطنية. ونقل الموقع عن مصدر فلسطيني قوله إن تركيا لعبت دور الطرف الذي سهل عملية اللقاء رغم علاقاتها مع حماس. وأشار إلى تغيرات الموقف التركي بسبب نقل السفارة الأمريكية إلى القدس واتفاقيات التطبيع الأخيرة. وأكد المصدر أن تركيا وإن سهلت اللقاءات لكنها «لا تتدخل في الشؤون الفلسطينية». وأشار إلى الخلاف بين الدور المصري الذي كان يقصر اللقاءات بين الفلسطينيين على مبنى المخابرات العامة دونما تدخل من الخارجية المصرية، لأن القاهرة تتعامل مع فلسطين كموضوع أمني وليس سياسيا. وبخلاف ذلك، فلقاء إسطنبول جرى في القنصلية الفلسطينية وبدون مشاركة تركية. فتركيا ليست لديها المعلومات التفصيلية عن الخلافات الفلسطينية مثل القاهرة لإطلاع المسؤولين هناك على نتائج المحادثات. ولوحظ تناقض في تصريحات الرجوب بعد لقائه خالد مشعل رئيس المكتب السياسي السابق في الدوحة إن فتح «اتخذت قرارا استراتيجيا للمصالحة الوطنية» وحسام بدران، أحد مسؤولي حماس الذي قال إن التقارير عن اتفاقيات ليست صحيحة وهي ليست بديلا عن الحوار الوطني ولكنها تحضير له. وعبر مصدر فلسطيني آخر عن انزعاج فصائل أخرى من عدم شملها في المحادثات الأخيرة. وبدا الأمر وكأن خريطة الطريق الفلسطينية التي أعلن عنها هي شأن بين حماس وفتح اللتان على علاقة جيدة مع أنقرة. لكن الرعاية التركية تأتي في وقت زادت فيه الضغوط على الفلسطينيين والشائعات حول الخطط الإماراتية لترفيع القيادي السابق محمد دحلان الذي يعيش في قطر كبديل عن عباس، مع أن القادة الفلسطينيين يرون أن حظوظه قليلة كما ورد في تقرير لـ «ميدل إيست آي» (2020/9/25) خاصة أن الكثيرين ينظرون إليه باعتباره لاعبا في اتفاقية التطبيع الأخيرة.

وهم أم حقيقة

ويظل الدور التركي في بداياته وهناك الكثير من الأسئلة حول التزام أنقرة ببناء تحالف مع الفلسطينيين في ظل ما يتعرضون له من ضغوط مالية وسياسية. وعندما ينظر للمحادثات الأخيرة في اسطنبول من منظور الأوضاع في المنطقة، فربما شعر الفلسطينيون أنهم بحاجة لحليف سياسي وطرف يخفف عنهم الصعوبات المالية، وكانت قطر تلعب دورا لكن الحصار المفروض عليها من جاراتها يحد من قدرتها على مساعدتهم كما في الماضي. وتظل المصالحة الوطنية رهنا كما في السابق للمصالح الإقليمية والمعسكرات التي ظلت تحتكر القرار الفلسطيني ولسنوات طويلة وأوصلت القضية إلى هذه المرحلة. لكل يشكك معلق في «بلومبيرغ» (2020/10/1) بإمكانية المصالحة الوطنية ويرى أن ما تم الإعلان عنه مجرد محاولات أخرى، فالمصاعب والخلافات بين حماس وفتح أعمق والثمن الناجم عن الانتخابات لو عقدت ستكون مكلفة للطرفين. وفي هذه الفترة الحرجة من الضغوط يعتقد قادة حماس وفتح أن الوحدة هي الطريق لمواجهة التحديات. وهو حلم طال انتظاره، فهل سيكون تطبيع العرب مع إسرائيل محفزا للقادة الفلسطينيين على دفن خلافاتهم وترتيب بيتهم مهما كانت التداعيات والتهديدات الخارجية؟

Volume 32 - Issue 10045 Sunday 4 October 2020

وترتيب البيت الداخلي أم جولة من الجولات الكثيرة؟

الانتخابات الفلسطينية المقبلة:

عبد الحميد صيام

بعد لقاءات ومشاورات عدة بين عدد من قيادات فصائل العمل الفلسطيني، يبدو أن هناك توجها لإجراء انتخابات مجلس تشريعي جديد وانتخابات رئاسية خلال ستة أشهر. هكذا اتفق الفصيلان الرئيسيان فتح وحماس في لقاء جمع تم في اسطنبول. هذا الحراك جاء في أعقاب انسلاخ دولتي الإمارات المتحدة والبحرين عن الموقف العربي الذي تم التوافق عليه في قمة بيروت عام 2002 على رکاکته، والذي نص على التطبيع بعد قيام الدولة الفلسطينية.

وبما أن قطار الانتقال للتحالف مع إسرائيل، وليس التطبيع، لأن التطبيع يكون بين دول متحاربة، سيتوقف في عواصم عربية أخرى لالتقاط مزيد من الركاب، شعرت القيادات الفلسطينية أن الانهيار العربي متواصل وأن الحاضنة العربية، على برودتها، في طريقها إلى التفتت. قد يبقى بلد أو بلدان أو ثلاثة دون انتقال للصف الإسرائيلي، فعلى القيادات الفلسطينية إذن أن تستعد لمرحلة لن تجد حولها أحد ولا بد إلا أن تعود لشعبها الذي أهملته وهمشته وحولته إلى جيش من الموظفين والأجهزة الأمنية بعد أن فككت منظمات المجتمع المدني وحولت النقابات والاتحادات إلى ديكورات لتأييد القائد وعطلت العملية الديمقراطية تماما، فلم يعد هناك تجديد لا على مستوى القيادات العليا للسلطة الوطنية أو لقيادة منظمة التحرير الفلسطينية. كما جمدت انتخابات المجلسين التشريعي والوطني وبقيت الأمور تتآكل وتتقلص معها الشرعية الحقيقية للفصيلين الكبيرين، حتى وجدت السلطتان نفسيهما أمام استحقاق تاريخي في ظل الانهيار العربي الذي ظهر جليا في الاجتماع العادي للجامعة العربية يوم 9 ايلول/سبتمبر والذي فشل في إدانة اتفاقيتي الإمارات والبحرين مع إسرائيل بل ولم يتورع أحمد أبو الغيط عن تأييد صفقة القرن بناء على تعليمات من مديره وسيد نعمته عبد الفتاح السيسي.

أمام هذا المأزق الوجودي طرح الفصيلان الأساسيان مبادرة إجراء انتخابات تشريعية ورئاسية خلال ستة أشهر من دون التشاور مع بقية الفصائل أو الاستماع إلى آلاف الأصوات والعرائض والبيانات والندوات التي تطالب بعقد انتخابات للمجلس الوطني الفلسطيني. وسنحاول التفريق بين المبادرتين. الأولى تتعلق بأزمة السلطتين، والثانية تتعلق بأزمة القضية الفلسطينية.

انتخابات المجلس التشريعي

تنبثق شرعية المجلس التشريعي من اتفاقية أوسلو. فبعد قيام السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية وغزة عقدت انتخابات المجلس التشريعي لأول مرة عام 1996 وفق أسلوب الدوائر الانتخابية. وقد قاطعت حركتا حماس والجهاد الانتخابات باعتبارها تجري تحت سقف أوسلو المرفوض من الفصيلين. وهيمنت حركة فتح على نتائج الانتخابات بشكل أساسي. كما جاءت الانتخابات الرئاسية مفصلة على مقاس ياسر عرفات حيث حصد نسبة 87 في المئة أمام المرشحة سميحة خليل التي اختارها بنفسه لاستكمال عملية الديكور.

أما الانتخابات الثانية التي جرت تحت سقف أوسلو أيضا فهي الانتخابات الرئاسية عام 2005 والانتخابات التشريعية عام 2006. فاز محمود عباس بنسبة 62 في المئة أمام منافسه القوي مصطفى البرغوثي الذي جمع نحو 32 في المئة من الأصوات. أما المجلس التشريعي الذي تم توسيعه لـ 120 مقعدا واعتمد صيغة الدوائر 50 في المئة والتمثيل النسبي 50 في المئة، فقد فازت فيها حركة حماس التي عادت ونقضت موافقها السابقة من عدم العمل تحت سقف أوسلو. لقد كانت مشاركة القدس في المرتين ضئيلة جدا، حيث استخدام البريد للإدلاء بالأصوات، بعد أن عملت إسرائيل على تعطيل المشاركة المقدسية بكافة الوسائل.

انتخابات المجلس التشريعي التي بشرنا بها محمود عباس في خطابه أمام الجمعية العامة عام 2019 لم تكن جادة عندما قال إنه طلب من السلطات الإسرائيلية أن تأذن لأهل القدس بالمشاركة في الانتخابات وهو يعرف الجواب سلفا. ولذلك لم تجر الانتخابات ونكاد نجزم أن هذه الانتخابات أيضا ليست جادة وقد تنتهي مثل سوابقها وذلك لعدة أسباب:

– التلويح بالانتخابات عملية دعائية لتجديد شرعية متآكلة أصلا لدى الفصيلين وهي إن حدثت ستعيد إنتاج «نفس الخمرة في كأس جديد» كما يقول المثل الأمريكي.

– الانتخابات التشريعية تعني أن السلطة وحماس ما زالتا ملتزمتين باتفاقيات أوسلو وأن إعلان التحلل من الاتفاقيات السابقة غير صحيح، إذ من غير المنطق أن تتحلل السلطة الفلسطينية من شرعية تستند إليها ثم تعقد انتخابات تحت السقف نفسه الذي منحته تلك الشرعية.

– الانتخابات الشرعية تهرب من المطالبة الجماهيرية الواسعة بعقد انتخابات لمجلس وطني جديد يعيد الحياة لمنظمة التحرير الفلسطينية التي كانت أولى ضحايا أوسلو.

– إن تمديد الفترة لمدة ستة أشهر لا يعني إلا انتظار نتائج الانتخابات الأمريكية والمراهنة على فوز جو بايدن في انتخابات الرئاسة الأمريكية والذي وعد بأن يعيد تمويل السلطة والأونروا وقد يجس نبض الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني للعودة للمفاوضات وهو ما سترحب به السلطة من دون شروط مسبقة وستدير ظهرها لحماس والفصائل جميعها.

– إذا عاد ترامب للحكم فقد تهرب السلطتان إلى الأمام بعقد تلك الانتخابات وتجديد شرعيتهما بدون أن يكون لديهما برنامج تصدي لصفقة القرن يأخذ بعين الاعتبار المقاومة الحقيقية على الأرض.

باختصار الانتخابات التشريعية قد تحل مأزق السلطة الفلسطينية وسلطة حماس مؤقتا إلا أنها لا تحل الأزمة الوجودية التي تمر بها القضية الفلسطينية بمجملها والتي تواجه خطر التصفية بعد انهيار الوضع العربي العام.

انتخابات مجلس وطني جديد

المطلوب الآن وبسرعة الخروج من هذا الوضع المزري والتوجه نحو فتح المجال الفعلي لانتخابات مجلس وطني جديد على أساس ميثاق منظمة التحرير لعام 1968 قبل تشويهه ليتساوق مع استحقاقات أوسلو وأهمها «التخلي عن العنف والإرهاب» كما نصت رسائل الاعتراف المتبادل بين رابين وعرفات الموقعة يوم 9 ايلول/سبتمبر 1993 قبل مهرجان البيت الأبيض.

– المجلس الوطني يشمل كل أبناء الشعب الفلسطيني في كل مكان وليس فقط سكان الضفة والقطاع.

– المجلس الوطني الفلسطيني يعتمد السردية التاريخية الأصلية التي تعتبر الاحتلال الصهيوني لفلسطين كل فلسطين باطلا من أساسه ولا يموت بالتقادم. يعتمد سردية حقيقية قائمة على أن فلسطين كل فلسطين أرض واحدة لا تتجزأ وأنها أرض محتلة من نهرها إلى بحرها من عدو استعماري استيطاني إحلالي تفريقي عنصري لا يقبل أنصاف الحلول ووجوده نفي لوجود الشعب الفلسطيني وما فتئ يعمل على الاستيلاء على مزيد من الأرض وتفريغ المزيد من السكان. وكما أن الأرض واحدة فالشعب الفلسطيني واحد ولا يقبل القسمة لا بالخطوط الخضر ولا الزرق ولا الهويات الزرقاء أو الخضراء ولا بالأسلاك الشائكة أو الجدران العنصرية ولا بمناطق السكن أو اللجوء أو المهاجر.

– المجلس الوطني الفلسطيني لا يقوم على المحاصصة الفصائلية بل يعتبر كل فلسطيني عضوا في منظمة التحرير الفلسطينية ومن حقه وحقها الترشح والانتخاب. إن توزيع المقاعد بإرادة الرئيس على الفصائل والمستقلين لم يعد مقبولا في ظل التكنولوجيا الحديثة التي تمكن جميع أبناء الشعب الفلسطيني من المشاركة بدون حواجز ومفارقات وأجهزة أمنية.

– المجلس الوطني الفلسطيني الحالي ترهل كثيرا، فمن بين أعضائه الـ 714 لا تجد نصفهم في وضع يسمح لهم بممارسة العمل الجاد إما لموت أو خرف أو هرم. المجلس الوطني الجديد يجب ألا يتجاوز عدد أعضائه 350 عضوا، 150 من فلسطين التاريخية و 200 من بلاد اللجوء والشتات كي يكون فاعلا.

– المجلس الوطني الفلسطيني المنتخب يقوم باختيار لجنة تنفيذية جديدة تمثل الطيف الفلسطيني سياسيا وجغرافيا وجنسانيا وعمريا ولا يقتصر أعضاؤها على رجال في الثمانينيات من العمر. سبعون في المئة من الشعب الفلسطيني دون سن الثلاثين، فيأي حق لا يكون لهم أي تمثيل في أي مؤسسة فلسطينية تقوم على الانتخابات؟

المخرج من المأزق

المطلوب الآن إذن أن يعيد الشعب الفلسطيني في كافة أماكن وجوده تجديد حركة تحرره الوطني القائمة على النضال من أجل كل الأرض وإقامة دولة العدل والسلام والديمقراطية والتعددية والقانون دون نفي أو طرد أو استحواذ أو إقصاء لأحد من جميع المواطنين المتساوين في الحقوق والواجبات ودون تمييز قائم على العرق أو اللون أو الدين أو المذهب أو الجنس أو اللغة أو الموقع الاجتماعي. لقد أضاع الأوسلويون أكثر من ربع قرن وهم يعدوننا بدولة الوهم وتبين لهم الآن سراب الوعد بقيام الدولة المستقلة المترابطة القابلة للحياة وعاصمتها القدس الشريف. لم يعد هناك وقت نضيعه لدخول الجدل العقيم: دولة واحدة أم دولتان، المعروض علينا الاستسلام بالجملة أو الاستسلام بالتدرج. ليس أمامنا إلا النضال بكافة الوسائل المتاحة والممكنة والشرعية لتغيير موازين القوى وتحويل الاحتلال والعنصرية والحصار إلى مشروع باهظ الثمن ماديا ومعنويا واقتصاديا وأخلاقيا. والبداية تكون من انتخاب مجلس وطني جديد ينتخب لجنة تنفيذية مستعدة لحمل المشروع الوطني كما ثبته ميثاق منظمة التحرير لا كما شوهه الباحثون عن دولة الوهم.

مجلس تشريعي أم مجلس وطني؟

حوار

عادل تشيكيطو رئيس «العصبة المغربية للدفاع عن حقوق الإنسان»:

الحكومة المغربية اختارت أن تتعامل مع المنظمات الحقوقية بمنطق الأذن الصماء

حاوره: الطاهر الطويل

اعتبر رئيس «العصبة المغربية للدفاع عن حقوق الإنسان» عادل تشيكيطو، أن كل الجهود التي بذلتها الدولة المغربية خلال العشرية الماضية لبناء دولة حقوق الإنسان تتبدد حاليا. وأوضح في حوار لـ«القدس العربي» أن حال الطوارئ الصحية المستمرة إلى الآن كشفت عن «ظواهر جديدة من الشطط في استعمال السلطة، وارتفعت حالات المواجهة بين السلطة والمنظمات الحقوقية، وتكاثرت قضايا ملاحقة الصحافيين والصحافيات والمدافعات والمدافعين عن حقوق الإنسان». وأضاف قائلا إن «ذوي النيات القمعية الذين كانوا يتحينون الفرص لقمع وتكميم أفواه المدافعات والمدافعين عن حقوق الإنسان، خرجوا إلى ممارسة شعائرهم الماضوية في العلن».

عادل تشيكيطو (وهو حقوقي وإعلامي وبرلماني سابق) قال أيضا إن المنظمات الحقوقية تصارع اليوم فقط من أجل الحفاظ على المكتسبات وعدم تبديد كل تلك الجهود التي بذلتها خلال سنوات من النضال والتي تجاوبت معها الدولة بعد مخاض عسير.

وفي ما يلي نص الحوار:

○ **ما هي رهاناتكم في المرحلة الجديدة «للعصبة المغربية للدفاع عن حقوق الإنسان»؟**

● لابد من التأكيد بداية على أننا نعيش مرحلة دقيقة على المستوى الوطني، تتأثر بسياق دولي يطبعه القلق والترقب، جراء تغير معالم الحياة بسبب انتشار وباء كوفيد– 19 هذا الأخير الذي ساهم بشكل كبير في اتخاذ دول العالم بأسره والمغرب على وجه الخصوص لمجموعة من التدابير الاحترازية التي قيدت الحريات، وجثمت على عدد من الحقوق.

وقد تفاعل المواطن المغربي مع بداية فرض الحجر المنزلي مع تلك الإجراءات، رغم صعوبتها، وأبدى استعداده للتنازل عن عدد من حقوقه الأساسية بروح وطنية وحس إنساني وبنفس مفعم بالإرادة الجماعية للقضاء على الجائحة حتى تعود الحياة إلى سابق عهدها، وهو ما جعلنا في «العصبة المغربية للدفاع عن حقوق الإنسان» خلال هذه المرحلة نوجه جهودنا نحو المبادرات الرامية إلى نشر وإشاعة ثقافة وقيم حقوق الإنسان والحريات الأساسية، والمساهمة في حمايتها والدفاع عنها، والعمل الجماعي من أجل تفعيل «الميثاق الوطني لحقوق الإنسان» والالتزام بنشر وتعميق مفاهيم مبادئ حقوق الإنسان وحرياته الأساسية في جميع أصولها ومصادرها كما نص عليها الإسلام وأكدها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والمواثيق والمعاهدات الدولية.

وبما أن دورنا ليس فقط هو التوعية والتحسيس والمساهمة في صناعة نقاش وطني حول قضايا حقوق الإنسان، ولأن أدوارنا الرئيسية تلامس حدود الإشارة إلى الخروقات والتجاوزات التي تعيشها بلادنا، وبتزايد حالات الاعتقال والتعسف الذي يستهدف المواطنين وكذا المناضلات والمناضلين، فإننا نجد أنفسنا اليوم أمام رهان حماية المدافعات والمدافعين عن حقوق الإنسان من التضييق والهجوم والاستهداف الذي يتعرضون له سواء عبر تلفيق التهم، والمتابعات الجنائية، أو عبر القتل الرمزي باستغلال المنابر الإعلامية المتخصصة في التشهير والمستفيدة من الحماية والدعم، بالإضافة إلى التضييق على الجمعيات والمنظمات الحقوقية بحرمانها من وصولات الإيداع وعقد الاجتماعات والتجمعات العمومية وحرية التظاهر السلمي، وهو الأمر الذي سبق أن أشارت إليه العصبة في مؤتمرها الأخير من خلال رفعها لشعار: «حماية المدافعات والمدافعين عن حقوق الإنسان، دعامة للحقوق والحريات». مع الأسف عوض أن نساهم في نقل بلادنا نحو مصاف الدول التي تراهن على توفير الأجيال الجديدة والحريات، صار رهاننا اليوم هو النضال من أجل خلق بيئة آمنة وتمكينية للحقوقيات والحقوقيين للاضطلاع بأدوارهم.

لذلك، فإننا نرى أنه على العقل الحقوقي للدولة أن يراجع حساباته في التعاطي مع قضايا حقوق الإنسان بشكل عام وأن يوقف حملة الخصومة مع الجسم الحقوقي.

وسقطت ورقة التوت

○ **كيف تقيمون الوضع الحقوقي في المغرب حاليا؟**

● أحاول جاهدا كفاعل حقوقي أن أكون إيجابيا في تناولي للوضعية الحقوقية في بلادنا، لكن الواقع لا يرتفع، فقد ألقى تفشي جائحة «كورونا» بظلاله على وضع حقوق الإنسان في المغرب، وتصدرت هفوات الحكومة حديث المواطنين، بدءا من عملية إغلاق الحدود وخلق فئة جديدة من المغاربة سُمّيت بالمغاربة العالقين، مرورا بالتباطؤ الاقتصادي الذي قوّض بدوره الحقوق الاجتماعية والاقتصادية للملايين المواطنين، كما أدى الحجر الصحي إلى زيادة مستويات العنف المنزلي وسوء المعاملة، وكذا عدم تحمل الحكومة مسؤولياتها في ما يتعلق بمراقبتها لأماكن العمل المتجلية في المصانع والمعامل التي استمرت عملياتها الإنتاجية والتي تحولت بين عشية وضحاها وخصوصا بعد مرحلة رفع الحجر المنزلي إلى بؤر وبائية، ساهمت بشكل أساسي في الارتفاع الصاروخي لأعداد المصابين، بعدما عشنا فترات أمل في التمكن من الفيروس ومحاصرته.

ولعل من أهم القطاعات التي عرت فترة حال الطوارئ الصحية عن الاختلالات التي تعيشها بسبب تراكم سنوات سوء التدبير والفساد، قطاعي الصحة والتعليم، حيث اتضح أن قطاع الصحة على وجه التحديد لم يكن مستعدا من حيث بنياته التحتية لمواجهة هذه الفترة العصيبة، إذ أن عددا من المستشفيات ومراكز العلاج سقطت عنها ورقة التوت، وتبين أنها مجرد بنايات لا تصلح أبدا لتقديم خدمة أساسية تسهر على صحة وسلامة المواطنات والمواطنين، كما أن قطاع التعليم هو أيضا تبين أنه يعاني فقرا على مستوى الإمكانيات اللوجستيكية والبنيات التحتية، خصوصا عندما تم وضعه أمام سؤال القدرة على مواكبة منهاج التعليم عن بعد، ومواجهة «لوبي» التعليم الخصوصي ورضوخه لضغوط متعددة «للوبيات» على حساب مبادئ أساسية من أهمها مبدأ المجانية.

لقد كشفت فترة الطوارئ المستمرة لحد الآن عن الوجه القمعي للدولة، وأظهر عدد من المسؤولين بها عن نواياهم الاستبدادية، وسارع آخرون إلى استغلال هذه الفترة في التصفية المعنوية واعتقال الصحافيين والناشطين في مجال حقوق الإنسان، وخرج ذوو النيات القمعية الذين كانوا يتحينون الفرص لقمع وتكميم أفواه المدافعات والمدافعين عن حقوق الإنسان، إلى ممارسة شعائرهم الماضوية في العلن.

لا أريد أن أقول إننا لم ندفن الماضي، وإن المصالحة وجهود الإنصاف ودولة الحق والقانون وفصل السلط والسلطة في خدمة المواطن مجرد شعارات، لكن سأقول بكل حسرة إن كل الجهود التي بذلتها الدولة خلال العشرية الماضية لبناء دولة حقوق الإنسان تتبدد.

> حال الطوارئ الصحية كشفت عن الشطط في استعمال السلطة

ضحايا الحق في الرأي

○ **هل بالإمكان الحديث عن دخول جيل جديد من الحقوق في المغرب؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هي ملامحه وخصائصه؟**

● من الصعب الحديث عن دخول جيل جديد من الحقوق للمغرب، ما دمنا لم نحقق ما نصبو إليه منذ عشرات السنين من حقوق أساسية، قد يصح تصنيفها ضمن الحقوق الزرقاء، أي الجيل الأول من الحقوق، وهي مدنية وسياسية بطبيعتها، أو الحقوق الحمراء المرتكنة داخل خانة الجيل الثاني من الحقوق، وهي المرتبطة أساسا بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية، أقول من الصعب الحديث عن جيل جديد من الحقوق بالمغرب حتى من باب التسويق الدولي لسمعة المغرب الحقوقية، والكل يعرف أننا ما زلنا نصارع الإكراهات التي تتداخل فيها عوامل اقتصادية وسياسية وتاريخية وعقائدية، من باب الضحك على الذقون أن نسوق لفكرة أن المغرب يفكر في التعامل مع جيل جديد من الحقوق، ونحن ما زلنا نناضل من أجل إطلاق سراح معتقلي الريف ومعتقلي الرأي ونطالب بالإفراج عن توفيق بوعشرين وسليمان الريسوني وعمر الراضي وغيرهم من الصحافيين والمدونين الذي راحوا ضحية استعمالهم لحقهم في الرأي الذي ينص عليه الفصل 25 من الدستور وتضمنه المواثيق الدولية كالإعلان العالمي لحقوق الإنسان من خلال المادة 19 والعهد الدولي للحقوق المدينة والسياسية الذي يلزم الدول الموقعة عليه كالمغرب بضرورة احترام مادته التاسعة عشرة.

○ **هل تعامل السلطات المغربية، التشريعية والتنفيذية والقضائية، مع القضايا والانشغالات الحقوقية، يسير بالإيقاع نفسه الذي يميز نشاط منظمات حقوق الإنسان؟**

● من الصعب جدا أن تساير سلطات أي بلد مهما كانت درجة احترامه لحقوق الإنسان نشاط منظماتها الحقوقية، فكلما تحققت المطامح عبر برامج حكومية لبعض البلدان، ارتفع سقف المطالب من جهة المنظمات الحقوقية لذلك البلد، هذا من الناحية المبدئية؛ لكن في المغرب كما قلت في السابق المنظمات الحقوقية تصارع اليوم فقط من أجل الحفاظ على المكتسبات وعدم تبديد كل تلك الجهود التي بذلتها خلال سنوات من النضال والتي تجاوبت معها الدولة بعد مخاض عسير.

الواقع اليوم في المغرب يؤكد حقيقة ساطعة تتجلى في كون المنظمات الحقوقية تسير بسرعة، فيما اتفقت سلطات المغرب باختلاف اختصاصاتها أن تسير أبطأ إن لم نقل إنها تتدحرج نحو السفح، ولا أدل على كل هذا فشلها مثلا في تدبير جائحة كوفيد–19 خاصة فيما يتعلق بالآثار الاجتماعية والاقتصادية الناتجة عنها.

منزلقات حقوقية

○ **وأي وقع لمواقفكم وتقاريركم الدورية لدى الأجهزة الحكومية وغيرها؟**

● بشكل عام، تجاوب الأجهزة الحكومية شبه منعدم مع تقاريرنا ومطالبنا، إلا إذا استثنينا بعض الحالات المحصورة والمرتبطة بسياقات معينة، فلو اشتغلت آليات التجاوب الحكومي مع مواقفنا ومطالبا وتنبيهاتنا واقتراحاتنا بشكل إيجابي لتفادت الحكومة والدولة بشكل عام الوقوع في العديد من المنزلقات الحقوقية. لقد نبهنا الحكومة على سبيل المثال إلى الانهيار الجزئي والمستمر للمنظومة الصحية، وانهيار قطاعات اقتصادية ومقاولات عمومية، وإلى الكف عن محاولة تمرير تشريعات تحمل تهديد للحقوق والحريات الدستورية من قبيل ترسيم العمل المؤقت ضدا على فلسفة مدونة الشغل، ومحاولة تمرير مشروع القانون التكبيلي للاضراب من خلال برمجته للمناقشة ما بين الدورتين التشريعيتين، وطالبناها في مناسبات متعددة بتصفية ملف المغاربة العالقين ووضع حلول عاجلة لمشاكلهم، وبتفعيل الالتزامات الدستورية المتعلقة بالحقوق والحريات، وفي مقدمتها المواثيق والعهود والاتفاقيات الدولية ذات الصلة، بعد المصادقة عليها ونشرها بالجريدة الرسمية، والدعوة إلى سحب الإعلانات التفسيرية التي تحد من إعمال مضامين هذه المواثيق، لاسيما ما يتعلق باتفاقية حقوق الطفل، واتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، دون الانتقال إلى مرحلة التنفيذ. وشددنا في مناسبات متعددة على ضرورة التصدي للفساد الإداري وتفعيل المتابعة القضائية في حق ناهبي المال العام، ووضع حد للتبذير والامتيازات واقتصاد الريع وتجديد الثروة والإجابة الصريحة عن سؤال أين الثروة؟ وتوزيعها بشكل عادل من خلال تشريعات تضمن حقهم الاقتصادي والاجتماعي، لكن لا حياة لمن نناديّ، فالحكومة اختارت أن تتعامل مع المنظمات الحقوقية بمنطق الآذان الصماء.

○ **هل هناك تنسيق بينكم وبين المنظمات المغربية الأخرى ذات الاهتمامات الحقوقية؟**

● طبعا، لا يستقيم أي عمل ينصب في اتجاه تحقيق مطالب حقوقية دون التعاون والتنسيق بين المنظمات الحقوقية، ولعل أبرز تنسيق بين العصبة وهذه المنظمات يتجسد من خلال التعاون داخل الائتلافات والتنسيقيات والشبكات الجمعوية الحقوقية، كـ«الائتلاف المغربي لهيئات حقوق الإنسان» و«الائتلاف المغربي لمناهضة عقوبة الإعدام» و«التنسيقية المغاربية لحقوق الإنسان» ونحن اليوم بصدد التهيؤ لتجديد الدماء في مجلس للتنسيق بيننا وبين جمعية حقوقية مغربية صديقة.

درب النضال

○ **أن تكون على رأس منظمة حقوقية، ألا يجعلك تؤدي «ضريبة»، ما، نتيجة مواقفك والتزاماتك وتصريحاتك؟**

● طريق النضال في مجال حقوق الانسان بالمغرب ليست مفروشة بالورود، فهي على عكس ذلك مليئة بالمخاطر والمجازفات، وفي كل موقف أو مبادرة لابد أن تجد نفسك في مواجهة جهة ما لن تدع مواقفك ومبادراتك النضالية تمر دون أن ترد لك الصاع صاعين وتهاجمك بكل الوسائل المتاحة لها، وبينها بعض المنابر الإعلامية إن صح تصنيفها إعلاما والتي اختصت في التشهير والسب والقذف.

المصيبة العظمى أن جرائم تلك المناشف الإعلامية تتم أمام أنظار السلطات المختصة، لكن تلك السلطات لا ترى سوى ما أمرت بالنظر إليه، وتتحاشى النظر فيما قد يمس سمعة الفاعل الحقوقي.

لقد خُيِّرتُ قبل أن أترشح لقيادة «العصبة المغربية للدفاع عن حقوق الإنسان» بين الاستعداد لحملات التضييق والتشهير وربما أكثر من ذلك، وبين أن أضع رأسي بين الرؤوس وأرضى بما هو قائم حاليا، فاخترت درب النضال، لذلك فلا تهم الضريبة ما دمنا على إيمان بأننا سنصل إلى مبتغانا ومبتغى الشعب المغربي، الحالم بمغرب الكرامة والحرية والعدالة الاجتماعية.

حريات

تطورات لا تكفي لردع الأسد ولا تنقذ المعتقلين السوريين

مذكرة هولندية ضد النظام السوري وتلويح بنقل جرائمه بحق الإنسان إلى المحاكم الدولية

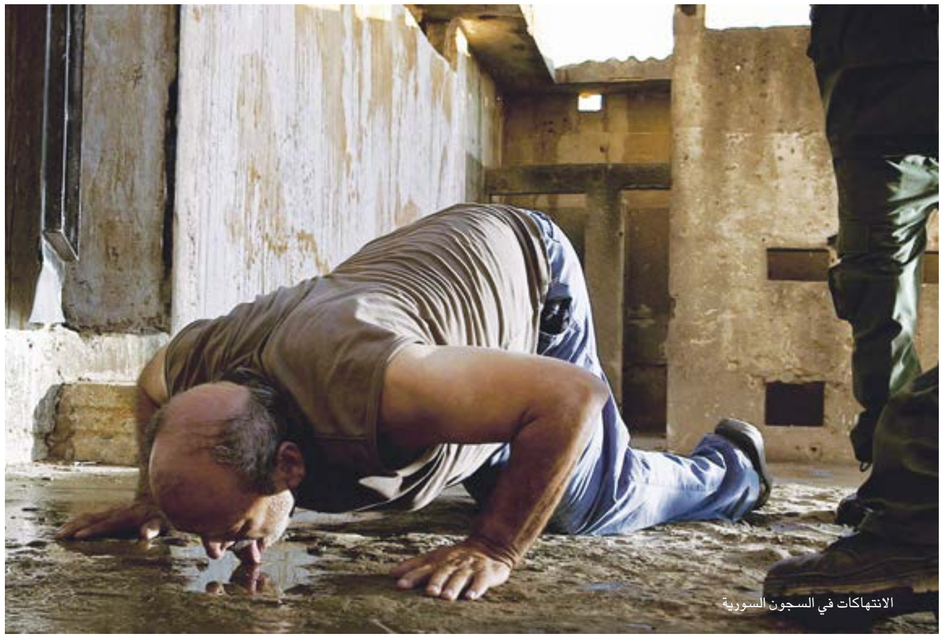
الانتهاكات في السجون السورية

حسام محمد

في تحرك حقوقي دولي هو الأول من نوعه تجاه القضية السورية، قدمت هولندا بعد 9 سنوات من عمر الثورة السورية مذكرة للنظام السوري، تدعوه من خلالها لأداء مسؤولياته الدولية بسبب انتهاكات حقوق الإنسان وخرقه للاتفاقية الدولية المناهضة للتعذيب والصادرة في عام 1984 مثل عمليات التعذيب التي نفذها بحق السوريين واستخدام الأسلحة الكيميائية، وتعويض الضحايا عن الأضرار التي ألحقها بهم.

وأفاد بيان صادر عن مجلس النواب الهولندي، أنه تم تقديم مذكرة إلى البعثة السورية لدى الأمم المتحدة، تدعو فيها النظام إلى محادثات حول انتهاكات حقوق الإنسان التي ارتكبها في البلاد، وأكد البيان أن النظام السوري خرق اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب لعام 1984 من خلال انتهاكات حقوق الإنسان ضد مواطنيه منذ العام 2011.

كما طُلب من النظام السوري، وفق تدير الملف وفق المعايير الدولية انطلاقاً من بنود اتفاقية الأمم المتحدة لمناهضة التعذيب والتي صادقت عليها سوريا عام 2004.

تحرك مهم لكن لا يكفي

مدير الشبكة السورية لحقوق الإنسان فضل عبد الغني، قال لـ «القدس العربي» إن «الخطوة الهولندية نحو تحقيق العدالة في سوريا، ومساءلة النظام السوري والتزامه باتفاقية مناهضة التعذيب، هي خطوة تأخرت تسع سنوات، لكنها ذات تأثير قوي، وكان من الممكن اتخاذ هذا الإجراء منذ عام 2011 من قبل هولندا وبقية الدول، لكن هولندا هي الوحيدة التي فعلت ذلك».

وأشار المصدر الحقوقي، إلى أن هذا الإجراء من قبل هولندا، وأن هذه الآلية تسمح باللجوء إلى محكمة العدل الدولية، باعتبار أن هولندا هي من قدمت الشكوى ضد النظام السوري لعدم التزامه بالاتفاقيات الدولية، وهذا يصيب النظام السوري بالعار والمزيد من العزلة والإذلال للأسد.

تقارير اللجان الأممية مهمة للغاية وفق ما تحدث به لـ «القدس العربي» معللا ذلك، بأن هذه التقارير توثق ما يحدث في سوريا من انتهاكات، وتؤكد في ذات الوقت استمرار الجرائم في البلاد من قبل النظام، وتقارير المحققين الدوليين مهمة، ولكن لا يتم البناء والتحضير للخطوة التالية للحراك الأممي، وهذا ما لا يتم بشكل كافي حتى الساعة، وهنا المقصود محاسبة النظام السوري على جرائمه وعزله دوليا، ومحاسبة الأطراف والدول الداعمة له. فهدف التقارير الأممية هو الانتقال للخطوة التنفيذية من فرض عقوبات أممية وهذا لا يتم بسبب وجود الداعم الروسي الذي يعيق ذلك في مجلس الأمن الدولي وهو المسؤول عن العقوبات.

كما نوه إلى أن محاسبة مرتكب الجرائم والانتهاكات في سوريا ليست من مسؤولية الشعب السوري فقط، ولا مجلس الأمن فحسب، إنما يفترض أن تكون هناك تحالفات دولية، وحراك أكبر لوضع حد لهذه الجرائم بشكل حقيقي، والوضع الحالي لا يشير إلى وجود أي آمال بردع النظام السوري ولا إطلاق سراح المعتقلين.

تأثير دولي

الباحث في مركز الحوار السوري محمد وكالة «الأناضول» إعطاء ضمانات لهولندا إزاء وقف عمليات التعذيب وباقي انتهاكات حقوق الإنسان، وعدم تكرارها. وفي تعليقه على الرسالة، قال وزير الخارجية الهولندي ستيف بلوك، إن نظام الأسد مسؤول عن انتهاكات حقوق الإنسان في سوريا.

النائب الهولندي، اعتبر كذلك أن التوصل إلى حل سياسي دائم في سوريا يقتضي محاسبة المسؤولين عن تلك الانتهاكات، بموجب القوانين الدولية، ملوحا بنقل ملف انتهاكات النظام السوري لحقوق الإنسان إلى المحاكم الدولية.

الأسد يرفض

النظام السوري، من جانبه اعتبر أن الدعوى الهولندية ضده في محكمة لاهاي هي «انتهاك فاضح لتعهداتها والتزاماتها كدولة المقر لهذه المنظمة الدولية ونظامها» كما ذكرت خارجية الأسد: «من جديد تصر الحكومة الهولندية، التي ارتضت لنفسها دور التابع الذليل للولايات المتحدة الأمريكية، على استخدام محكمة العدل الدولية في لاهاي لخدمة أجندات سيدها الأمريكي السياسية واستعمالها منصة للقفز فوق الأمم المتحدة والقانون الدولي».

ونقلت وكالة «سانا» عن مصدر في خارجية النظام السوري، قوله إن «الحكومة الهولندية هي آخر من يحق لها الحديث عن حقوق الإنسان وحماية المدنيين، بعد فضيحتها الكبرى أمام الرأي العام الهولندي ودافعي الضرائب من شعبها نتيجة قيامها بدعم وتمويل تنظيمات مسلحة في سوريا تصنفها النيابة العامة الهولندية كتنظيمات إرهابية».

رفض الأسد ونظامه للتحرك الحقوقي الهولندي، جاء في الأوقات التي كانت تمنع فيها حكومته المواطنين السوريين العالقين على الحدود مع لبنان، من دخول بلادهم إلا بشرط تصريف 100 دولار أمريكي، وهذا ما علق عليه هادي البحرة، الذي يشغل حاليًا منصب الرئيس المشترك للجنة الدستورية السورية بالقول عبر حسابه في مواقع التواصل الاجتماعي: «الدولة التي ترفض عودة مواطنيها إلى وطنهم، إلا إذا دفعوا لها 100 دولار أمريكي، لا يمكن أن تمثلهم أو أن تكون أداة ممارسة الشعب لسيادته على وطنه. بل تصبح مغتصبة لهذه السيادة، ولحقوق مواطني الدولة».

الائتلاف المعارض يرحب

من جانبه، أكد الائتلاف الوطني السوري أهمية الخطوة التي اتخذتها الحكومة الهولندية في العمل على محاسبة المسؤولين عن التعذيب في سوريا، مشيراً إلى «استعداده الكامل للتعاون وفق ما يسمح به القانون، وبما يضمن إيصال هذا الملف إلى محكمة العدل الدولية بأسرع وقت ممكن وإنزال العقوبات بالمسؤولين عن الجرائم في سوريا، والعمل في الوقت نفسه على ضمان وقف ارتكاب المزيد من الانتهاكات وأعمال القتل والتعذيب في سوريا».

واعتبر الائتلاف وهو أقوى جسم سياسي معارض، أن الحكومة الهولندية،

من وثائق قيصر

سالم، قال من جانبه: «من الطبيعي أن يؤثر السياق السياسي على سير الدعاوى الحقوقية على المستوى الدولي، فنحن بالتأكيد لا نعيش في عالم مثالي فيه سيادة حقيقية للقانون الدولي، بل يخدم القانون الدولي كأداة لمحصلة الإرادات الدولية، وبالتالي، من الطبيعي أن تكون بصمات الدول الأكثر نفوذاً كالولايات المتحدة مؤثرة في هذا السياق، وقانون قيصر نفسه الذي تبنته الولايات المتحدة، يستند بطبيعة الحال قانونياً على مسألة ضحايا النظام السوري في السجون».

وأضاف في تصريحات أدلى بها لـ «القدس العربي» «لكن قانون قيصر في الحقيقة له دوافع ومحركات ضمنية سياسية متعددة، من ضمنها تشديد الخناق على إيران، وأنصارها، بعد انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي الإيراني، وذات الأمر ينطبق على الدعاوى ضد نظام الأسد، فالمناخ السياسي الدولي ملائم لمثل هذه الدعاوى، والنظام السوري الآن يخضع لضغوط كبيرة متسقة مع قانون قيصر والضغوط القصوى على إيران».

التحرك الهولندي، شهد ترحيبا كذلك من 42 منظمة من منظمات المجتمع المدني في سوريا، وأشارت المنظمات في بيان لها إلى ضرورة دعم الدول لهذه الخطوة واتخاذ خطوات مشابهة.

ومن شهادة المدير العام للمركز السوري للإعلام والحرية، المحامي مازن درويش أمام المحكمة الإقليمية في كوبلنز الألمانية، لتسليط الضوء على التطور السياسي في سوريا وطريقة تعامل السلطة والأجهزة الأمنية مع حركات المعارضة، قوله: «وسائل التعذيب الأساسية كانت موجودة قبل 2011 كبساط الريح والدولاب والتعذيب بالكهرباء والشبح، ومنع الرعاية الصحية والانتهاكات ضد النساء، الاختلافات الوحيدة كانت في الأعداد والهدف من التعذيب. في البداية، كان الهدف هو انتزاع الاعترافات. بعد عام 2011 تحول الهدف إلى وسيلة انتقام وتدمير المحتجزين نفسيا وتصفيتهم».

العدل والجنايات

الخطوة الهولندية تجاه النظام السوري، دفعت المحامي السوري ميشيل شماس لشرح الفروق بين محكمة العدل الدولية ومحكمة الجنايات الدولية، وكتب شماس عبر حسابه في منصات التواصل الاجتماعي: أن محكمة العدل الدولية تختص بالفصل في النزاعات الدولية أي بين دول وليس أفراد، كالنازعات على الحدود، أو مخالفة اتفاقية دولية، وهي تحاكم دولا وليس أفراداً، وتصدر أحكاماً بالتعويض للدولة الشاكية أو تترك أمر التعويض للاتفاق بين الدولة الشاكية والمشتكى عليها، وهي لا تصدر أحكاماً جزائية مثل التوقيف أو السجن. وهي أقرب للمحاكم المدنية.

وإذا لم تنفذ الدولة حكم المحكمة تستطيع الدولة المحكوم لها طلب تنفيذه من مجلس الأمن وهنا الطلب مرهون بموافقة تسعة أعضاء وعدم استخدام الفيتو.

أما محكمة الجنايات الدولية فهي تختص بمحاكمة مرتكبي أشد الجرائم المحتملة جسامة بمقتضى القانون الدولي، أي جرائم الإبادة والجرائم ضد الإنسانية وجرائم الحرب وجريمة العدوان، والمدعي العام لديها يملك سلطة إصدار مذكرة توقيف دولية، والمحكمة تحكم بالسجن على الأفراد كما تحكم بالتعويض للضحايا.

بالعودة إلى الشكوى الهولندية فهي تبقى خطوة رمزية لن توقف التعذيب في سوريا، وحتى تصل الشكوى إلى محكمة العدل الدولية وتصبح قضية، قد يحتاج الأمر إلى ما يقارب الخمس سنوات، فضلاً عن ذلك لن تستطيع المحكمة اتخاذ إجراءات كالكشف على أماكن الاعتقال والتوقيف في سوريا على اعتبار أن سوريا قد تحفظت على المادة 20 من اتفاقية مناهضة التعذيب التي تتيح إمكانية القيام بجولات تفتيشية مفاجئة لمراكز الاحتجاز وللسجون.

انتهاكات

أصدرت الشبكة السورية لحقوق الإنسان تقريرها الشهري الذي يرصد حالة حقوق الإنسان في سوريا، واستعرضت فيه حصيلة أبرز الانتهاكات على يد أطراف النزاع والقوى المسيطرة في سوريا في آب/ اغسطس الماضي، مشيرة إلى أن الألغام الأرضية تسببت في مقتل 25 مدنياً، بينهم 4 أطفال، إضافة إلى ارتفاع في حصيلة إصابات كورونا لتكون الأعلى على الإطلاق منذ الإعلان عن ظهور الفيروس في سوريا.

وسجَّل التقرير مقتل 122 مدنياً، بينهم 21 طفلاً و7 سيدة (أنثى بالغة) من بين الضحايا 1 من الكوادر الطبية. كما وثق مقتل 13 شخصاً قضوا بسبب التعذيب، وما لا يقل عن مجزرة واحدة.

وثَّق التقرير الشهر الماضي ما لا يقل عن 146 حالة اعتقال تعسفي/ احتجاز، بينها 4 أطفال كانت النسبة الأكبر منها على يد قوات النظام في محافظات ريف دمشق فدرعا.

وشهدَ الشهر المنصرم ما لا يقل عن 7 حوادث اعتداء على مراكز حيويَّة مدنيَّة، كانت 1 منها على يد قوات سوريا الديمقراطية، و6 على يد جهات أخرى، وكان من بين هذه الهجمات 1 على مدارس، و1 على منشأة طبية، و1 على مكان عبادة.

واستمرت العمليات العسكرية والقصف المدفعي والصاروخي لقوات النظام وتركزت على مناطق جبل الزاوية بريف إدلب الجنوبي، كما استمرت عمليات نهب ممتلكات المدنيين في المناطق التي سيطرت عليها هذه القوات في منطقة إدلب، إضافة إلى غارات الطيران الروسي.

وسجَّل التقرير ارتفاعاً ملحوظاً في نسبة الضحايا من المواطنين السوريين بسبب الألغام في آب/ اغسطس 25 مدنياً بينهم 4 أطفال، حيث بلغت قرابة 20 في المئة من حصيلة الضحايا الإجمالية في هذا الشهر، مشيراً إلى سقوط الضحايا في محافظات عدة، بينها حلب وإدلب على وجه الخصوص، ولافتاً إلى أن هذا يشير إلى عدم قيام أي من القوى المسيطرة ببذل أية جهود تذكر في عملية إزالة الألغام، أو محاولة الكشف عن أماكنها وتسويرها وتحذير السكان المحليين منها.

أضاف التقرير أن آب/اغسطس كان الأسوأ على الإطلاق على صعيد جائحة كوفيد–19 في جميع مناطق سوريا، فقد أعلنت وزارة الصحة التابعة للنظام عن 2008 حالة إصابة، و69 حالة وفاة وتفوق هذه الحصيلة أربعة أضعاف حالات الإصابة المسجلة في تموز/يوليو بينما تضاعفت حصيلة الوفيات مرتين. وأكّد التقرير أنّ الحكومة السورية خرقت القانون الدولي الإنساني، وقرارات مجلس الأمن الدولي، بشكل خاص القرار رقم 2139 والقرار رقم 2042 المتعلّق بالإفراج عن المعتقلين، والقرار رقم 2254 وكل ذلك دون أية محاسبة.

كتب

العراقية فاطمة المحسن في «الرحلة الناقصة»: سيرة تكتمل بالإبداع ومواصلة الحياة

هاشم شفيق

قليلة هي المذكرات التي تستدعي الصدق والكلام الصراح والوثوقية، وتدعوك كي تستثير الخيال على التأمل والتفكر واستجماع السوانح، لتسرح في عالمها المستدعى من السنوات والعقود والتواريخ الماضية، من ماض غابر، عبْر في حياة ومؤلف وسارد الذكريات، المترحّل في عاله الخاص بيوغرافياً، مستبطناً ماضيه وحياته السالفة، ومسترجعاً من خلال سيرته كل التفاصيل الصغيرة، والكبيرة التي مرّ بها، ولا سيّما الخطوب الجلّى، من عالمه التراجيدي، وحياته التي تعرّضت للمحن والمهالك والصعوبات والعوائق، أو تلك الساعات والأيام المؤثرة بجماليّاتها على حياته، وهذه تكون، أي السعادات، في الغالب الأعم للإنسان المعاصر جد قليلة، أو أقل عموماً من واقع الأوقات المأسوية، لذك نجد سارد المذكرات أو الكاتب الذي كتب عاله الأوتوبيوغرافي مستغرقاً في التفاصيل المؤلمة، والكاوية، تلك التي تركت ميسمها الحارق عليه، على تفكيره وروحه وجسده، وتغلغلت في بواطن الذهنيات، لتمسي جزءاً من سياق الكائن، هذا الكائن الذي مرّ بكل هذه التجارب المرة، تجارب بلورت جزءاً من مسيرته اليومية والحياتية، واستوطنت منطقة معتمة من تاريخه الشخصي، وظلت قابعة هناك، حتى جاء القلم وفك أسرها، لتغدو طليقة، وتخفّف من عبء حاملها طوال تلك السنوات.

ولعل كتاب الباحثة والناقدة العراقية فاطمة المحسن «الرحلة الناقصة» هو خير مثال لهذه الوقائع والأحداث والملمات التي اجتمعت في سيرتها الشخصية. سيرة فيها ما فيها من محطات ومواقف وقضايا صغيرة وكبيرة، كانت الكاتبة قد شهدتها ومرّت في حياتها التي تبدو متشعّبة من جهة الهجرة والتنقل من مكان إلى آخر، ومؤثرة من ناحية اعتقالها وسجنها لدى نظام عنيف وقاس، كنظام البعث السابق، بحجة انتمائها إلى الحزب الشيوعي العراقي، ومن جهة ثالثة، يتخلل سيرتها بعض الأيام الهادئة والبسيطة، كلحظة دراستها في هنغاريا، مضيفة إليها أيام عيشها في دمشق، تقابلها في المنحى المختلف الأيام العصيبة في السجن لفتاة رقيقة ومرهفة وجميلة، ولا سيّما حين تقع بين براثن جلاد لا يرحم الجمال والهشاشة والعذوبة، بل يسعى بشتى الطرق لأن يدنس الرقة ويهشم المعنويات الصادرة عن أنثى. بيد أن الأنثى هنا نراها تحاول بشتى السبل أن تطيح بالموقف المختلف وتدحض التعاليم الفاشية، فأنت حين تكون جريحاً وطعيناً ونزيل زنزانة ووحيداً، ماذا يا ترى ستكون النهاية غير أن تلقى على يد جلادك فنون التعذيب وتمريغ الذات وكسر ما تبقى من مرايا الروح، لتغدو مهشماً تماماً؟ لكن في النهاية لا يستطيع الجلاد الاستمرار في أفعاله الشنيعة، من خلال الإيغال والتمثيل بالجسد الأعزل، الهش والمستباح إلى ما لا نهاية، فهو يريد منك أن تعطي شيئاً، أن تنبس، أن تخون، فهل كلمة لا عادت بانتفاع ما، كما كان الحال مع فاطمة وهي في السجن؟ فحين عجز المحقق السرّي والجلاد والضابط المناط بالمهمة المخزية عن التركيع والتسقيط والتمريغ استعاد وعيه الملطخ وأعيته الحيلة، فاعتذر بطريقة ما، مثلما يعتذر أي جلاد لضحيته عن الخطيئة التي يحسبها واجباً وعليه التنفيذ، كونه عبداً مأموراً، كما قال لها بعد مثولها أمامه لحظة خروجها من الزنزانة.

«لعلّ نقطة ضعف السجين ساعة التعذيب هي تفكيره بالنجاة، فهو يفتح كوة أمامهم لتحطيمه جسدياً وروحياً. وجدتُ طريقة للهروب من التعذيب بإضرابي عن الطعام، فالإضراب لم يكن موقفاً نضالياً، بل وسيلة لدخولي في غيبوبة بعد فترة قليلة من ساعة التعذيب، أعرف أنّ هذا الموقف لا يعني الكثير في سجون البعث، حيث لا يسأل السجين عن حقّ له مهما كان نوعه، غير أنهم حاولوا إرغامي على تناول الطعام وأنا مستلقية على الأرض، مكبلة اليدين بالحديد الذي يحز ظهري، وأتلقى الرفس بالأقدام، وأحدهم يحاول فتح فمي وسكب الشوربة، كنت في يأس مطلق من أن أرى حياة الحرية».

تتناول مذكرات «الرحلة الناقصة» عدا هذا الفصل، وهو قصير نسبياً، فصولاً ذات تفاصيل كثيرة من حياة الكاتبة فاطمة المحسن، بدءاً من بواكير حياتها الصحافية حيث العمل في «مجلة الإذاعة والتلفزيون» التي كانت تهيمن على أقسامها وصفحاتها كوكبة من اليساريين، على رأسهم أخو الكاتبة زهير الدجيلي، وهو الأخ غير الشقيق، مع كتاب معروفين حينها من أمثال عبد الرحمن طهمازي وقيس قاسم وزهير الجزائري وغيرهم. كان ذلك في بداية المشوار الصحافي حيث الركض اليومي ما بين متطلبات الصحافة، ومتطلبات الحزب الشيوعي الذي كانت تنتمي إليه الكاتبة، في تلك الفترة الحساسة من تاريخ العراق المليد دائماً بسحب سوداء، من الثورات والمؤامرات والانقلابات العسكرية، كان آخرها انقلاب البعث عام 1968 وبداية عهد التسلط على يد الزمرة البعثية، يوم جاءت مرة ثانية إلى الحكم بأسلوب جديد، راح يتكشف بالتدريج عاماً بعد عام، عن الوجه الدموي القديم الذي كان يتميز به على الدوام، فبدأ باستمالة الحزب الشيوعي إلى حين، وكذلك الأكراد، لكي يستتب له الوضع ويرتب أوراقه من جديد، فانتشرت الصحافة والمجلات ونشطت وزارة الإعلام، وظهرت مجلة «ألف باء» حيث ضمت المجلة في بداية مشوارها العديد من الكتاب اليساريين، القادرين بخبراتهم الثقافية الواسعة على إدارة شؤون الصحافة وتسيير دفّتها، تقنياً وكتابياً وفنياً، وظهرت إلى جانب هذا عبر التحالف الشيوعي البعثي صحف الحزب الشيوعي ومجلاته مثل مجلة «الثقافة الجديدة» الشهرية، وصحيفة الحزب الشيوعي اليومية «طرق الشعب» والصحيفة الأسبوعية «الفكر الجديد» تنضاف إلى ذلك «دار الرواد» التي كانت تطبع مطبوعات الحزب وكتبه ومنشوراته السياسية والثقافية.

من هنا وجدنا استطاب مجلة «ألف باء» الأسبوعية الحكومية لفيفا كبيرا من الكتاب، ومن ضمن هؤلاء كانت فاطمة المحسن من بين العاملين فيها، فضلا عن كتابها المشهورين مثل حسين مردان وفاضل العزاوي وصادق الصايغ وسالمة صالح وآخرين غيرهم. ولكن الأمد لم يطل معهم، فالبعض غادرها مرغماً، والبعض مفصولاً أو مطروداً، فلجأت حينها فاطمة المحسن إلى جريدة «طريق الشعب» لتعمل في أحد أقسامها الكثيرة، وهنا ستسلط الكاتبة الضوء على مسار الجريدة ويومياتها معها، ثم تنعطف باتجاه تجربتها العاطفية، ثم تميل صوب تجربتها السياسية ومتابعة التنظيمات التابعة للحزب الشيوعي في عموم بغداد، ولا سيما في منطقة الكاظمية وبعض المناطق المناصرة للحزب في بغداد.

وحين تسرد الكاتبة مواقفها ونشاطاتها في الحزب وفترة اعتقالها، ومن ثم السفر إلى الجبل في كردستان العراق، ومن هناك نحو إيران إلى حيث الالتحاق بحزب «تودة » وهو الحزب الشيوعي الإيراني الذي استضاف حينها بعض الشيوعيين العراقيين المطاردين لفترة وجيزة، حتى ترتيب وضع مغاير لمسيرتهم التي ستطول في المنفى لقرابة الثلاثة عقود.

من أجمل محطات الكاتبة فاطمة المسجن من منفاها، وحسب ما توضحه المذكرات، هي فترة هدوئها في بودابست العاصمة الهنغارية، لغرض الدراسة والبحث والاستقصاء، ومن ثم نيل الشهادة العليا هناك. ومن المحطات الأقرب إلى نفسها، نفسياً وفنياً وجمالياً وكتابياً، هي مرحلة العودة من هنغاريا إلى دمشق، حيث العمل في الصحافة الفلسطينية، وتحديداً في مجلة «الحرية» مجلة الجبهة الديمقراطية الصادرة حينذاك بدمشق في فترتي الثمانينيات والتسعينيات.

هناك ستنتصح أدوات الكاتبة على المستوى الجمالي وتغتني وتتوسع، من جهة البحث والتقصي والتبحر والاستزادة، لرفد مشروعها البحثي والنقدي، مسترشدة بالمكتبات الكثيرة وقرب بيروت من دمشق، وقرب بغداد أيضاً، ناهيك عن قرب عمان وفلسطين من سوريا عموماً.

فهناك أي في الشام، ستتحرر تماماً من الزواج الذي لم يدم طويلاً، وستتحرر من مسألة البعد المكاني واللغوي والروحي، فالشام مدينة أنيسة واليفة لمن يسكنها رغم وجود العسس والمخبرين، حيث الكل موجود تحت النظارة والمراقبة والمساءلة في أية لحظة، فالشام ستمنحها حرية التسكع والسير والسهر والقراءة والكتابة والتسوق من أسواقها الجميلة، كالحميدية والبزورية وباب توما وغيرها من الأسواق الشامية التي تعبق بماض لا ينسى ويذكر دائماً بالأيام الخوالي للعهود السالفة، هذا دون أن تنسى الكاتبة الإشارة إلى بيروت، مكرسة لها فصلاً جميلاً يليق بمقامها الحميم.

أما فيما يتصل بمكانها اللندني حيث تقيم، فثمة إشارات إلى أصدقائها الكثيرين وفي كل مكان، من عراقيين وعرب، وحيثما حلت ستكون هناك صداقات ونشاطات أدبية وفكرية وفنية، وهنا سيحضر كثيراً صديقها وزوجها الراحل المفكر فالح عبد الجبار، ستحضر صديقاتها المقربات وكذلك أصدقاؤها المقربون في مجمل صفحات كتابها الممتد إلى عشرة فصول ملئت بالأفكار والذكريات والتفاصيل الدقيقة، القريبة والبعيدة، مستجمعة كل تاريخها، لينطق ويكون شهادة ووثيقة نادرة على حياة مرت بين التضحيات والعذابات والانكسارات، وبين النشاط الثقافي والفكري والأدبي، والذي تخلله نوع من المسرات والهناءات والسعادات الصغيرة، والنفحات الجمالية المؤثرة بوقعها المريح على النفس، من أجل أن تستمر الحياة.

فاطمة المحسن: «الرحلة الناقصة» دار المدى، بغداد، بيروت، 2020 223 صفحة.

أوليفر ستون في «ملاحقة النور»:

يفضح وحشية حروب أمريكا في أفلامه ويكشف حياته الشخصية الصاخبة

سمير ناصيف

يُعتبرُ المخرج السينمائي والكاتب الأمريكي أوليفر ستون مختلفاً عن غيره من المخرجين والكتاب العالميين لعدة أسباب أبرزها أن أفلامه المنددة بالحروب عموماً (وخصوصاً حرب أمريكا في فيتنام) بدلت توجه المجتمع الأمريكي في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، وأنه شخصياً، وبعد نجاحه في الحقل السينمائي، لعب دوراً أساسياً في تعريف البلدان الغربية والعالمية على شخصية رئيس الجمهورية الروسية فلاديمير بوتين عبر مقابلاته في السنوات الأخيرة التي صدرت لاحقاً في كتاب وفي برنامج وثائقي سينمائي. ولعل قصة صعوبات وكفاح ستون وعودته إلى النجومية تستحق أن يتم إنتاجها في فيلم سينمائي بسبب العنصر الدرامي فيها.

يتحدث ستون في كتاب «ملاحقة النور» عن حياته منذ طفولته وشبابه في كنف عائلة مرتاحة مادياً اختلف فيها والده النيويوركي اليهودي الانتماء الديني مع والدته الفرنسية الآتية من عائلة كاثوليكية متواضعة اجتماعياً في معظم الأمور، وخصوصاً بالمقارنة بين القيم المتزمتة من جانب الوالد وعائلته وبين محبة الحياة الاجتماعية والحرية الشخصية والرفاهية من جهة الوالدة الجميلة والجذابة المظهر.

هذا الوضع العائلي المتأزم دفع ستون (البالغ حالياً الرابعة والسبعين من عمره) للابتعاد والتطوع للالتحاق بالجيش الأمريكي وأرسل للقتال في فيتنام عندما كان في أوائل العشرين من عمره، وهناك اكتسبَ خبرة عارمة في القتال ولكن في الوقت عينه امتلأت نفسيته بالكره والقرف من تصرف الجنود عموماً (والمقاتلين الأمريكيين في حرب فيتنام خصوصاً) ومن وحشيتهم تجاه أعدائهم وضد مجموعات من القرويين الفيتناميين الذين كان بعضهم يدافع عن أرضه والبعض الآخر غير معنيّ بالحرب ويمارس الزراعة في قراه.

وهذا القرف ساهم في تحول ستون، بعد عودته إلى بلده، إلى كاتب سيناريو أفلام يبحث عن العمل ويقضي أوقاته في المشاركة في تظاهرات ضد حرب فيتنام والحروب عموماً، وفي أحيان في تناول الكحول والمهدئات ومصادقة العائدين من فيتنام على شاكلته ومواجهة السلطة.

بيد أن حياته تبدلت إلى حد ما عندما التقى (حسب قوله) فتاة لبنانية اسمها نجوى سركيس، من منطقة الكورة الشمالية في لبنان كانت تعمل في نيويورك في البعثة الدبلوماسية المغربية في الأمم المتحدة.

هذه الفتاة، ومع أنها تكبره ببعض السنوات، ربما مثّلت ما كان يحلم بأن تكون شخصية والدته في الرزانة وإلتزام العمل الجدّي والوفاء للشريك، أو ما كان والده يرغب بأن تكون والدته في قيمها الأخلاقية كزوجة مُحبة.

يقول ستون في الصفحة (62) في الفصل الثاني: «نجوى سركيس كانت أمرأة لبنانية مسيحية تتكلم الإنكليزية من دون لكنة، وفي وجهها مسحة فينيقية، بينما كنت أنا ما زلت ألبس بنطال الجينز شبه المزق وأتكلم بصراحة ووقاحة وتحدٍ حول مواقفي من دون اكتراث لمواقف الآخرين.

وقد انجذبتها في مناسبة اجتماعية نظمتها والدتي ودعتني إليها. وأعجبَت نجوى بي لاختلافي عن الآخرين الذين تقابلهم في حياتها العملية. وقبلتني كما كنت، وبرغم خطورة مثل هذا القبول بالنسبة إليها. أما أنا فكنت أسعى لاستقطاب واستدرار عاطفتها وجاذبيتها المكتسبة من أصلها لكونها أبنة منطقة مجاورة للبحر الأبيض المتوسط. وأول علاقة حميمة بيننا جرت عندما كانت في الـ28 من عمرها فيما كنت أنا في الـ23 وبعدها انتقلنا للعيش سوياً في شقتها في نيويورك، ثم تزوجنا».

يضيف ستون في صفحات لاحقة أن مساهمة نجوى المالية في حياتهما فتحت أمامه المجال لمتابعة الدراسة في صناعة الأفلام، لكنه استمر في عمله كسائق تاكسي بالأجرة في الفترة المسائية من يومياته. وكانت العودة بعد العمل إلى شقة نجوى ملجأ أوليفر النفسي والجسدي (ص66 و67).

وعندما قررا الإنجاب أبلغه طبيب (ينتقده لاحقا في الكتاب) أنه غير قادر على إنجاب الأطفال، بعكس ما حدث لاحقاً في زواجه الثاني. غير أن ما أثر فيه كثيراً في شخصية نجوى ومحبتها له أنها لم تكترث لهذا الأمر واستمرت كزوجته المتعلقة به. وقد زار أوليفر لبنان، مسقط رأس زوجته الأولى في عدة مناسبات وتعرّف إلى عائلتها. كما أنه استمر على علاقة طيبة بها، بعد طلاقهما، وقد زارها مؤخراً في المستشفى في نيويورك بعدما أصيبت بعارض صحي (شفيت منه) حسب ما أكد صديق مقرب منهما.

وفي نهاية الفصل الثالث، يقول إن نجوى ظلت تحبه وتؤمن بقدراته الفنية والفكرية حتى خلال تحضيرهما أوراق طلاقهما، وأن هذا الطلاق تم لشعور أوليفر بأن حياته الصاخبة في عالم السينما والفن لا تتناسب مع حياة نجوى المستقرة والمحافظة.

في الفصول اللاحقة، يتحدث ستون عن لقائه مع زوجته الثانية البزابيت (ليز) خلال حفلة كانت قد نظمتها صديقة لهما. وقد اختلفت ليز في شخصيتها عن نجوى كما اختلفت عنها في مظهرها الخارجي. كانت شقراء أمريكية الملامح وشاركته في محبته لاحتساء الكحول وتناول المخدرات الخفيفة، شأنهما شأن معظم العاملين في الحقل السينمائي في أمريكا.

وكانت ليز تمثل الجانب الآخر من شخصية ستون أي ذلك الجانب الذي يعشق المغامرة ولا يخشى الافراط في تحدي القيم المحافظة للمجتمع. كما انها شاركته الصعود التدريجي في اخراطه في أجواء عالم اليسار المنتقد لتوجه الرؤساء الأمريكيين اليمينيين الذين قادوا بلادهم إلى حرب فيتنام وحروب دولية أخرى كريتشارد نيكسون ورونالد ريغان وغيرهما.

ويقول في الصفحة (162) إن زواجه من ليز، الذي كان مدنياً لدى كاتب عدل فدرالي، تم بعد جولة تناول كحول ومخدرات من جانبهما وكانا في حالة نفسية متدنية حتى أنه نسي بعد ذلك أنهما تمما هذا الزواج. وبرغم ذلك، نجح الزواج لفترة طويلة وأنجبا خلاله طفلهما شون، وأمّنت له ليز شبه استقرار عائلي يتناسب مع وضعه السينمائي الغني وشخصيته.

أبرز فيلمين أخرجهما أوليفر ستون وفازا بأهم الجوائز السينمائية في الثمانينيات كانا «بلاتون» (كتيبة عسكرية) و«سلفادور».

أما أول الأفلام التي نال عليها الأوسكار لكتابة السيناريو، فكان «بدنايت اكسبريس» (قطار منتصف الليل السريع) وذلك في عام 1979. ويحكي في الكتاب عمليات أنجاز أفلامه والصعوبات التي واجهها.

يقول ستون في الفصل السادس: «إن هنري كيسنجر والكسندر هيغ (وزيرا الخارجية الجمهوريين السابقين في عهدي نيكسون وريغان) كانا عضوين في مجلس إدارة شركة «ام.جي.ام» ولم يرغبا بأن ينفذ الأستديو التابع لهذه الشركة فيلم «بلاتون» لانهما اعتبرا بانه يسيء إلى سمعة أمريكا والجيش الأمريكي» وهذا الأمر أغضبه كثيراً. وبالتالي، تظهر ميول ستون السياسية بوضوح في هذا الفصل حيث يُشبّه المنتج الإيطالي الأصل دينو دي لورانتس بالرئيس الأمريكي الحالي دونالد ترامب في كونهما تعاملا ويتعاملان مع الدعاوى القضائية الخطيرة ضدهما وكأنها «مخالفات مرور» (ص198) وكانت هناك دعوى رفعها ستون ضد دي لورانتس حول حقوق إنتاج سيناريوات أفلام كتبها هو، وبينها سيناريو فيلم «بلاتون» وربحها أوليفر.

بعد نجاح ستون في الفوز بالجوائز الكبرى عن فيلمي «بلاتون» و«سلفادور» في الثمانينيات، بدأت ترده عروض من منتجين مؤيدين لإسرائيل لانتاج أفلام تروّج لمواقفهم، فأتاه عرض من المنتجين داريل زانوك ودايفيد براون لكتابة وإخراج فيلم عن الجاسوس الإسرائيلي في سوريا في الستينيات إيلي كوهين، الذي وصل إلى منصب وزاري قبل اكتشافه من جانب السلطات السورية، ولكن ستون رفض القيام بهذه المهمة. وقد نفذّت هذا العمل، بعد أكثر من ثلاثين عاما، شركة «نتفلكس» التلفزيونية في ستة مسلسلات وأتت نتيجته محرّفة ومنحازة وضعيفة فنياً. وبعد رفض ستون هذا المشروع قاطعه داريل زانوك وديفيد براون اللذان كانا من كبار منتجي هوليوود (ص 294).

في الصفحات الأخيرة من الكتاب، يشير ستون إلى أن عملية «إيران ـ كونترا» التي زوّدَ خلالها نظام الرئيس رونالد ريغان الأسلحة للجمهورية الإسلامية الإيرانية في مقابل الإفراج عن رهائن أمريكيين في لبنان في الثمانينيات، ساهمت في الترويج لأفلامه وخصوصاً «بلاتون». ففي منتصف الثمانينيات لم يعد الشعب الأمريكي يثق بحكامه بعد توالي التنازلات عن الوعود، أكان ذلك في فيتنام أو إيران (ص314).

فعندما كان نظام ريغان يزود ثوار «الكونترا» في نيكاراغوا بأموال وأعتدة حصل عليها من تبادلاته المالية مع إيران لمحاربة نظام «الساندنستا» اليساري هناك «18 مليون دولار من ثمار هذه الصفقة الأمريكية ذهبت للكونترا» كان ستون ينجز ويقدم فيلمه «سلفادور» عن سياسات أمريكا الخطيرة في أمريكا الوسطى والجنوبية، ويُظهر فيه الدعم الأمريكي لعصابات قتل اليساريين في تلك القارة الجنوبية، وبعد ذلك، كان يُظهر في فيلم «بلاتون» جنون وخطورة ووحشية السياسات الأمريكية العسكرية في فيتنام. أي أن ستون يعترف بأن تجاوزات وأخطاء السياسات الأمريكية الخارجية، وشنها الحروب غير العادلة، ساهمتا في إنجاح أفلامه مادياً ومهنياً ونجاحه كمخرج عالمي.

ويوضح ستون أن النقاد اختلفوا في آرائهم وتقييماتهم لفيلمه «بلاتون» الذي نال الأوسكار في عام 1986 وبعضهم وجده عنيفاً أكثر من اللازم وخالياً من الإنسانية والسرد الروائي المُحفز على القيم، بل أنه كان يفعل عكس ذلك. بيد ان كبار النقاد والممثلين أعجبوا بالفيلم وهنأوا ستون عليه. وعندما افتُتح عرضه في صالات نيويورك في كانون الأول (ديسمبر) 1986 أقبل الملايين على مشاهدته. وكرّت بعد ذلك السبحة في العالم، وحصد الفيلم مئات الملايين من الدولارات وأصبح أوليفر ستون أكثر من مخرج، بل صار أشبه بقائد حملة الإنسانيين في أمريكا المعارضين للحروب.

ولعل ذلك كان سبب قبول بوتين إجراء مقابلاته الشهيرة معه وحتى استقطابه لهذا الإنجاز.

يُذكر أن عروضاً كبيرة قدمت وتُقدم لستون للقيام بأعمال سينمائية عن جون كينيدي وفيديل كاسترو وغيرهما، وهو يدرسها بعناية قبل الإقدام عليها. لكن قمة نجاحه سينمائياً كانت عندما بلغ الأربعين من عمره.

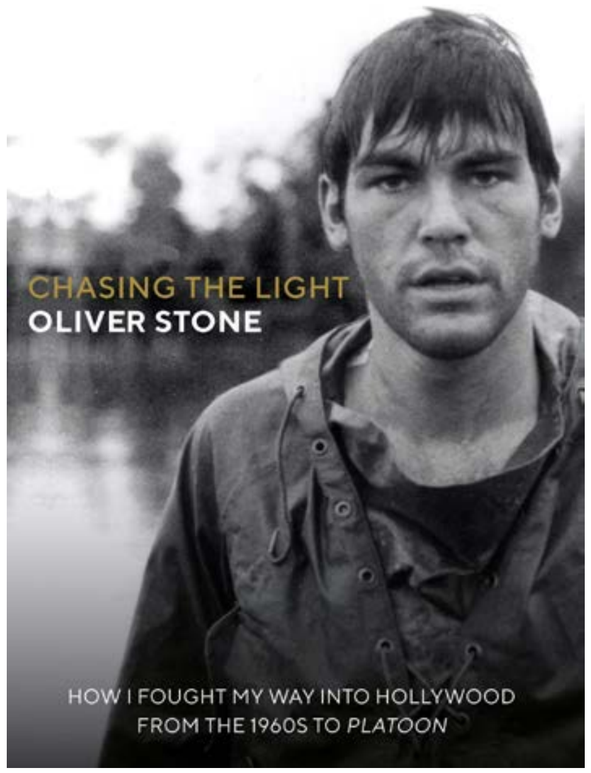

Oliver Stone: «Casing the Light»
Monoray, London 2020
342 Pages.

المقال

زياد ماجد

دونالد ترامب أو الكارثة الديمقراطية

جماعات «التفوق الأبيض» من أنصار ترامب

لم تُسئ ظاهرة في العالم منذ عقود إلى فلسفة الديمقراطية وقيمها ومؤسساتها السياسية وإلى مبدأ الانتخاب نفسه الذي تقوم عليه بقدر ما أساءت ظاهرة دونالد ترامب.

ولا يقتصر الأمر على النطاق الأميركي بل ينسحب على العالم بأسره حيث عزّز انتخابه في الدولة الأكثر تأثيراً ونفوذاً موجة صعود ليمين متطرّف ولخطاب عنصرية وكراهية، يمتدّ من الهند إلى إسرائيل، ومن هنغاريا إلى البرازيل.

وإذا كان انتخاب ترامب في أحد جوانبه ردّة فعل من بعض الشرائح الاجتماعية الأميركية البيضاء على سنوات حكم باراك أوباما وما مثّلته من تهديد لنهاية «التفوّق العرقي الأبيض»، بتسهيل من النظام الانتخابي من جهة ومن تراجع المشاركة في الاقتراع في أوساط التقدّميين البيض والملوّنين لصالح منافسته هيلاري كلينتون من جهة ثانية، فإن في التوقّف عند بعض سمات شخصية ترامب وخصائص خطابه وسلوك مناصريه السياسيَّين ما يشي بقضايا قيمية وثقافية أبعد من مدلولات فعل انتخابه وحده.

الكذب والخداع وانعدام الأهلية

ذلك أن انتخاب رجل الأعمال الأميركي، واحتمال التجديد له بعد شهر لأربع سنوات إضافية، يعلن تقدّم نموذج يفاخر بازدرائه للمؤسسات وللنخب السياسية والأكاديمية والإعلامية، ويعدّ النجاح في الكسب المالي وحده ما يُعتدّ به ويجدر ترجمته إلى سطوة ونجاح في السياسة. وهو يتباهى في المقدرة على التهرّب من الضرائب بوصفها ذكاءً وتحايلاً على «الدولة» المركزية الواجب تقليص دورها، ولا يرى حرجاً في اكتشاف كذبه أو غشّه أو اعتماده أرقاماً ومعطيات اقتصادية مغلوطة. فالحقائق بالنسبة إليه على الدوام نسبية، وهذا لا ينطبق على تأويلاتها أو منهجيات الوصول إليها أو على تقديرات مرتبطة بها فحسب، بل حتى على مضمونها مهما كان علمياً أو مستنداً إلى رياضيات أو بحث طبّي أو إلى أرقام ومعادلات دقيقة. هكذا، يمكنه القول الدائم بنجاحات هنا وبإنجازات هناك، ويمكنه التشكيك بكل معطى يقدّمه خبير حول البطالة أو النمو أو العجز أو الدين، أو حول لقاح كورونا أو علاجه، أو حول التكنولوجيا والاقتصاد الرقمي إن كان لا يتماشى مع دعايته. وهو فوق ذلك، ينحو لاعتبار الإعلام «الليبرالي» أو ذي تقليد الاستقصاء والنقد وإتاحة التنوّع والاختلاف معارضاً له لمناهضته النخب و«الاستابليشمنت»، ومزوّرا بالتالي للأخبار بهدف الاضرار به.

وهذا يفتح باباً عريضاً لنظريات التآمر ويُتيح مسلكاً لا يثق بأي خبر ويشكّك بكل ما يُقال، ولا يصدّق تحقيقاً مهما كانت دقّته إن لم يتماشَ مع أهوائه. وفي ذلك ما يجعله مفيداً للاستراتيجيا الروسية المتقدمة عالمياً، التي لا تهدف لغير زرع الشك في صدقية أي معطى أو مزعم أو أمر لا يناسب أهداف موسكو، عبر إغراقه في بحر من الأضاليل والمعلومات الموازية والمضادة له، بحيث لا يبقى لأي حقيقة مَعلَمٌ، ولأي منطق قدرة على التأثير في الرأي العام المتلقّي لمجمل ما يُقال ويُنشر.

وإن عطفنا كل هذا على أن نجاح ترامب الانتخابي ضرب تقليداً في الديمقراطية المؤسساتية وتراثها الغربي وفيه عادةً أن الخبرة والتدرّج في التجارب وبناء فرق العمل المختصة هي أبرز شروط ارتقاء المناصب العليا، وأن الظهور بمظهر جدّي منصت إلى المستشارين والخبراء يعزّز الثقة بالمرشّح على اعتبار خياراته مبنيّة راهناً ومستقبلاً على اعتبارات ذات صدقية ودقّة وبحث عن الأنسب، يتبيّن عمق التحوّل في مزاج شعبي عبّر عنه اختيار ترامب بمعزل عن انعدام خبرته وثقافته السياسية وقربه إلى شخصيات «تلفزيون الواقع» الكاريكاتورية. فكيف وأن الرجل ذا عمر «لغوي» لا يتجاوز الثانية عشرة بحسب علماء اللغة الذين يُدهلهم ضيق قاموسه وفقره ومحدودية الكلمات والعبارات والمصطلحات والاشتقاقات وبُنى الجُمل التي يستخدمها؟ وكيف وأنه بحسب علماء النفس نموذج فاقع للنرجسية ولاحتقار الناس وقَصر الثقة على أقرب المقرّبين المعبّرين عن إعجاب ولاء دائمَين...

القاعدة والتحالفات

يُحيلنا ما تقدّم إلى القواعد الاجتماعية التي انتخبت دونالد ترامب والتي لا يبدو قسم كبير منها بصدد التراجع عن خياره. فهذه، وهي تجميع لأكثر ما في أميركا من كتل رجعية وعنصرية، من قوى أصولية دينية مسيحية وجماعات «تفوّق أبيض» (كان بعضها لا يُصوّت في السابق)، أضيفت إلى شرائح بيضاء دنيا معادية للسياسيين وللنخب المتّهمة بالفوقية وباحتكار السلطة طويلاً وتجاهل الناس «غير المرئيين» في أميركا العميقة، الريفية والمدينية الصغرى، البعيدة عن الساحلين الشرقي الشمالي والغربي وعن العاصمة واشنطن. وانضمّت إليها مجموعاتٌ كتل ضغط ذي صلة بصناعات الأسلحة الفردية وتجّارها، وبكارتيلات النفط والصناعات الثقيلة الرافضة للمعاهدات المناخية والقيود البيئية، وبالمؤسسات الكبرى ورجال المال المعادين للضرائب وللانفاق الاجتماعي، لتشكّل جميعها، مع المحافظين وبيئاتهم التقليدية، جمهوراً واسعاً ذا مشارب وخلفيات ومصالح مختلفة. والجمهور المذكور، إلى ردّه على سنوات أوباما وسياساته لأسباب تتباين بحسب الحسابات والانتماءات، يجتمع بمعظمه على احتقار قيم العدالة والمساواة بين الأعراق وحقوق الإنسان في أميركا نفسها وفي العالم. ويبجس بعضه خوفاً من التحوّل الديمغرافي الحتمي الذي سيُنهي بعد عقدين من الزمن أكثرية البيض في البلاد بالترافق مع بروز المتعلّمين والنافذين بين السود واللاتينو والآسيويين الذين بات حضورهم «نوعياً» في الكثير من المواقع الإعلامية والأكاديمية والسياسية (بعد الرياضية والفنية) في أمريكا.

ولعلّ الخلطة الهجينة والثابتة هذه، تفسّر في بعض جوانبها تمجيد عنف الشرطة ضد الملوّنين، وإلغاء الحماية الصحية الأوبامية، والتمنّع عن الالتزام بالإقفال أو وضع الكمّامات بسبب كورونا (تمسّكاً بأولوية الاقتصاد، واحتقاراً للانضباط لمعايير علمية تُساوي بين البشر)، وسواها من قضايا، قد تصل إلى حدّ التهديد برفض القبول بالخسارة الانتخابية إن حصلت. والأمر الأخير على قدرٍ عالٍ من الجدية والخطورة، إذ ألمح إليه ترامب نفسه مُحذّراً من التزوير وداعياً أنصاره (وبينهم ميليشيات مسلّحة) إلى التواجد في مراكز الاقتراع، وحصّن نفسه قبل أيام بأكثرية في المحكمة العليا حيث قد تُبتّ الأمور في حال التنازع والتشكيك بالنتائج...

ولا تقلّ ترجمة كلّ ما ذكر في السياسة الخارجية خطورةً على الديمقراطية وثقافتها. فرغم النزعة الانعزالية لترامب وجمهوره وإيثارهم التمنّع عن الانخراط في تفاهمات واتفاقات ومؤسسات (وصراعات) دولية لا ترتبط مباشرة بالتجارة الأمريكية (حيث تبدو الصين المنافس الأوحد) وببعض الديناميات الاقتصادية أو بمصالح الحليفة الأولى إسرائيل (رغم عداء للسامية متفش في أوساط ترامبية واسعة)، فإن المحصّلة بعد الانسحاب من الاتفاق المناخي ومن منظّمة الصحة وسواها من المنظمات الأممية والتلويح بخفض الدعم لحلف شمالي الأطلسي وتقليص الانتشار العسكري في دول حليفة، هو تأييد علني لأنظمة دكتاتورية ولقادة شعبويين وفاشيين. يسري الأمر، مع استثناءات قليلة، على العالم العربي وعلى أمريكا اللاتينية وآسيا، ويترافق مع تعبير فجّ عن عنصرية وكراهية للمسلمين وللمكسيكيين والصينيين.

في المقابل يبدو الإعجاب بيوتين بوصفه خلاصة «البياض المسيحي» عنصر تقاطع مع قوى وتيارات سياسية يمينية (ويسارية) عالمية، لأسباب كثيرة، بما يُحيل إلى اعتماد سرديات روسية للعديد من المسائل، ويحوّل روسيا عنصراً مؤثراً في السياقات الانتخابية الداخلية أمريكياً (وأوروبياً) على نحو غير مسبوق.

وإذا كانت مواقف ترامب المعادية لإيران وعقوباته عليها تجذب إليه جمهوراً خليجياً وعراقياً وسورياً ولبنانياً محبطاً من العدوانية الإيرانية وسياسات طهران التوسّعية وفجور حلفائها، فإن في ذلك مزيج من السذاجة والتعويض عن العجز باستجداء تدخّل أقوى. وهو استجداء متوهّم في أي حال، إذ قد لا يحسم عبر العقوبات معظم النزاعات الإقليمية، ولا يحكم أصلاً في إمكانيات تطوّره إلى ما هو أبعد من الحصار الاقتصادي سوى مجلس الأمن القومي الأميركي والمؤسسة العسكرية بناءً على المعطيات الميدانية الخاصة بمقارباتها للأمن النفطي أو للملف النووي أو للطلبات الإسرائيلية...

بقاء دونالد ترامب أربع سنوات جديدة سيكون إذاً تمديداً للأزمة العميقة التي تعصف بالنموذج الديمقراطي وبمعايير حقوق الإنسان واحترام البيئة والصحة أمريكياً ودولياً وشرق أوسطياً. وتفضيله أنظمة مستبدة أو فاشية في العالم بأسره خطرٌ إضافي إن استمر خلال السنوات المقبلة لن يكون التصدّي لأثاره البعيدة المدى يسيراً...

كاتب وأكاديمي لبناني

رأي

كاريكاتير: محمد سباعنة

شيوخ بلا مريدين

سعيد يقطين

لا تعاني الثقافة العربية المعاصرة فقط سلسلة من الانقطاعات مع ما تحقق منها في الزمن، ولكنها أيضا تعاني من الجمود وانغلاق لما أنجز في أي حقبة من الحقب. إن غياب الاستمرار والوصل بين مكونات الثقافة العربية وهي تتطور في الزمن تكرس بصورة كبيرة منذ الخمسينيات من القرن الماضي تحت تأثير الإيديولوجيات الاستئصالية لكل ما جرى قبلها. كانت هذه الإيديولوجيات الجديدة ترى نفسها تعبيرا عن حقبة تنبني على ضرورة القطيعة مع ما مضى، وهي تسعى إلى إقامة «الدولة الوطنية» الحديثة. ولقد ساهم بعض المثقفين ممن تبنوا المشروع التحديثي في إقامة مسافة مع الماضي، وفي الوقت نفسه مع التراث بذريعة أنه لم يعد صالحا للزمن الراهن.

تطورت هذه الذهنية الانقطاعية، والتي نرى في القطيعة أساس التقدم على المستويات كافة، وهيمنت في كل المجالات. وكان من أبرز نتائجها هيمنة النزعة الفردانية على الجماعية، والنرجسية الذاتية على الاعتراف بالآخر المختلف، والإيمان بأن بإمكانه أن يقدم أفكارا تستدعي النقاش، والحوار. لا يمكن أن يتولد عن الفردانية والنرجسية سوى الإلغاء والتنكر. تبدو لنا هذه الذهنية في كل المجالات الثقافية والاجتماعية والسياسية. فكل واحد يرى نفسه مؤهلا ليكون «شيخا» في المجال الذي يهتم أو ينشغل به، وما على الآخرين إلا أن يكونوا أتباعا له وتحت إمرته ويأتمرون بأمره. فالحاكم، ورئيس الحزب والطائفة والجمعية، والمسؤول عن أي مؤسسة في أي قطاع، كل هؤلاء يرون أنفسهم مؤهلين لممارسة ما يحلو لهم بدون أن يكون ثمة من يعارض، أو يعبر عن رأي.

تبدو لنا هذه القطائع في الثقافة والسياسة بجلاء على سبيل المثال. فكل من يشتغل بالثقافة يرى نفسه وحيد قرنه. وكل مشتغل بالسياسة فريد زمانه. وكل منهما يأتي ليلغي ما قبله. ولو كانت رمزية. إن ذهنية الانفصال، والقطيعة المؤسسة على الفردانية والنرجسية، وإلغاء السابق تنبني على تصور خاص للعلاقة مع الزمن. فالماضي، وفق هذا التصور، ينبغي أن ينتهي لأنه ولى وانقضى. ولذلك فالبدء من جديد، ليس سوى تعبير عن محاولة تأكيد أن هنا والآن هو قاعدة أي سلوك أو عمل.

تتجسد هذه العلاقة في فهم الزمن على أساس الفصل الذي يعني القطيعة مع السابق من خلال فهم تبسيطي للنقد. إننا نمارس النقد على أنه هدم ونقض لما مضى، وليس إعادة قراءة لما مضى من منظور جديد، يصل الماضي بالمستقبل. ولهذا يغيب في ثقافتنا فهم النقد على أنه حوار من أجل التطوير. نمارس بديلا عنه النقض الذي يعني الهدم. فكل من ينقد في أي مجال ليس له من هدف سوى إثبات ذاته على حساب من ينقده. وكل من فرض نفسه في أي مجال عمل على نقض ما سبقه مدعيا أنه جاء بالجديد الذي يقطع أي صلة بغيره. ليس لهذه الذهنية من غاية سوى تتطور الطريقة مع الزمن، وفي الوقت نفسه تحافظ على استمراريتها. ولقد ساهم هذا التقليد الذي عرفه العرب القدامى في صيانة الكثير من المعارف والصنائع واستمرارها رغم انصرام السنين والعصور.

تغيرت العلاقات عندنا، وصار كل من يعمل في مجال ما لا يعترف بمن سبقه، بل إن كل مجهوده هو العمل على محو الجهود السابقة لإثبات أنه الذي يملك السلطة، أيا كان نوعها، ولو كانت رمزية. إن ذهنية الانفصال، والقطيعة المؤسسة على الفردانية والنرجسية، وإلغاء السابق تنبني على تصور خاص للعلاقة مع الزمن. فالماضي، وفق هذا التصور، ينبغي أن ينتهي لأنه ولى وانقضى. ولذلك فالبدء من جديد، ليس سوى تعبير عن محاولة تأكيد أن هنا والآن هو قاعدة أي سلوك أو عمل.

تتجسد هذه العلاقة في فهم الزمن على أساس الفصل الذي يعني القطيعة مع السابق من خلال فهم تبسيطي للنقد. إننا نمارس النقد على أنه هدم ونقض لما مضى، وليس إعادة قراءة لما مضى من منظور جديد، يصل الماضي بالمستقبل. ولهذا يغيب في ثقافتنا فهم النقد على أنه حوار من أجل التطوير. نمارس بديلا عنه النقض الذي يعني الهدم. فكل من ينقد في أي مجال ليس له من هدف سوى إثبات ذاته على حساب من ينقده. وكل من فرض نفسه في أي مجال عمل على نقض ما سبقه مدعيا أنه جاء بالجديد الذي يقطع أي صلة بغيره. ليس لهذه الذهنية من غاية سوى صناعة الأتباع لا المريدين. إن المريد إذا تمكن من سلوك الطريق على أحسن وجه تمكن من تجاوز شيخه، عبر تطوير الطريقة التي سار عليها، ويظل على علاقة بسابقه. أما التابع فليس سوى ظل لمن يتبعه، وكل من فرض نفسه، مع الزمن، يصبح تابعا لها، وينفض يديه من تبعيته لمن سبق. إنه يقوم على أساس الفصل لأنه لم يتأسس على ركيزة صلبة.

إن هيمنة هذه الذهنية في الممارسة والرؤية العربيين جعلت علاقتنا لا تعرف التطور لسبب بسيط هو أننا لم نتعلم ولم نربّ إلا على أساس الفردانية والنرجسية. كل منا يرى نفسه شيخا، ولو بدون شيخ. وهذه التربية ساهمت في جعل العمل الجماعي مستحيل التشكل أو التكوين. صار كل من كان ممثلا مخرجا بين عشية وضحاها، وصار من حصل على شهادة التأهيل الجامعي يرى أنه أهل ليكون رئيسا لمختبر أو مركز، وكل من انتقل إلى مركز قيادي يرى أنه مؤهل ليكون الزعيم أو الرئيس. وكان من نتائج هذه الذهنية أن صارت المجتمعات المختلفة، سواء كانت ثقافية أو سياسية، أو غيرها مرشحة للتشظي والانقسام، وكل يرى أن الحق بجانبه، وأن غيره في ضلال.

إن فهم النقد في ضوء هذه الذهنية لا يمكنه أبدا أن يسهم في البناء، بل إنه أداة لهدم الجيد والمفيد، بدعوى التجاوز والتجديد. من بإمكانه الآن أن يزعم الآن أنه يطور مشروع إخوان الصفا أو ابن تيمية؟ ومن يمكنه أن يدعي أنه يطور أفكار سلامة موسى، أو سيد قطب؟ وإذا مضينا بعيدا نقول من يطور اليوم نظرية الجرجاني أو مشروع ابن خلدون أو ابن رشد؟ إن مشروع أي مفكر لا يمكنه أن يكتمل لسبب بسيط هو أنه مشروع مفتوح على الاجتهاد، ولو استمر صاحبه في الحياة، لعمل على تطويره وتعميقه، ومات وفي نفسه شيء منه. إن أصحاب المشاريع الكبرى في الثقافة العربية الحديثة والمعاصرة، وكذا القديمة، شيوخ ساهموا في التفكير، وفي بلورة رؤيات من أجل المستقبل. أليس من أجل هذا يفكر ويكتب المفكر والكاتب؟ ما هي علاقتنا بإسهامات هؤلاء الشيوخ؟ لماذا لا نعمل كمريدين لتطوير مشاريع شيوخ كرسوا حياتهم لخدمة الثقافة والإنسان؟

أقصد بالمريد ليس الذي يردد ما قيل، ويستشهد بما كتب، ولكن الذي ينتبه إلى إشارات لطيفة وإلماعات دقيقة في أعمال أولئك الشيوخ، وينطلق منها لخلق مسارات جديدة تطور المشروع وتغنيه. بل ويمكنه الانطلاق من الأسئلة التي طرحوها في زمانهم، ويعمل على تعميقها بالنظر إلى الزمن الجديد الذي يعيش فيه. إن علاقة الشيخ بالمريد ليست علاقة تبعية، ولكنها علاقة تطويرية عكس علاقة التبعية.

إن «المريد» بلا شيخ لا يمكن أن يتحول إلى شيخ حقيقي، لذلك لا يمكنه إلا أن يضل الطريق التي يسلك.

كاتب مغربي

أكثر من ثلاثة آلاف هندوراسي يتجهون نحو الحدود الأمريكية

شق أكثر من 3000 مهاجر هندوراسي طريقهم نحو غواتيمالا الخميس، على أمل العبور إلى المكسيك، ومن هناك إلى الولايات المتحدة، على الرغم من تحذير الولايات المتحدة من أن فرصهم في الوصول إلى وجهتهم أصبحت أسوأ من أي وقت مضى. وتعد قافلة المهاجرين الفارين من الفقر والعنف هي الأولى منذ إعادة فتح الحدود في غواتيمالا قبل أسبوعين، بعد إغلاقها لمنع انتشار فيروس كورونا المستجد.

وسافر المهاجرون حاملين حقائب على ظهورهم، وبعضهم يدفع عربات الأطفال، والبعض الآخر يرتدي أقنعة الوجه «الكمامات». وقالت السفارة الأمريكية في هندوراس في تغريدة على «تويتر»: «أصبح عبور الحدود الأمريكية بطريقة غير شرعية أصعب من أي وقت مضى، وأصبحت الرحلة أكثر خطورة، نظرا لتفشي جائحة كورونا».

أداب وفنون

في «أسبوع الكتب الممنوعة»:
تعددت الأسباب والجهات ولكن مبدأ الرقابة واحد

باريس ـ «القدس العربي»:

تشهد الفترة بين 27 أيلول (سبتمبر) و4 تشرين الأول (اكتوبر) سلسلة أنشطة في الولايات المتحدة وعدد من العواصم الأوروبية، تحت مسمى «أسبوع الكتب الممنوعة»، حيث يبدو مفاجئاً أن أنظمة ديمقراطية عريقة تكرس دساتيرُها حرية التعبير والتفكير، يمكن أن تمنع كتاباً أو تصادره أو تسحبه من التداول.

وكان هذا الأسبوع قد انطلق للمرة الأولى من الولايات المتحدة في سنة 1982، وفي كلّ دورة تتكدس عشرات الكتب التي تعرضت لهذا الشكل أو ذاك من التنكيل أو الرقابة. وفي هذه السنة تقول الإحصائيات إن 607 كتب عانت من هذه الحال في الولايات المتحدة وحدها خلال 2019، بزيادة 14 في المئة عن السنة السالفة، وأن أكثر من 82 في المئة من الكتب المعرّضة للمضايقات لا يُؤتى على ذكرها في وسائل الإعلام. وأما جهات المنع فهي متعددة وإن كانت غير رسمية، بينها المكتبات العامة والمكتبات المدرسية ومكتبات المشافي والسجون. ومفهوم المنع ينطوي على إزالة الكتب والوثائق والمصنفات أو حجبها أو استبعادها من التداول. كل هذا بالرغم من قرار المحكمة العليا في أمريكا لعام 1982، والذي قضى بأنه ليس من حق إدارة المدرسة أن تسحب كتاباً من التداول بسبب عدم اتفاقها مع مضمونه.

ولعلّ المثال الأشهر في الولايات المتحدة كان ضحيته الكاتب المسرحي الأمريكي آرثر ميللر ومسرحيته الشهيرة «المحنة»، والتي تتناول المحاكمات الشهيرة لما قيل إنهنّ ساحرات بلدة سالم الأمريكية، أواخر القرن السابع عشر. وبالطبع ما أثار حفيظة الرقابة كان أن دلالات النصّ تشير إلى أمريكا الحديثة، وصيد السحرة الذي مارسته «لجنة النشاطات المعادية لأمريكا»، التي دشّنت فجر المكارثية بوصفها أسوأ استبداد ثقافي وفكري عرفته الولايات المتحدة على امتداد تاريخها. ففي عام 1947 انضمّ ميللر إلى لائحة 320 من العاملين في مختلف اختصاصات المسرح والسينما والغناء والأوبرا وسواها من الفنون، مُنعوا من العمل بقرار من اللجنة تلك.

إلى جانب ميللر توفّرت أسماء عدد كبير من خيرة كتّاب وفنّاني الولايات المتحدة آنذاك: ريشارد رايت، جوزيف لوزي، بول روبسون، ليليان هيلمان، داشيل هاميت، كليفورد أوديتس، لويس أنترمير، وسواهم. وذنب هؤلاء كان مزدوجاً: أنهم ينتمون بهذا الشكل أو ذاك إلى تيّارات اليسار، ويُشتبه تالياً بانتمائهم إلى الحزب الشيوعي؛ وأنهم رفضوا ممارسة الدسيسة على زملائهم، والإدلاء بمعلومات عنهم إلى اللجنة. وفي كتاب السيرة الذاتية الذي أصدره سنة 1987 بعنوان «على مرّ الأيام: حياة»، يروي ميللر تفاصيل مثيرة عن تلك الحقبة، لعلّ أشدّها تأثيراً في النفس ليس صموده هو شخصياً أمام اللجنة، بل انهيار صديقه المخرج المسرحي والسينمائي الكبير إيليا كازان.

وكان كازان قد أطلق أوّل أمجاد ميللر حين أخرج «كلهم أبنائي» في العام ذاته، 1947، وأتبعها بإخراج «موت بائع جوّال»، ثمّ مسرحية تينسي وليامز الأشهر «عربة اسمها اللذة». وعلى نحو يمزج بين التعاطف مع الرجل والسخط الشديد على مؤسسة الكونغرس يصف ميللر وقوع كازان في حيرة بين مواصلة مساره الفنّي والاعتراف على زملائه، أو التزام الصمت والاعتكاف بعيداً عن هوليوود: «أصابني فزع شديد وأنا أصغي إليه. كان ثمة منطق قاتم في ما كان يقوله: إذا لم تُبرّأ صفحته فإنه لن يأمل أبداً، وهو في ذروة طاقاته الإبداعية، في إنجاز فيلم آخر في أمريكا، والأرجح أنه لن يُمنح جواز سفر للعمل في الخارج».

وكانت لجنة الكونغرس قد شُكّلت للتحقيق في النشاطات المعادية لأمريكا داخل صفوف أتباع اليسار وأتباع اليمين على حدّ سواء، ولكنها انتهت إلى استثناء المجموعة الثانية تماماً، واقتصرت مجاكم التفتيش على أهل اليسار وحدهم. كان مطلوباً من اللجنة أن تحقق مع المنظمة العنصرية الشهيرة «كو كلوكس كلان»، إلا أنّ رئيس اللجنة نفسه، مارتن دايز، كان صديقاً مقرّباً من المنظمة ومتعاطفاً معها وخطيباً في اجتماعاتها. كذلك كان عضو اللجنة، جون رانكين، قد اعتبر المنظمة «مؤسسة أمريكية عريقة في نهاية الأمر»!.

ويمكن لأي موسوعة ميسرة أن تعرّف القارئ على لوائح مذهلة لمئات العناوين، على اختلاف موضوعاتها وأجناسها التأليفية وجنسياتها، مُنعت أو صودرت أو حُجبت أو سُحبت من التداول، أو لوحقت في المحاكم بعد أن رُفعت ضدها دعاوى رسمية أو خاصة، بتهم متعددة بينها التجديف أو خدش الحياء العام أو استخدام لغة مكشوفة أو التحريض على العنف.

على سبيل المثال الأول، هذه النماذج من لائحة الأعمال الممنوعة قراءتها في سجون ولاية كارولاينا الشمالية، بقرار من «إدارة الأمن العام»: «معجم عربي – إنكليزي»، «أسس تقنيات الكتابة»، «موسوعة الكلاب»، «موسوعة كرة السلة»، «قاموس ألماني موسّع»، «أطلس العالم الجديد»، «النحت بالطين»، «موسوعة أدب الخيال العلمي»، «موسوعة السينما»، «قاموس وبستر الشامل»... وكانت مكتبة الكونغرس قد أقامت معرضاً بعنوان «كتب كوّنت أمريكا»، وهنا، في مثال ثانٍ، بعض تلك الأعمال التي عُرضت، ولكنها كانت قد مُنعت أو صودرت أو لوحقت: مارك توين، «مغامرات هكلبري فين»، 1884، لأنه اعتُبر «نفاية لا تلائم إلا الأحياء الفقيرة»؛ مالكولم إكس وأليكس هيلي، «السيرة الذاتية لمالكولم إكس»، 1965، وقد نُظر إليها كـ«دليل يعلّم ارتكاب الجريمة»، ومعاداة البيض؛ توني موريسون، «محبوبة»، 1987، التي تعرّضت لشكاوى دائمة من أهالي الطلاب والشخصيات المحافظة لأنّ الرواية تكرّس العنف وتحرّض السود على البيض؛ دي براون، «ادفنوا قلبي عند الركبة الجريحة»، 1903، لأنه يثير إشكاليات تاريخ الهنود الحمر، ويعيد سرد تاريخ توسّع الولايات المتحدة في الغرب من وجهة نظر الأقوام الأصلية؛ جاك لندن، «نداء البرّية»، 1903، لأنه يقيم الوجود على أساس من العلاقة بين إنسان وكلب، وهذا تفسير اعتمدته النازية أيضاً فأحرقت الرواية؛ جوزيف هيلر، «الخدعة 22»، 1961، بسبب لغته المكشوفة وهزئه من تقاليد الجيش الأمريكي؛ ج. د. سالينجر، «الحارس في حقل الشوفان»، 1951، لأنها تنطوي على «الهرطقة» و«الانحلال» و«المجون»، و«تخريب الأخلاق»....

عناوين أخرى ضمّت إرنست همنغواي، «لمن يقرع الجرس»، 1948؛ مرغريت ميتشل، «ذهب مع الريح»، 1936؛ جون شتاينبك، «أعناب الغضب»، 1939؛ ف. سكوت فتزجيرالد، «غاتسبي العظيم»، 1925؛ آلن غنسبرغ، «عواء»، 1956؛ تورمان كابوتي، «بدم بارد»، 1966؛ رالف إليسون، «الرجل غير المرئي»، 1952؛ أبتون سنكلير، «الغابة»، 1906؛ والت ويتمان، «أوراق العشب»، 1855؛ هرمان ملفيل، «موبي ديك»، 1851؛ ريشارد رايت، «ابن البلد»، 1940؛ ناثنييل هوثورن، «الحرف القرمزي»، 1850...

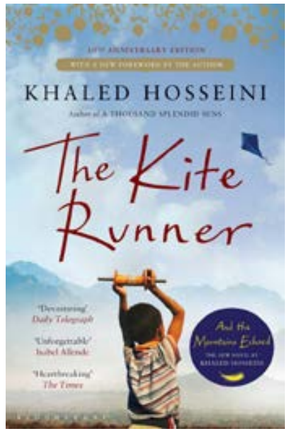

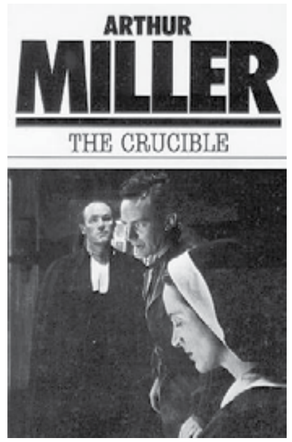

ولأنّ الولايات المتحدة ليست الوحيدة في هذا المضمار، تجدر الإشارة إلى ديمقراطيات أخرى منعت الكتب أو صادرتها؛ ابتداء من «عوليس»، رائعة جيمس جويس، مروراً بكتابات جون ملتون، فولتير، بلزاك، فلوبير، بودلير، كافكا، د. هـ لورانس، أورويل، ميغل أنخيل أستورياس، هنري ميلر، إريك ماريا ريمارك، بوريس باسترناك، نادين غورديمر، أورنداتي روي؛ وليس انتهاء بعمل لويس كارول الشهير «أليس في بلاد العجائب»!.

واقعة أخيرة هي قضية موريس سينيه، أحد كبار رسّامي الكاريكاتير الفرنسيين، الذي جرى إعدام أحد كتبه في بريطانيا سنة 1966 بقرار فردي من مؤسس دار نشر «بنغوين» ألن لين، الذي أمر بإحراق 50 ألف نسخة من كتاب سينيه «مجزرة» لأنه اعتُبر إهانة لمشاعر المسيحيين، رغم أنّ الكتاب كان ترجمة عن الأصل الفرنسي. ويُروى أنّ لين – الذي سبق له أن دافع، بشراسة، عن طبع «عشيق الليدي شاترلي»، رواية د. هـ. لورانس الشهيرة – ترك إدارة الدار منهمكة في مناقشة ما يتوجّب عمله بصدد كتاب سينيه، وانسلّ مع أحد المستخدمين الموثوقين، وحمّل الطبعة كاملة على ظهر شاحنة صغيرة، ومضى بها إلى مزرعته الخاصة، فأحرقها هناك!

وتجدر الإشارة إلى أن رواية «عدّاء الطائرة الورقية»، للروائي الأمريكي من أصل أفغاني خالد الحسيني، تحتل المرتبة 11 على لائحة 2020 التي تعتمدها «رابطة المكتبة الأمريكية» لـ100 كتاب الأكثر تعرضاً للمضايقات والمنع والمصادرة والحجب، وذلك لأنها حسب الجهات الرقابية تحّرض على العنف وتبشّر بالإسلام! في المرتبة 26 تأتي رواية الدوس هكسلي الشهيرة «عالم جديد شجاع»، وفي المرتبة 28 رواية جون شتاينبك «عن الفئران والرجال»، وفي المرتبة 71 رواية إيزابيل الليندي «منزل الأشباح»، وأخيراً لا بدّ من جورج أورويل وروايته «1984» في المرتبة 79!

فيلم «قيد الكتمان» للمخرج العراقي هيثم صالح:
التعبير بإيجاز عن القمع ضد النساء

مروان ياسين الدليمي

ليس هناك ما ينافس القصص التي نسردها عبر الفيلم السينمائي في إيصال ما نريده من أفكار للمتلقين بطريقة تخلو من التلقين والمباشرة كما هو الحال في الخطب والمقالات والندوات. فالسرد القصصي في البناء الفيلمي له من الخصائص الفنية ما يجعله يتمتع بقدرة كبيرة على إحداث التأثير المطلوب في المتلقي، بما يتوفر عليه من تقنيات خاصة بالفن السينمائي، لن تتحقق في بقية الفنون الأخرى التي تستند أيضا على ممكنات السرد مثل الرواية والقصة على سبيل المثال. والفيلم القصير على الرغم من أنه لا يحتل مساحة كبيرة جماهيرية مقارنة بالفيلم الروائي الطويل، إلا أنه ربما ينافسه ويزاحمه في إصراره على ان يوصل خطابه بلغة تعتمد التكثيف في جميع العناصر، كما يضع المبدع الذي يقف خلف الكاميرا أمام امتحان بغاية الصعوبة لتأكيد خصوصيته الإبداعية التي تتجسد بمقولة «خير الكلام ما قل ودل».

سينما واعدة

فيلم «قيد الكتمان» إنتاج 2020 بدعم من راديو الغد في الموصل، كتب قصته أحمد النجم، وهو العمل الثالث للمخرج هيثم صالح، بعد فيلمين آخرين سبق ان قدمهما خلال العام الماضي، الأول بعنوان «عزل صحي» والثاني بعنوان «تطرف» وفيلمه الأخير يحمل الكثير من الإشارات التي تنبئ عن وجود موهبة سينمائية واعدة، يمكن ان يكون لها شأن في المستقبل، وقد توفرت في هذا الشريط مجمل العناصر الفنية التي ينبغي ان تكون حاضرة في صناعة الفيلم الروائي القصير، والتي يمكن اختصارها في توفر متن حكائي قائم على مشكلة محددة الملامح لعدد محدود جدا من الشخصيات ضمن وحدة زمان ومكان معينين، والأهم من ذلك القدرة على الإيجاز والتكثيف في إيصال خطاب الفيلم عبر الصورة.

خطاب الفيلم

الموضوعة الرئيسية لهذا الشريط القصير الذي لا يتجاوز الست دقائق، تتناول اشكالية العنف المسكوت عنه ضد المرأة في المجتمع العراقي، بالشكل الذي تحولت محنتها الإنسانية إلى قربان يقدم على دكّة مذبح العادات والتقاليد والأعراف تواطئا وتخاذلا وتخادما معها، حتى لا يسمح للمرأة ان تعبر عن رأيها بخياراتها، ولا تعلن صوتها الرافض إذا ما تعرضت لأي شكل من أشكال القهر في حياتها الزوجية، على اعتبار ان دورها المرسوم لها من قبل الأعراف الاجتماعية يفرض عليها ان تخضع لسلطة الزوج مهما تمادى في قسوته عليها، طالما هو الرجل وهي المرأة، فالعلاقة هنا مشروطة بإطار ثابت ومقنن أقرب إلى التقديس، ولا يجوز لها أن تتخاطاه مهما كانت تزرح تحت نمط من العلاقة التي تهين كرامتها وآدميتها.

من هنا ينطلق المتن الحكائي لفيلم «قيد الكتمان» حيث تتعرض الزوجة الشابة إلى تعنيف شديد من قبل الزوج بسبب أخطاء بسيطة ترتكبها أثناء إدارتها للمنزل لا تستوجب أي رد فعل عنيف تتعرض له من قبل الزوج. على سبيل المثال يرى شعرة في الطعام وهذا ما يدفعه إلى أن يقذف زوجته بالأكل، وفي مشهد آخر تسهو قليلا فيتضرر القميص أثناء ما كانت تكويه فيلجأ الزوج لحرق يدها عقابا على ما ارتكبته من خطأ، وعندما تستنجد بوالدها لن تجد منه موقفا داعما لها بقدر ما تسمع منه وصايا بضرورة طاعة الزوج إلى ان تفقد ما لديها من قدرة على الصبر فتقرر الانتحار.

تنوع تقنيات السرد

الفيلم من حيث الحبكة طرح فكرته ببساطة شديدة بدون تعقيد واستعراض فني وتقني مفتعل، وسرد حكايته بطريقة مكثفة بما ينسجم مع تقنيات الفيلم القصير من حيث اللجوء إلى الإيجاز في السرد، واعتماد الصورة باعتبارها وحدة أساسية في البناء الدرامي.

هناك عنصر آخر اعتمده المخرج في نسج بنية الفيلم وتماسكها تمثل بالحفاظ على نمو الايقاع وتصاعده بشكل سلس، وقد تظافرت عوامل مختلفة في ذلك منها حركة الكاميرا، التقطيع السريع، التنويع في زوايا التصوير داخل المشهد الواحد، إضافة إلى الخلفية الموسيقية التي كانت عنصرا مهما في نقل الاحساس بتوتر العلاقة بين الزوجين.

ولابد أيضا من الإشارة إلى الاهتمام بالخروج من حيز المشهد الداخلي الرئيس الذي كان يدور داخل البيت والانطلاق إلى فضاء الشارع العام، حيث مشهد الأب وهو يتولى تصليح العطل في سيارته المتوقفة على جانب طريق سريع لمرور السيارات والشاحنات الكبيرة، وهذا المشهد منح المتلقي الاحساس بالتقاطع الحاد ما بين بطء حركة الحياة داخل البيت، وبين تدفقها في الخارج، وبذلك تحقق التناقض ما بين هاتين الصورتين بما تحملانه من اختلاف في الدلالات والمحتوى والايقاع، ووظيفة هذا المشهد لم تأت فقط في مسار تقديم منظومة البيئة الاجتماعية التي تخذل الزوجة وتتسبب في استمرار معاناتها انما جاء ليكشف حقيقة هذه العلاقة ويعريها أمامنا، وليقول لنا بانها قد وصلت إلى مرحلة من العطب والعطالة مثما هي السيارة، وتحتاج إلى إعادة تقييم وتصليح وإلا لن يكون بامكانها ان تتحرك مثلما هي تبدو الحركة في الشارع سريعة ومتدفقة.

أما مشهد الختام في المقبرة فقد كان بغاية الذكاء، عندما انتهى بلقطة عامة حيث يقف الأب المنهار في منتصف الصورة، وفي العمق تمتد المقبرة لتملأ الفضاء كله، وهي إشارة إلى أن هناك الكثير من الضحايا يرقدون تحت التراب ومعهم دفنت حكاياتهم كما هي حكاية الزوجة التي تسبب العنف الزوجي في انتحارها.

فقط لدي ملاحظة تتعلق ببداية الفيلم وتحديدا بعد جملة التنويه التي وردت في تايتل البداية، إذ كان من الممكن تأخير اللقطة التي يمسك بها الأب بخصلات شعر ابنته ويقبلها وهو يبكي، إلى ما بعد ان تقص الزوجة شعرها في الحمام، والاكتفاء فقط في بداية الفيلم بالتركيز على الرسالة، حتى يبقى المتلقي مشدودا أكثر للأحداث ولا تنكشف النهاية بوقت مبكر جدا، فمن المهم ان يبقى المشاهد من حيث الحبكة مأسورا بدائرة من الغموض إلى اللقطات الأخيرة، وكما هو واضح فإن مفردة الشعر كانت أساسية في الموضوع إلى جانب الرسالة باعتبارها العنصر الأول في البناء السردي للأحداث.

الممثلون

أما عن الأداء، فأظن بان العناصر الثلاثة الأساسية المشاركة قدمت ما لديها بشكل جيد، فالتكامل بينهم كان واضحا، رغم فارق التجربة بين الممثل محمد العمر «مثل دور الأب» بما يملكه من رصيد كبير في الأداء وبين الممثلة الشابة مروة «الزوجة» والممثل الشاب سيف الدين العميري «الزوج».

دون شك كان اختيار الممثلين من حيث الشكل موفقا جدا، وهذا يحسب للمخرج، وبشكل عام فإن ثلاثتهم كان لهم حضور مؤثر وفعال في تقديم دواخل الشخصيات، وابتعدوا في ادائهم عن المبالغة والافراط في التعبير الجسدي التي هي من أبرز الأخطاء الشائعة التي عادة ما يتسم بها الممثل العراقي. الحرب التي عاشتها مدينة الموصل وما خلفته من تداعيات خطيرة منها ما يتعلق بدمار هائل شمل الموروث الحضاري إضافة إلى الخسائر البشرية، كان لها من الجانب الآخر دور في ظهور جيل جديد يملك أدوات تقنية جديدة في مخاطبة العالم، والملاحظ ان هناك اهتماما كبيرا من قبلهم في الفن السينمائي، ورغبة في التفاعل معه وتوظيفه في التعبير عن آمال وأوجاع مجتمعهم.

دون شك، هذا العمل يكشف عن موهبة شابة في الإخراج السينمائي، تعرف جيدا كيف تصنع فيلما روائيا قصيرا.

تحقيقات

خفايا حرب الموانئ بين العراق والكويت

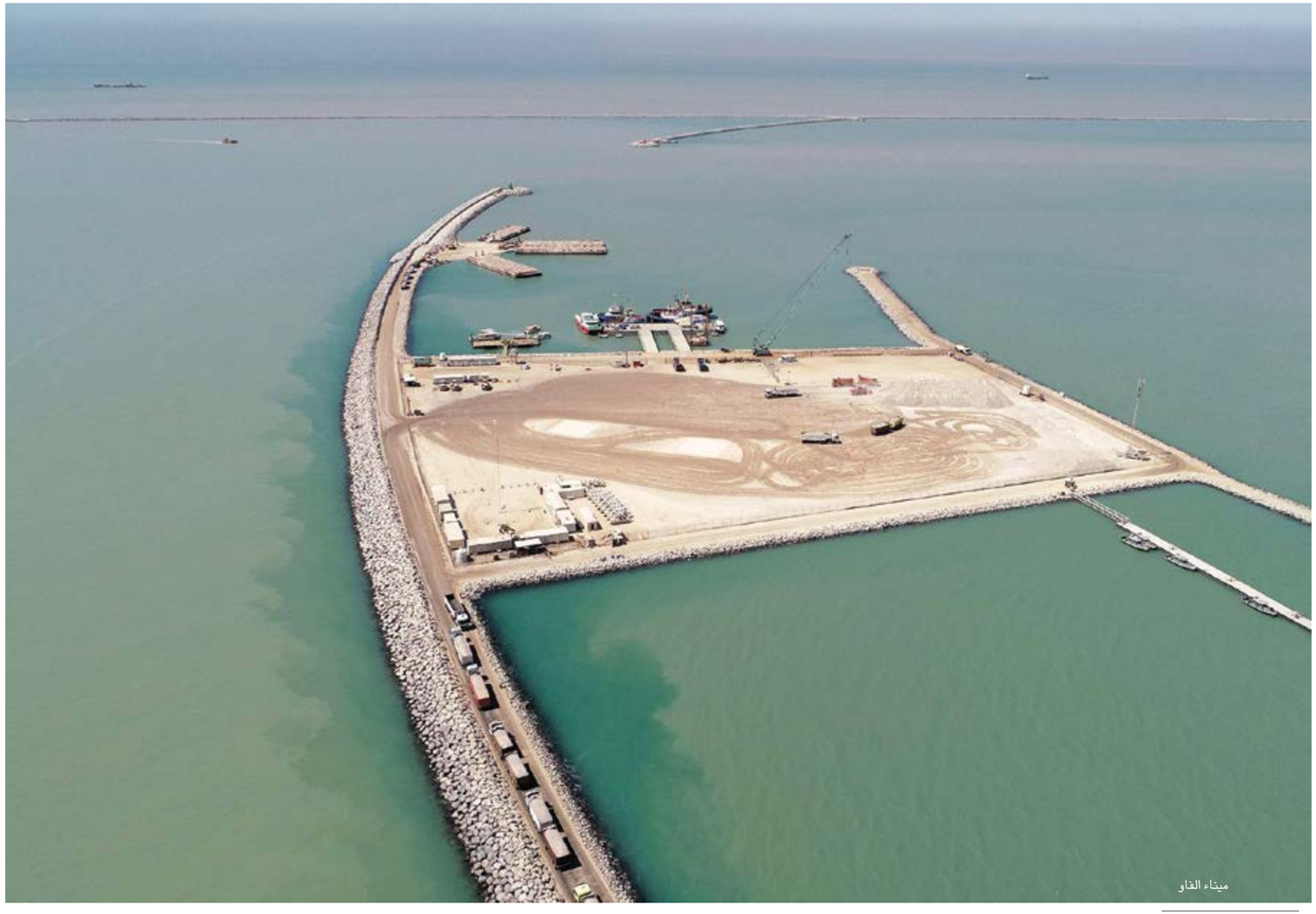
ميناء الفاو

بغداد ـ «القدس العربي»: مصطفى العبيدي

بعيدا عن الزيارات والمجاملات الدبلوماسية بين مسؤولي العراق والكويت، يدور سباق محموم بين البلدين للسيطرة على منطقة شمال الخليج العربي ذات الأهمية الاستراتيجية البالغة، وسط ضجيج البناء المتسارع لميناءي الفاو العراقي ومبارك الكويتي.

وحفل المشهد العراقي هذه الأيام بتطورات متسارعة متعلقة بمشروع ميناء الفاو في أقصى جنوب العراق، حيث عاد هذا الموضوع إلى الواجهة مجددا، بعد زيارة رئيس البرلمان العراقي محمد الحلبوسي إلى الكويت وعقده مباحثات مع الجانب الكويتي حول العلاقات المشتركة، والتي أعقبها نشر مخاوف وتسريبات عن مساومات قوى سياسية عراقية فاسدة لتخريب المشروع الاستراتيجي أو تعطيله، خدمة لمصالح الكويت.

وقبل أيام وصل وزير النقل العراقي ناصر الشبلي، إلى مدينة البصرة أقصى جنوب العراق على رأس وفد حكومي وزار موقع مشروع ميناء الفاو الكبير للوقوف على آخر مراحل بنائه وتطورات المفاوضات مع شركة دايو الكورية المكلفة بالمشروع، من أجل مواصلة العمل فيه وتجاوز المعوقات والعراقيل التي عطلت الاستمرار به. كما عقد الشبلي، اجتماعا مع شركة دايو، لحثها على الإسراع في العمل، بعد ان شهد تأخيرا في مراحل إنجازه.

وقد أصدر الشبلي، بيانا، جاء فيه إن «ميناء الفاو من أهم مشاريع البنى التحتية في البلاد وسنزيل كل المعوقات أمام إنجازه» مشيرا إلى «ضرورة البدء بمرحلة البناء والتنفيذ لإكماله خلال المدة المحددة». وحذر من أن «أي تلكؤ يحدث في التنفيذ سيؤدي إلى الانفتاح على شركات أخرى متخصصة لها باع طويل في تنفيذ المشاريع المشابهة». وازاء مشكلة التمويل، أشار إلى أنه «إذا لم توفر الموازنات المقبلة المبالغ المطلوبة للمشروع فلدينا عروض القروض الصينية والكورية والأمريكية والفرنسية لإنجاز مشروع ميناء الفاو».

وردا على انتشار شائعات واسعة في وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي عقب زيارة رئيس البرلمان محمد الحلبوسي إلى الكويت، من ان التمويل، أشار إلى أنه «إذا لم توفر الموازنات المقبلة المبالغ المطلوبة للمشروع فلدينا عروض القروض الصينية والكورية والأمريكية والفرنسية لإنجاز مشروع ميناء الفاو».

وردا على انتشار شائعات واسعة في وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي عقب زيارة رئيس البرلمان محمد الحلبوسي إلى الكويت، من ان تقليصها، وان عمقه سيتم تقليله من 19 إلى 16 مترا، إضافة إلى تقليل كلفة عقد البناء من 4 مليارات دولار إلى أقل من 2.5 مليار دولار». ويتخوف المراقبون من ان تغيير مواصفات بناء الميناء قد تفقده قدرته التنافسية مع موانئ المنطقة عموما وميناء مبارك الكويتي خصوصا.

ويذكر أن ميناء الفاو الجديد، من المقرر إكمال انشاءه في عام 2024 وسيحتوي على 90 رصيفاً مخصصاً للسلع التجارية، بالإضافة إلى ستة أرصفة للنفط وتصل طاقته الإجمالية إلى حوالي 25 مليون حاوية، وهو سيسمح للسفن الكبيرة بالقدوم إلى الميناء مباشرة من دون المرور بدول أخرى لتفريغ حمولتها، مما سيعود بفوائد كبيرة على البلاد. وقد حصل كاسر الأمواج الغربي الكبير بميناء الفاو، مؤخرا على شهادة من موسوعة غينيس باعتباره الأطول في العالم، حيث يبلغ طوله نحو 15 كيلومترا وكلف بناءه 591 مليون دولار.

الاعتراضات على تعطيل المشروع

وتسابق العديد من السياسيين والقطاعات الاقتصادية والشعبية في حملة انتقادات لتعطيل تنفيذ هذا المشروع الحيوي والتشكيك بنوايا مبيتة لإفشاله.

ففي حراك نيابي لدعم مشروع ميناء الفاو، قدمت لجنة النزاهة النيابية قبل أيام، مشروع قانون، بعنوان «رسم الحملة الوطنية لبناء ميناء الفاو الكبير» ينص على فرض رسم طابع بمبلغ ألف دينار على كافة المعاملات في الدوائر الحكومية، وذلك بهدف جمع مبلغ لإكمال بناء ميناء الفاو إضافة إلى المبالغ المخصصة من الحكومة لهذا الغرض. فيما أعربت لجنة الخدمات النيابية، عن استغرابها من التأخير المستمر في تنفيذ مشروع الميناء، مشددة على ضرورة عدم التلاعب بالتصاميم الأولية له.

النائبة عالية نصيف، طالبت بدورها رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي والمرجعية الدينية بالتدخل وإيقاف التفاوض مع شركة دايو الكورية لحين الاتفاق على الإبقاء على مواصفات ميناء الفاو السابقة.

وتساءلت نصيف، في مؤتمر صحافي، «من الذي خوّل لجان التفاوض على تخفيض أعماق ميناء الفاو إلى 14 متراً؟ وما الفائدة من الميناء إذا كانت السفن القادمة لا يمكن أن ترسو إلا في عمق 19–24 متراً؟» مبينة «أن هناك محاولات من قبل بعض (الخونة) في لجان التفاوض لجعل أعماق الميناء 14 مترا.

وأوضحت، أن «تقليل قيمة العقد من أربعة مليارات دولار إلى مليارين ونصف أمر جيد وتوفير للنفقات، ولكن يجب أن لا يكون ذلك على حساب المواصفات» مشددة على أن «القضية في غاية الأهمية والخطورة، ويجب أن يتدخل الجميع للحيلولة دون إبرام هذا العقد بهذا العمق القليل» وهددت نصيف بـ«كشف أسماء الخونة والمرتشين والمتواطئين مع الكويت، ومحاكمتهم بتهمة الخيانة» حسب قولها.

وسبق للنائبة عالية نصيف، أن طلبت في بيان، من رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي، رفع دعاوى قضائية في المحاكم الدولية ضد الكويت «لتجاوزها على حدود العراق البرية والبحرية وتهب ثرواته» وقالت «سبق وأن حذرنا من قيام الكويت بإنشاء ميناء مبارك الذي تهدف من خلاله إلى تدمير اقتصاد العراق، كما نبهنا إلى المخطط الخطير الذي تقوده الكويت وبعض الخونة الذين كانوا مرتزقة ومحامين لها وأخذوا على عاتقهم التنفيذ الأعمى للقرارات الدولية». كما أعلنت نصيف، جمع تواقيع 100 من النواب لغرض إلغاء اتفاقية خور عبدالله بين العراق والكويت، كونها تلحق أضرارا بالغة بالعراق.

واتفاقية تنظيم الملاحة البحرية في خور عبد الله هي اتفاقية حدودية بين العراق والكويت، صادقت عليها حكومة بغداد عام 2013 بحجة انها تنفيذ للقرار رقم 833 الذي أصدره مجلس الأمن في عام 1993 بعد الغزو العراقي للكويت في عام 1990.

وأدت هذه الاتفاقية إلى تقسيم خور عبد الله بين البلدين، والواقع في أقصى شمال الخليج العربي بين شبه جزيرة الفاو العراقية وكل من جزيرتيّ بوبيان وورية الكويتيتين، مما أثار جدلاً كبيرًا في العراق، حيث رأى فريق من السياسيين العراقيين أن رئيس الوزراء العراقي آنذاك نوري المالكي والبرلمان العراقي قد تنازلا عن جزء من خور عبد الله، وهو الممر الملاحي الوحيد المؤدي إلى معظم الموانئ العراقية، وأن التقسيم اقتطع أجزاء من الأراضي والمياه العراقية لصالح الكويت.

وفي السياق حذر القاضي والنائب السابق عن البصرة وائل عبد اللطيف، من أن «ان جهات خارجية تمنع العراق من إكمال مشروع ميناء الفاو».

وقال عبد اللطيف في تصريح تلفزيوني، إن «ميناء مبارك الكويتي يخالف كل اتفاقيات البحار والبلدان المتشاطئة» محملا وزارة الخارجية العراقية مسؤولية فشلها في التفاوض مع الكويت، وعدم وجود لجنة تفاوض دائمة، وقال «تم استبعادي لأكثر من مرة من لجان التفاوض لأنني كنت معارضا لميناء مبارك».

ووصف عبد اللطيف «مؤتمر الكويت للمانحين» بأنه «أكبر كذبة في تاريخ العراق، وان «العراق دفع خلاله ثمنا كبيرا». وذكر أن الجانب الكويتي أقام ذلك المؤتمر لأخذ مقابل كبير فيه، مؤكدا أن «العراق انخدع بمؤتمر الكويت للمانحين، وانه لم يحصل على دينار واحد منه» مشيرا إلى ان «الكويت ومن خلال المؤتمر أخذت آخر تواقيع خط الخرائط بين العراق والكويت وأودعتها في الأمم المتحدة لتثبيت ما استولت عليه من أراض عراقية» حسب قوله.

مواقف

وبالرغم من المجاملات الإعلامية والدبلوماسية وتبادل الزيارات، إلا أنهمن الواضح أن سياسة حكومة الكويت، وخاصة منذ الزيارة أسفرت عن اتفاق على أن يكون ميناء الفاو بمواصفات ضعيفة ومساحات قليلة تفقده قدرته التنافسية مع ميناء مبارك الكويتي، فقد أكد وزير النقل ناصر الشبلي أمام الصحافيين، أثناء زيارته ميناء الفاو، إن «إنشاء الميناء الكبير سيكون وفق مواصفات عالمية وسيغير خريطة النقل البحري الدولي» وأوضح

ميناء الفاو يسهل رسو السفن بدون المرور بدول أخرى

محاولة جمع تواقيع 100 نائب لإلغاء اتفاقية خور عبدالله بين العراق والكويت

احتلال العراق للكويت عام 1990 وحتى بعد غزو العراق وتغيير النظام فيه عام 2003 ما زالت تتمسك برغبة الانتقام من العراق والتخطيط لمحاصرته وخنقه اقتصاديا في الخليج العربي الذي بعد المنفذ المائي الوحيد للعراق نحو العالم.

وتتركز مبادئ السياسة الكويتية الحالية على عدة جوانب منها الإصرار على مواصلة استحصال التعويضات المالية التي أقرها مجلس الأمن الدولي بدفع من الولايات المتحدة على العراق لغزوه الكويت، رغم كونها مبالغا فيها وفاقت الخسائر الحقيقية للكويت، حيث فرضت لجنة التعويضات الأممية على العراق دفع 52.5 مليار دولار، استلمت الكويت معظمها وبقي نحو 4 مليارات فقط.

وقد استغلت الكويت قرارات مجلس الأمن الخاصة بالغزو من أجل انتزاع المزيد من الأراضي والمساحات المائية والحقول النفطية المشتركة بين البلدين، مستفيدة من الثغرات القانونية في القرارات الدولية والاحتلال الأمريكي للعراق وضعف حكومات بغداد وتفشي الرشى بين مسؤوليها. ويرى عراقيون أن بناء ميناء مبارك على خور عبد الله، رغم وجود مساحات واسعة للكويت على الخليج، يهدف إلى خنق العراق وانتزاع مساحات مائية كبيرة منه وحصر التجارة العالمية في المنطقة بالكويت، بالتزامن مع عرقلة إكمال بناء ميناء الفاو العراقي قدر المستطاع، عبر وسائل وأدوات محلية وخارجية.

ولأن قضية ترسيم الحدود بين العراق والكويت وعقد اتفاقية خور عبد الله وميناء الفاو، لا يمكن ان تكون بعيدة عن الفساد والرشى المتفشية في حكومات العراق، فقد اعترف هوشيار زيباري وزير الخارجية الأسبق في حكومة نوري المالكي، في جلسة أمام مجلس النواب، بأنه وزميله وزير النقل آنذاك هادي العامري (الذي وقع اتفاقية خور عبد الله) ومسؤولين آخرين ضمن الوفد العراقي المفاوض مع الجانب الكويتي، قد تلقوا هدايا أمير الكويت أثناء تواجدهم فيها خلال جولة مفاوضات على قضايا حدودية.

وفي الختام، يبدو ان حكومة الكويت لا تريد ان تستوعب دروس التاريخ في علاقتها مع العراق، ولا تنوي فتح صفحة جديدة من علاقات حسن الجوار والمصالح المشتركة. وكان سلوكا بعيدا عن الحكمة عندما لجأت حكومة الكويت إلى أساليب تقديم الرشى لمسؤولين عراقيين فاسدين وزائلين واستغلال الظروف المحلية والدولية لانتزاع امتيازات من العراق عبر الاستيلاء على أراضي ومياه وحقول نفط وغاز ومزارع عراقية بدون وجه حق.

كما ان حكومة الكويت تتغافل عن حقيقة ان عواقب احتلال العراق للكويت قد يأتي يوم وتنطبق عليها لأنها جعلت من أرضها منطلقا لقوات الاحتلال الأمريكي البريطاني عند غزوها العراق عام 2003 من دون تفويض من الأمم المتحدة، وبالتالي فإنها قانونيا، تتحمل مع الولايات المتحدة نتائج كل الخراب والدمار الذي لحق بالعراق نتيجة الغزو. فيما يبدو أن السلوك العدائي بين جارين ستكون له تداعياته السلبية ليس الآن فقط بل في المستقبل أيضا.

ميديا

إصابة ترامب بـ«كورونا» تُشعل شبكات التواصل في العالم العربي: تعليق وتعاطف وشماتة

لندن – «القدس العربي»:

اشتعلت شبكات التواصل الاجتماعي في العالم العربي بالتعليقات المختلفة فور إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إصابته وزوجته بفيروس «كورونا» المستجد. وهيمن ترامب على اهتمامات المغردين والمدونين العرب الذين تسابقوا للتعليق على الحدث، بينما جنح بعضهم نحو الشماتة بإصابة الرئيس الذي لا يتمتع بأي شعبية في الشارع العربي.

وأعلن ترامب صباح الجمعة الماضية إصابته وزوجته بفيروس كورونا المستجد، وكتب في تغريدة على «تويتر» بأن «التحاليل أثبتت إصابته هو والسيدة الأولى ميلانيا ترامب بفيروس كورونا المستجد». وأضاف: «سنبدأ عملية الحجر الصحي والتعافي على الفور وتخطي ذلك معاً».

وتأتي إصابة ترامب بكورونا قبيل الانتخابات الأمريكية التي يسعى فيها إلى ولاية ثانية، فيما يتوقع أن يتولى نائبه مايك بنس مهامه في حال تدهور وضعه الصحي.

تباين في واشنطن

وتدفقت التغريدات المتباينة على «تويتر» والتي عبر بعضها عن التعاطف مع ترامب وزوجته، بينما سخرت تغريدات أخرى من تقليله سابقا من شأن الفيروس ورفضه ارتداء الكمامة الطبية، فيما شمت بعض معارضيه بإصابته بالفيروس الذي لطالما كان يسميه «الفيروس الصيني».

وذكر مغردون أن الرئيس كان يسخر من خصمه جو بايدن إزاء ارتدائه الكمامة، وقال آخرون إن ترامب، الذي سيخطى برعاية صحية واهتمام، فضلا عن استمراره في منصبه، لم يهتم بمئات آلاف الأمريكيين الذين فقدوا أرواحهم أو خسروا وظائفهم.

لكن مناصري ترامب أعربوا عن استيائهم لـ«شماتة» معارضيه به، مؤكدين أنهم يرجون له الشفاء العاجل وأنهم لم يكونوا ليسخروا من بايدن في حال كان هو من وقع ضحية للفيروس.

وغرد الكاتب الأمريكي كورت إيتشين وولد: «أنا آسف، لكنّ أسوأ شيء يمكن أن يحدث الآن هو إذا كان ترامب بدون أعراض. سوف يتباهى كيف أن الخاسرين فقط هم من يمرضون حقاً ويدفعون الملايين ليكونوا أكثر تهوراً. لا أتمنى له الموت، ولكن مئات الآلاف من الأشخاص قد ينجون من الموت إذا كان مرضه قد جعله ومؤيدوه يرون حقيقة الأمر حقاً».

أما الصحافي الأمريكي كورت باردیلا فغرد يقول: «ترامب والجمهوريون على وشك التحول إلى لأفكار والصلوات. مرة أخرى يثبتون أنهم لا يكترثون بحوالي 200 ألف أمريكي، بل يهمهم أنفسهم فقط».

أما المؤلف والكاتب دان برايس فغرد معلقاً: «يمكن للرئيس ترامب والسيدة الأولى الحصول على الرعاية الطبية. إنهم لا يخشون المشكلة المالية. ما زالوا يكسبون المال بينما لديهم الوقت للتعافي. ألا يجب على الجميع امتلاك هذه الأشياء الآن؟».

وغرد الصحافي مايكل تريسي: «أتساءل عما إذا كان مؤيدو ترامب سيسخرون مني لارتدائي كمامة في الأماكن العامة – وهو تعديل بسيط للغاية من أجل الصحة العامة تم تبنيه في جميع أنحاء العالم».

في المقابل علق منتج الأفلام كيلب هول غاضباً: «لدي 61 صورة تتضمن تعليقات لأشخاص بارزين يتمنون وفاة ترامب. الاحتفال بإصابة شخص بالكورونا أمر مقرف للبشر». وكتب المخرج والمنتج التلفزيوني روبي ستاربك: «ثبتت إصابة الرئيس ترامب وزوجته ميلانيا بفيروس كورونا، ورد فعل الكثير من الديمقراطيين هو إنه حصل على ما يستحقه ويأملون له أن يموت. للعلم فقط: إذا كانت نتيجة اختبار جو بايدن إيجابية، هل تعرف ماذا سيقول ناخبو ترامب؟ الدعاء له».

العرب شامتون

وسرعان ما انعكس خبر إصابة ترامب بالفيروس على اهتمامات المغردين والمدونين في العالم العربي والذين جنح أغلبهم نحو الشماتة بترامب أو عمد بعضهم إلى التذكير بانكاره الفيروس والتقليل من شأنه وخطورته.

وكتب الصحافي محمد أمين مغرداً على «تويتر»: «بعد انكاره وتهاونه بالفيروس، كورونا في البيت الأبيض، هكذا هم الشعبويون يـودون بأنفسهم وبلادهم إلى التهلكة». وغرد الكاتب ياسر الزعاترة: «خبر العالم الأول هو إصابة ترامب وزوجته بكورونا. كورونا المؤامرة بحسب اليمينيين من أتباعه. حدث ذلك مع ترامب بريطانيا، قبله (جونسون). ليس العلاج هو ما يشغله الآن، بل كيفية استغلال القصة انتخابيا. منذ شهرين، وحتى الانتخابات، ينام ترامب ويصحو وكابوس الخسارة يلاحقه».

وأضاف الزعاترة ساخراً في تغريدة ثانية: «أهم وصفتين لعلاج كورونا أطلقهما ترامب هما: عقار هيدروكسي كلوروكوين وشرب مواد التنظيف الكيميائية. لا بد أن يثبت صحة ذلك الآن عبر تعاطيهما معا. هناك نظرية أخرى أطلقها، وخلاصتها أن الفيروس تقتله الحرارة. فليكن عزله مع جهاز تدفئة بحرارة عالية!!».

وكتبت الإعلامية علا الفارس: «نفى وجود المرض. رفض ارتداء الكمامة ولم ينصح بها. ادعى أن وباء كورونا مؤامرة. ما تأثير إصابة ترامب على مصداقيته أمام مؤيديه؟ وما تداعيات حجر الرئيس على الانتخابات الأمريكية المقبلة؟».

وغرد أحد النشطاء قائلاً: «رئيس الولايات المتحدة الأمريكية دونالد ترامب الذي حرض أنصاره على كسر الحجر العام واستخف بخطورة وباء كورونا يعلن أن نتائج تحاليله وزوجته ميلانيا إيجابية».

وتساءلت إيمان عياد: «بعد إصابته وزوجته هل نشهد تأثير الدومينو الآن بين أعضاء إدارته ويعصف كورونا بالبيت الأبيض؟» فيما علقت الإعلامية والمخرجة التلفزيونية آلاء حمدان بالقول: «احتمال كبير تكون إصابة ترامب بالكورونا تمثيلية خبيثة، وخاصة أن تعامله مع المرض في أمريكا كان مستهتراً، وممكن يؤثر على نتائج الانتخابات. كسب التعاطف والتضامن أمر هام وسلاح لدى السياسيين».

وكتب الحقوقي محمود رأفت تحليلا يقول فيه إن «إعلان ترامب عن إصابته بفيروس كورونا سيؤثر سلباً على الاقتصاد الأمريكي ما سيُسقط من يده الكرت الانتخابي الوحيد، وبعبارة أخرى فلو نجى ترامب من الفيروس سيسقط بحفرة الانتخابات أمام بايدن. يبدو أن القدر يرتب شيئاً في وقت حرج، فسقوط ترامب أو وفاته سيكون بركانا سيبتلع بعض الأنظمة العربية».

وغرد الباحث أنيس النقاش: «بن سلمان، صاحبك ترامب أصيب بالكورونا، هل ستتهم إيران بنشر الوباء في أمريكا؟ معلوماتي انك ترتعش خوفا منذ سماعك الخبر».

مشككون: أهداف انتخابية

وشكك العسكري الأردني اللواء المتقاعد مروان العمد بحقيقة إصابة ترامب وزوجته بفيروس كورونا المستجد، وقال: «أرى أن الإصابة غير حقيقية، ولكن ترامب ادعى ذلك ليثبت أن الفيروس غير خطير وأنه اصيب به وهو بهذا العمر ولم يتأثر».

وأضاف: «سيبقى ترامب يمارس مهام عمله من مكتبه بضعة أيام، ثم يخرج بعدها ليعلن شفائه التام من الفيروس وأنه أجرى فحصاً جديداً يثبت خلوه من الفيروس وذلك لغايات انتخابية وللتقليل من مخاطر الفيروس وأن الإصابات به إما غير حقيقية أو غير خطيرة».

ورجح العمد في تصريحات نقلتها مواقع إخبارية محلية في الأردن أن يكون ترامب اختلق إصابته هذه ليواجه بها الاتهامات الموجهة له حول تقصيره في مواجهة الوباء ومسؤوليته عن إصابة ووفاة الكثير من الأمريكيين.

ورأى أن ترامب يستخدم ذلك كحجة للتهرب من مناظراته المقبلة مع منافسه على الرئاسة جو بايدن بعد ان تحدث عن عدم ضرورة إجراء المناظرات.

وفي السياق ذاته، غرد الناشط عبد الرزاق الشايجي على «تويتر» يقول إن «المغرد الأمريكي جون كامو تنبأ قبل أسبوعين بإعلان ترامب إصابته بفيروس كورونا المزيفة في تشرين الأول/أكتوبر لإبعاد بايدن عن الشاشات وإشغال الرأي العام بحالته لمدة 14 يوماً، بعدها سيظهر ترامب وقد تم علاجه بنسبة 100 في المئة بواسطة هيدروكسي كلوروكين. تحليل منطقي خاصة وأن استطلاعات الرأي تؤكد خسارته».

وعلق أحدهم ساخراً: «ترامب بين خيارين أحلاهما مر: الموت بالفيروس الصيني، أو العلاج باللقاح الروسي» فيما كتب سالم العمري: «مشكلة مرض ترامب أثرت على الاقتصاد وتسببت في انخفاض النفط. ابو ايفانكا مؤثر في صحتة ومرضه وبعد موته». بينما غرد المهندس أحمد بسخرية يقول: «نطالب بحقن الرئيس الأمريكي وزوجته بالمنظفات المنزلية لعلاجه من كورونا».

يشار إلى أن شبكة «CNN» الإخبارية قالت إن الرئيس الـ45 للولايات المتحدة في مجموعة عالية الخطورة بسبب عمره الذي يبلغ 74 عاما، بالإضافة إلى إصابته بالسمنة، وهو عامل خطر آخر لشكل أكثر خطورة من المرض.

وفقًا للمراكز الأمريكية لمكافحة الأمراض والوقاية منها، فإن الأشخاص في الفئة العمرية 65–74 هم أكثر عرضة لخطر دخول المستشفى بخمسة أضعاف، و90 مرة أكثر عرضة لخطر الوفاة بسبب «كوفيد–19» مقارنة بالشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و29 عاماً.

68 انتهاكاً بحق الصحافيين الفلسطينيين خلال شهر سبتمبر

لندن – «القدس العربي»:

رصدت لجنة دعم الصحافيين 68 انتهاكاً بحق الصحافيين الفلسطينيين خلال شهر أيلول/سبتمبر المنصرم، منها 48 انتهاكاً إسرائيلياً و10 انتهاكات داخلية.

وقالت اللجنة في بيان لها، إن قوات الاحتلال الإسرائيلي واصلت انتهاكاتها المتعمدة بحق الصحافيين ووسائل الإعلام الفلسطينية رغم القوانين والمواثيق الدولية التي تكفل حماية الحق في حرية الرأي والتعبير.

كما أشارت إلى تسجيل أكثر من عشر حالات من الانتهاكات من قبل شركات مواقع التواصل الاجتماعي، لمواقع وصفحات وحسابات الصحافيين الشخصية، وذلك في إطار محاربة المحتوى الفلسطيني وطمس جرائم الاحتلال بحق الشعب الفلسطيني.

وأوضحت أن اعتداءات الاحتلال زادت خلال الشهر المنصرم، حيث تم اعتقال خمسة صحافيين، وهم الشاعرة رانية حاتم، ومحمد قاروط ادكيك، وعبد المحسن شلالدة وتم الإفراج عنهم جميعاً، وأسامة شاهين، ومجاهد مرداوي لا يزالان رهن الاعتقال.

وذكرت أن قوات ومخابرات الاحتلال استدعت واحتجزت ثلاثة صحافيين، في حين أصدرت محاكم الاحتلال قرارات بتمديد اعتقال وإصدار حكم اعتقال إداري لأربعة من الصحافيين الأسرى.

وتم تسجيل أكثر من 11 حالة اعتداء واستهداف بالرصاص المعدني المغلف بالمطاط، وبالقنابل الصوتية والغاز السام للصحافيين، لمنعهم من ممارسة عملهم الصحافي.

ومنعت قوات الاحتلال الصحافيين من ممارسة عملهم المهني في تغطية انتهاكات الاحتلال بحق الفلسطينيين، حيث سجلت عشر حالات منع من التغطية وحالتي منع من السفر لتلقي العلاج.

ورصدت لجنة دعم الصحافيين أكثر من خمس حالات اقتحام وتفتيش وعبث بمحتويات منازل الصحافيين، تم خلالها مصادرة أجهزة كمبيوتر وملفات ومستندات ووثائق، وهواتف وكمبيوترات، وسيارة تابعة لفضائية «فلسطين». ومن جانب المضايقات والتعذيب داخل أقبية سجون الاحتلال، سجل التقرير ثلاث حالات، كما تم فرض غرامة مالية على صحافيين اثنين.

وأوضحت اللجنة أنه في محاولة لاجتثاث الرواية الفلسطينية وشطب كل ما يتعلق بفلسطين، تفرض مواقع ومنصات التواصل الاجتماعي قيوداً ظالمة على المحتوى الفلسطيني، بضغوط من الاحتلال الإسرائيلي.

وسجلت عشر حالات من الانتهاكات، حيث الحظر والحذف للحسابات في الضفة الغربية وقطاع غزة، من دون إبداء الأسباب.

وعلى صعيد الانتهاكات الفلسطينية الداخلية، رصدت لجنة دعم الصحافيين عشر حالات من انتهاكات أجهزة أمن الوقائي بالضفة الغربية بحق الصحافيين.

صحافي مصري مسجون من دون حُكم قضائي منذ 42 شهراً

لندن – «القدس العربي»:

تجاوزت اعتقال الصحافي المصري بدر بدر محمد، المدة القانونية للاحتجاز على ذمة أي قضية، وأصبح اعتقاله انتهاكاً للقوانين النافذة في مصر، ورغم ذلك فإن الأجهزة الأمنية ما زالت تتمسك بحبسه وترفض إخلاء سبيله حتى هذه اللحظة، بحسب ما تؤكد المنظمات الحقوقية التي تتابع واقع الحريات في مصر.

وأصدرت «الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان» تقريراً قالت فيه إن «استمرار حبس الصحافي بدر بدر محمد عضو نقابة الصحافيين المصرية 42 شهرا، ومن ضمنها شهرين اختفاء قسري، و10 شهور من دون تحقيق، إنما يشكل خرقاً للدستور والقانون لا يمكن تجاهله ويقدم دليلاً جديداً على الاستهانة الشديدة بالقانون والحريات وانتهاكا جسيما لكافة حقوقه الإنسانية».

وأكدت الشبكة أن «النيابة العامة ليست بريئة من هذه الانتهاكات التي يتعرض لها بدر» مؤكدة أن عملية الاعتقال ليست قانونية كما أن الإجراءات التي تم اتخاذها بحق بدر تشكل انتهاكا للقوانين.

وأضاف التقرير: «منذ فجر 29 آذار/مارس 2017 خضع الصحافي بدر محمد إلى القبض والاحتجاز والتحقيق على ذمة القضية 316 لسنة 2017 حصر تحقيق نيابة أمن الدولة العليا، والتي ظلت تصدر عشرات القرارات المتتالية بتجديد حبسه حتى أكمل مدة العامين ليصير إخلاء سبيله حتمياً لبلوغ حبسه المدة الأقصى المنصوص عليها قانوناً، وبالفعل بدأت ورقيا إجراءات الإفراج عنه وتم ترحيله من مقر محبسه بسجن ليمان طره إلى ديوان قسم شرطة 6 أكتوبر، وبالفعل تواجد به لعدة أيام لكنه اختفى نهائياً بتاريخ 8 كانون الأول/ ديسمبر 2019». وتقول الشبكة إنه «عقب اختفاء بدر وانقطاع أي تواصل بينه وبين أسرته ومحاميه، فوجئ الجميع بإعلان الأجهزة الأمنية القبض عليه من جديد وهو لم يفارق قبضتهم القمعية أساساً، حيث ظهر متهما أمام نيابة أمن الدولة بتاريخ 22 شباط/فبراير 2020 بتهم الإرهاب وتم التحقيق معه في قضية جديدة برقم 1360 لسنة 2019 حصر تحقيق ليصدر قرار حبسه لمدة 15 يوماً».

وتشير الشبكة في تقريرها إلى أن «قرارات الحبس توالت بحقه عاصفة بحريته وبالقانون» معتبرة أن ما حصل له هو «إهدار لا مثيل له للدستور وللحقوق الإنسانية، فمنذ هذا التاريخ وحتى الآن وطوال مدة تزيد عن 9 أشهر، لم يمثل الصحافي بدر محمد أمام محكمة الجنايات بل يتم تجديد حبسه ورقيا وتلقائيا في مخالفة فجة لقانون الإجراءات الجنائية واجب الإعمال وكأنما صارت حريته وحياته بلا ثمن وصارت مواثيق حقوق الإنسان والدستور والقانون خرقة بالية بلا قيمة».

وأكد التقرير أن «الانتهاك لا يقتصر على وزارة الداخلية، بل تعتبر النيابة العامة شريكة أساسية في إهدار القانون وتضييع حرية صحافي لما يزيد عن ثلاث سنوات».

يذكر أن بدر بدر محمد عضو في نقابة الصحافيين، وعمل رئيساً لتحرير مجلة «اللواء الإسلامي» وجريدة «الشعب» المصرية ومديرا لتحرير صحيفة «آفاق عربية» ورئيس تحرير جريدة «الأسرة العربية» ثم مراسلا لقناة «الجزيرة» حتى تاريخ القبض عليه.

وطالبت الشبكة العربية المستشار النائب العام بوقف الانتهاك الذي يتعرض له بدر والذي يمثل جريمة كبرى بحق مواطن مصري، على حد تعبيرها.

علوم وتكنولوجيا

حقيقة مرعبة: كورونا لديه عشرة طرق للوصول إلى الخلايا البشرية

لندن ـ «القدس العربي»:

خلصت دراسة طبية حديثة إلى حقيقة مرعبة قد تُفسد على العلماء كافة الجهود التي يبذلونها حالياً من أجل القضاء على فيروس كورونا المستجد ووقف انتشاره بين الناس، وتفيد هذه الحقيقة أن لدى الفيروس عشرة أنواع مختلفة من البروتينات التي تقوم بمهمة الالتصاق بالخلايا البشرية، ما يعني أن على العلماء اليوم التغلب على عشرة طرق لهجوم الفيروس وليس طريقة واحدة أو اثنتين.

وحسب الدراسة التي أجريت بالتعاون بين جامعة صينية ومركز بحثي في بريطانيا، ونشرت نتائجها في موقع «لايف ساينس» فقد وجد العلماء أن فيروس كورونا المستجد يملك طريقة «معقدة للغاية» لربط نفسه بالخلايا البشرية.

واكتشف العلماء أن الفيروس يعتمد على ما يُسمى «بروتينات السنبلة» من أجل الالتصاق بالخلايا البشرية وغزوها، وللقيام بذلك تتحول «السنبلة» إلى 10 أشكال مختلفة على الأقل للالتصاق بالخلايا البشرية.

وأجرى الدراسة علماء من جامعة سون يات سين الصينية ومعهد «فرانسيس كريك» البريطاني، وهو «مركز المملكة المتحدة للأبحاث الطبية والابتكار سابقا» في لندن.

ويقول العلماء إنه «في حين أن هذا قد يفسر سبب صعوبة العثور على علاجات فعالة للمرض، فإنه يفتح أيضا طرقا جديدة محتملة للتحقيق في علاج أو لقاح كوفيد–19».

وفي بداية الوباء، حدد العلماء بسرعة بنية بروتين السنبلة «spike» ما مهد الطريق لاستهدافه باللقاحات والأدوية الأخرى. ولكن ما يزال هناك الكثير مما لا يعرفه العلماء عن التفاعل بين البروتين والسطح الخارجي للخلايا البشرية.

كيفية عمله مهم جدا لأنه هدف معظم محاولات التطعيم والكثير من أعمال التشخيص أيضا».

ولفهم عملية العدوى، مزج بنتون وفريقه بروتينات «ACE2» البشرية مع بروتينات «spike» في المختبر، ثم استخدموا الإيثان السائل شديد البرودة لتجميد

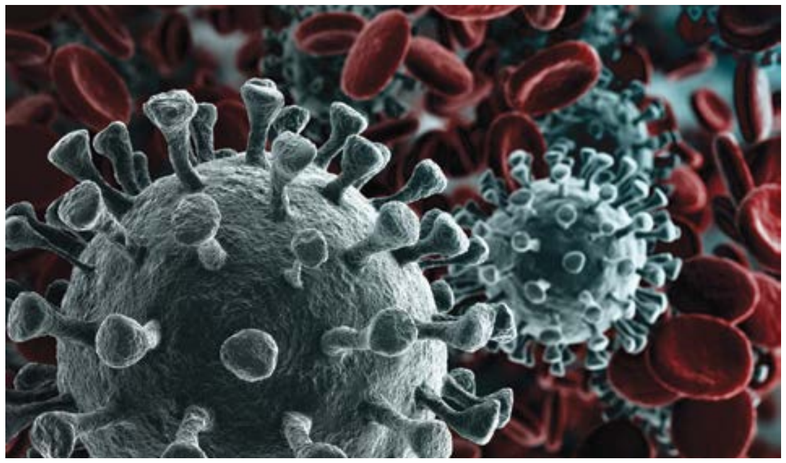

وهي مراحل مختلفة من الارتباط بالخلية البشرية.

ووجدوا أن بروتين السنبلة الذي ينتج عن فيروس «كورونا» يخضع لتغيرات في الشكل عندما يرتبط بالخلية البشرية، وبعد أن يرتبط البروتين يصبح هيكله أكثر انفتاحا للسماح بمزيد من الارتباط، وهو ما يزيد من انتشار المرض ويُسهل من انتقال الفيروس عبر هذه البروتينات.

وقال بنتون: «إنها عملية ربط مستقبلات معقدة للغاية مقارنة بمعظم بروتينات السنبلة في الفيروس. الإنفلونزا وفيروس نقص المناعة لديها عملية تنشيط أكثر بساطة». وأضاف أن فيروس كورونا مغطى ببروتينات سبايك، ومن المحتمل أن جزءا صغيرا منها فقط يمر بهذه التغييرات التوافقية، ويرتبط بالخلايا البشرية ويصيبها. وأشار المؤلف الرئيسي المشارك أنتوني روبل، وهو أيضا زميل أبحاث ما بعد الدكتوراه في معهد فرانسيس كريك للبيولوجيا الهيكلية لعمليات المرض: «نعلم أن بروتين سبايك يمكن أن يتبنى كل هذه الحالات التي كنا نتحدث عنها. لكن إذا كانت كل بروتينات سبايك تعتمد عليها جميعا لا يمكننا تحديد ذلك، لأنه يمكننا رؤية نوع واحد من اللقطات فقط».

ويقول الباحثون إن بروتين سبايك سريع التغيير في المختبر، ويمكن أن يتحول إلى كل هذه التشكيلات المختلفة في أقل من 60 ثانية. لكن بنتون أوضح أن: «هذا سيكون مختلفا تماما في حالة العدوى الحقيقية، كل شيء سيكون أبطأ لأن المستقبل سوف يكون عالقا على سطح الخلية، لذا عليك إتاحة الوقت للفيروس للانتشار إلى هذا المستقبل».

وقال: «قد يكون هذا وسيلة للفيروس لحماية نفسه من تعرف الأجسام المضادة عليه». وأضاف أنه عندما يكون بروتين سبايك في حالته المغلقة، فإنه يخفي الموقع الذي يرتبط بالمستقبل وهو الخلية البشرية، ربما لتجنب دخول الأجسام المضادة والارتباط بهذا الموقع بدلا من ذلك.

وأشار الفريق إلى أن الشكل المتغير لبروتين السنبلة كشف عن المزيد من الأسطح التي يمكن أن تستهدفها اللقاحات والعقاقير المحتملة.

ويقول روبل: يمكننا بعد ذلك البدء في التفكير في العلاجات التي يمكن أن تناسب مكانا ما إما في سطح المستقبل أو في مكان ما في بروتين السنبلة نفسه».

ويأمل العلماء في معرفة سبب مرور الفيروس التاجي بالعديد من التغييرات التوافقية، وكيف يقارن ذلك بالفيروسات التاجية الأخرى وما إذا كانت هذه التغييرات قد تساعد في تفسير سبب انتشار هذا الفيروس الجديد بسهولة.

جهاز خارق يُعالج العين ويُحسن الرؤية خلال ثلاث دقائق فقط

لندن ـ «القدس العربي»:

سجل مركز طبي عريق في بريطانيا تطوراً لافتاً في مجال مساعدة فاقدي البصر أو الذين يعانون من ضعف في الرؤية، حيث تمكن من ابتكار جهاز حديث وخارق يستطيع تحسين الرؤية خلال دقائق معدودة فقط.

وقالت جريدة «دايلي ميرور» البريطانية في تقرير إن البرفيسور جلين جيفري الذي يعمل في معهد «UCL» تمكن من التوصل إلى هذا الاختراع، وقالت إن الجهاز المبتكر يستطيع تحسين صحة العين خلال ثلاث دقائق فقط.

ووفقا لجيفري، فإن الجهاز المبتكر يعالج مشاكل الشبكية للأشخاص فوق الأربعين إذ يقوم بإعادة تشغيل «الشبكية المسنة» عن طريق دفعات قصيرة من الضوء الأحمر طويل الموجة.

وقال جيفري: «دراستنا تظهر أن الممكن تحسين الرؤية بشكل كبير لدى المسنين، وذلك باستخدام تعريضات بسيطة وجيزة لأطوال موجات الضوء التي تعيد شحن نظام الطاقة، التي انخفضت في خلايا الشبكية، هذه التكنولوجيا بسيطة وآمنة».

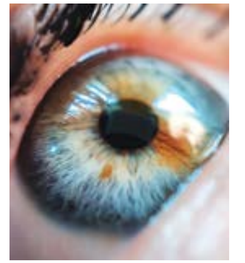

وأشار العالم البريطاني إلى أن «النظر إلى الضوء الأحمر طويل الموجة، لمدة 3 دقائق في اليوم، يمكن أن يجدد الشبكية ويحسن البصر بسرعة كبيرة، تكافح تدهور الرؤية» وقال: «حساسية الشبكية ورؤية الألوان تتقلصان تدريجيا، مع وصول الشخص إلى مرحلة الشيخوخة».

ووجد الباحثون سابقا أن الضوء الأحمر يحسن الرؤية لدى الفئران والنحل والذباب، حيث تأتي مستقبلات الضوء في شبكية العين في نوعين، المخاريط التي تكتشف رؤية الألوان، والقضبان التي تعطي رؤية في الضوء الخافت.

يشار إلى أن جهود العلماء في التغلب على مشاكل ضعف الرؤية أو فقدان النظر أو حتى تعطل العين بشكل كامل حققت نجاحاً كبيراً في السنوات الأخيرة.

ومؤخراً بدأ علماء أستراليون إجراء التجارب اللازمة على اختراع ثوري وخارق جديد، وهو عبارة عن «عين إلكترونية» من شأنها أن تعيد البصر لفاقديه وتُشكل علاجاً نهائياً لفقدان البصر.

وكشف فريق البحث في جامعة «موناش» أن «الجهاز الثوري» يتضمن نظارات مزودة بكاميرا فيديو ولوحات كهربائية مصغرة مزروعة في الدماغ، مشيرين إلى أن العمل على تطويره استمر طيلة العقد الماضي وأصبح الآن جاهزاً لاختباره على المرضى.

وكانت جريدة «الصن» البريطانية كشفت قبل شهور قليلة أن عدداً من العلماء يعملون على إبتكار «عين إلكترونية اصطناعية» متطورة يتم برمجتها وتجعل الكفيف يرى النور.

وتوقعت الصحيفة أن تصبح العين الإلكترونية المطورة والقابلة للبرمجة جاهزة خلال خمس سنوات فقط، وقالت إنها ستكون أول «مقلة عين» اصطناعية ثلاثية الأبعاد في العالم، قادرة على تحقيق رؤية أكثر وضوحا من العين البشرية الحقيقية.

وقبل شهور أيضاً تمكّن فريق بحثي إيطالي من التوصل إلى تكنولوجيا خارقة من شأنها أن تعيد البصر لفاقديه من كبار السن، شريطة أن يكون فقدان البصر ناتجا عن عوامل الشيخوخة وكبر السن، لكن المدهش في هذه التكنولوجيا أنها تفتح الأمل بأن يتم استعادة كثير من الوظائف الحيوية التي تتأثر بالشيخوخة أو يفقدها الإنسان نتيجة التقدم في السن.

ويقول الباحثون إن الجسم يشيخ بصورة غير متساوية، حيث تبدأ الشيخوخة بأهم أعضاء الجسم، وهي العيون والأسنان والدماغ، فتفقد قدراتها قبل غيرها من أعضاء الجسم، فيما يأتي هذا الاكتشاف الجديد ليتغلب على الشيخوخة التي تواجه العيون.

تجربة ناجحة لطائرة ركاب نظيفة تعمل بالهيدروجين

لندن ـ «القدس العربي»:

تمكنت شركة أمريكية بريطانية مشتركة من إجراء تجربة ناجحة لأول طائرة ركاب تجارية نظيفة وصديقة للبيئة في العالم، وتعمل هذه الطائرة بالهيدروجين بدون الحاجة إلى الوقود التقليدي الذي يحترق ويسبب تلوثاً كبيراً في الجو.

وحققت شركة «زيرو آفيا» الأمريكية البريطانية هذا الإنجاز عندما جربت بنجاح الطائرة مؤخراً، وهي طائرة ركاب وظيراتها المستخدمة في القطاع الفلاحي والتي تأسست في سنة 2017 عن أملها في تبني شركات الطيران عبر العالم للتكنولوجيا الجديدة من أجل طيران خال من انبعاثات الغازات الدفيئة بحلول سنة 2023.

وبشر المدير العام لشركة «زيرو آفيا» فال مفتاخوف المسافرين بقدرتهم قريبا على السفر على متن طائرات «دون انبعاثات» على حد قوله.

ويكمن الاختراق التكنولوجي في تحقيق إمكانية تشغيل الطائرات بوقود نظيف بشكل مطلق صادر عن تحويل الهيدروجين الموجود في الجو، بمزجه بالأوكسجين، إلى طاقة كهربائية، مما يفتح آفاقا واسعة لإحداث ثورة في تاريخ الطيران حيث يرجح أن يتحول تدريجيا إلى الطاقة الجديدة الهيدروجينية.

وتبدو هذه الآفاق جدية بعد التجارب والابتكارات التي تتوالى منذ سنوات في مجال تشغيل سيارات وأجهزة أخرى بالطاقة الهيدروجينة، فضلا عن إعلان شركة «إيربيس» الأوروبية قبل أيام عن مشروعها لإنتاج طائرات تجارية مدنية بحلول العام 2035.

ويعتبر التوصل إلى إنتاج طائرات صديقة للبيئة واحداً من الملفات التي تشغل العاملين في قطاع النقل الجوي بالعالم، كما أنه أحد الهواجس التي تهيمن على عقول صانعي القرار في الدول الكبرى بعد التحذيرات الكبيرة من أضرار التلوث على البيئة والتغير المناخي والمستقبل بشكل عام.

وتعمل العديد من الشركات في العالم منذ سنوات في البحث من أجل إنتاج طائرات تعمل بالطاقة الكهربائية، حيث ينشغل علماء في روسيا بتطوير محركات طائرات فائقة القدرة وتعمل بالطاقة الكهربائية.

والتكنولوجيا الروسية الجديدة من شأنها إنتاج محركات بالغة القوة، وهو ما يعني أن الطائرات الجديدة التي ستعتمد على هذه المحركات سوف تكون ذات قدرات فائقة جداً إضافة إلى كونها نظيفة وصديقة للبيئة ولا تُصدر أي انبعاثات تلوث.

وأعلن المركز الوطني لأبحاث الطيران في روسيا العام الماضي أن خبراءه نجحوا في اختبار محركات كهربائية سيتم تركيبها على الطائرات مستقبلاً، وأوضح بيان صادر عن المركز أن التجارب الأخيرة التي أجراها الخبراء شملت محركات كهربائية غير مسبوقة مزودة بتقنيات لنقل الطاقة بقدرات فائقة، وتتحمل درجات حرارة عالية قد يسببها تيار كهربائي بقوة 500 كيلوواط.

ونقلت وكالة «فيستي» الروسية عن القائمين على التجارب تأكيدهم أن استخدام مثل هذا النوع من التقنيات سيقلل كثيرا من أوزان المحركات، ويتيح في المستقبل إطلاق طائرات كهربائية بقدرات أكبر بكثير من تلك الموجودة حالياً.

وفي روسيا أيضاً، بدأت العام الماضي اختبارات جديدة لطائرات «ألباتروس» الشمسية الملقبة بالمختبر الطائر والتي صممت للطيران في رحلات طويلة عبر العالم.

وانطلق الرحالة والبروفيسور الروسي الشهير، فيودور كونيوخوف صباح الخامس من تموز/يوليو 2019 في رحلة على متن هذه الطائرة الخارقة والعاملة بالطاقة الشمسية برفقة رئيس الاتحاد الرياضي الروسي للطائرات الشراعية سيرغي ريابتشينسكي.

واستمرت الرحلة ليوم واحد حيث أقلعت الطائرة من مطار «سيفيركا» في ضواحي موسكو، لتمر بمطار «أوسمان» في فورونيغ، وبعدها بمطار «أولغينسكايا» في روستوف لتصل أخيرا إلى مطار «تاباسكو» في يغباتوريا الروسية في شبه جزيرة القرم.

وطوّرت الطائرة المذكورة ضمن مشروع «ألباتروس» الروسي الذي يهدف لتطوير طائرات صديقة للبيئة تعمل بالطاقة الشمسية، قادرة على التحليق لمدة 7 أيام دون توقف أو إعادة الشحن.

ويبلغ طول جناحي هذه الطائرات 25 مترا، أما وزنها فيبلغ 900 كلغ فقط، وزودت بألواح خاصة لاستقبال ضوء الشمس من اتجاهات عديدة أثناء تحليقها، لتحول هذا الضوء إلى طاقة كهربائية تشغل بها محركاتها وتخزنها في بطاريات خاصة.

ويمكن لهذه الطائرات حاليا التحليق لمسافة 3700 كلم في رحلة واحدة، والطيران بسرعة تصل إلى 200 كلم/ساعة، كما يمكنها تبادل البيانات والإحداثيات مع الأرض بواسطة أنظمة «Iridium».

دراسة علمية تبحث: ما الذي يحدث إذا عاد الزمن إلى الوراء؟

لندن ـ «القدس العربي»:

رفعت دراسة علمية حديثة من احتمالات أن يتمكن البشر بالعودة في الزمن إلى الوراء، أو تحقيق ما يُسمى «السفر عبر الزمن» وهي الفكرة التي لطالما طلت حبيسة الخيال العلمي طوال السنوات الماضية وكانت مادة دسمة لإنتاج الأفلام السينمائية المثيرة.

وكشف بحث جديد نشرت نتائجه شبكة «روسيا اليوم» عن مفارقات في قلب السفر عبر الزمن بما يجعله أكثر من مجرد موضوع لأفلام السينما وإنما أمر يمكن أن يتم في الواقع.

ولطالما كان العلماء وكتاب السيناريو على حد سواء مفتونين باحتمالية السفر عبر الزمن، وأظهرت العديد من الأفلام أيضا أنه يمكن أن يؤدي إلى مختلف أنواع العواقب غير المتوقعة.

وتم نشر البحث العلمي في مجلة «Classical and Quantum Gravity» المتخصصة بالعلوم، أما القائمون على البحث فهم علماء في الفيزياء يريدون دراسة إن كان من الممكن الرجوع بالإنسان إلى الوراء زمنياً.

وطرح البحث مجموعة من الأسئلة الفلسفية، ومن أبرزها أن التناقض هو السمة الغالبة لأي فعل يعود إلى الوراء، حيث يصبح الشيء نفسه مختلفا عما كان عليه، ومثال ذلك أنه «إذا سافرتَ عبر الزمن إلى الوراء ومنعتَ والديك من الاجتماع، فكيف تولد أصلاً لتسافر بالزمن؟».

وقال طالب فيزياء من جامعة كوينزلاند في أستراليا، إنه كشف عن الرياضيات وراء أسرار الوقت وجعلها قابلة للتطبيق من دون التناقضات.

وأوضح الباحث جيرمان توبار: «تقول الديناميكيات الكلاسيكية إذا كنت تعرف حالة نظام ما في وقت معين، فيمكن أن يخبرنا هذا بتاريخ النظام بأكمله. ومع ذلك، تتنبأ نظرية النسبية العامة لأينشتاين بوجود حلقات زمنية أو السفر عبر الزمن – حيث يمكن أن يكون الحدث في الماضي والمستقبل في حد ذاته – نظريا قلب دراسة الديناميكيات رأسا على عقب».

واستخدم الباحث مثال جائحة فيروس كورونا، لشرح حساباته لا يصدق، انطلق مسافر عبر الزمن إلى الماضي لمنع انتشار المرض، وإذا نجح في ذلك، فلن يكون هناك مرض يعيده للقضاء عليه.

ومع ذلك، وجد عمل توبار أن الفيروس ما يزال يفلت بطريقة أخرى. وبغض النظر عما فعله المسافر عبر الزمن، فإن المرض لن يتوقف، وبالتالي تزول المفارقة.

الكثيفة بشكل فإذا

ويركز العمل النظري العميق على تأثير العمليات الحتمية على عدد تعسفي من المناطق، في استمرارية الزمكان. وأوضح توبار كيف يمكن أن تتوافق المنحنيات المغلقة التي تشبه الزمن (والتي تنبأ بها ألبرت أينشتاين) مع قواعد الإرادة الحرة والفيزياء الكلاسيكية.

وقال الفيزيائي فابيو كوستا من جامعة كوينزلاند، الذي أشرف على البحث: «تم التحقق من الرياضيات – والنتائج هي مادة خيال علمي».

الجزائر تؤجل إلغاء الرسوم الجمركية مع أوروبا

رشيد خشانة

اتخذ الرئيس الجزائري عبد المجيد تبون، قرارا بالغ الأهمية، تم بموجبه إرجاء تنفيذ الاتفاق الخاص بإلغاء الرسوم الجمركية مع أوروبا إلى وقت لاحق. واعتبر تبون أن الاتفاق، الذي أبرمته الحكومة السابقة مع الاتحاد الأوروبي، مُجحفٌ، وأمر بمراجعة كثير من بنوده. ويرمي الاتفاق إلى إقامة منطقة جزائرية أوروبية للتبادل الحر، اعتبارا من الأول من أيلول/سبتمبر الماضي.

غير أن السلطات الجزائرية أكدت أن قرار الإرجاء لا يعني التخلي عن اتفاق الشراكة مع الأوروبيين، وأنها ما زالت متمسكة به. بالمقابل أعلنت المفوضية الأوروبية من بروكسل أن الجزائريين امتنعوا عن إزالة آخر الرسوم الجمركية مع الاتحاد الأوروبي، قبل بدء الشهر الجاري، حسب روزنامة الاتفاق، ورأت في ذلك الإرجاء «إخلالا ببنود الاتفاق» مشيرة إلى أن أية مراجعة ينبغي أن تتم باتفاق الطرفين في اجتماع لـ«مجلس الشراكة الجزائري الأوروبي» الذي يضم ممثلين عن الطرفين.

والأرجح أن القرار الجزائري أتى استجابة لضغوط أوساط رجال المال والأعمال الجزائريين، الذين أبدوا مخاوفهم من تداعيات الاتفاق على الأوضاع الاقتصادية الصعبة، التي تمرُ بها المؤسسات الخاصة المحلية، والتي زادت عسرا مع انتشار وباء «كوفيد–19». وفي السياق قال عبد الوهاب الزياني رئيس غرفة الصناعات الغذائية، إن إقامة منطقة للتبادل الحر مع الاتحاد الأوروبي ستُعرض المصانع المحلية إلى منافسة شديدة، وخاصة في قطاع المنتوجات الغذائية والصناعات الدوائية. وأنحى الزياني باللائمة، في تصريحات لصحف محلية، على المفاوضين الجزائريين الذين قال إنهم لم يستشيروا رجال الصناعة المحليين.

ميزان تجاري مُختل

ويشكو الجزائريون من اختلال ميزان المبادلات التجارية مع الاتحاد الأوروبي، واكد علي باي ناصري رئيس «الجمعية الوطنية للمصدرين الجزائريين» أن الجزائر استوردت سلعا من الاتحاد الأوروبي، بقيمة 320 مليار دولار، بين 2005 و2019 فيما لم تتجاوز صادراتها إلى بلدان الاتحاد 15 مليار دولار في الفترة نفسها، خارج النفط والغاز ومشتقاتها. وحسب ناصري، تمثل الجزائر أقل من 1 في المئة من الحجم الاجمالي للتجارة الخارجية للاتحاد الأوروبي، بينما تصل حصة الأوروبيين من تجارة الجزائر الخارجية إلى أكثر من 55 في المئة. ومن هنا فإن أي اضطراب أو صدمة اقتصادية في أوروبا تنعكس سلبا، وفي وقت سريع، في الاقتصاد الجزائري. وفي دراسة أعدها الخبير مختار خلادي توقع أن تكون الجزائر في قلب العاصفة، إذا ما هب إعصار اقتصادي على المنطقة «لأن دور المفاوضين الجزائريين كان شكليا ولم تحصل مفاوضات حقيقية بين شريكين متعادلين» على ما قال.

لكن الحكومة الجزائرية قررت العام الماضي خفض الواردات من الخارج، من ضمن إجراءات تقشفية أخرى، ما أدى إلى تراجع الاعتماد على المنتوجات الأوروبية نسبيا. وحظر الجزائريون، في هذا الإطار استيراد 800 سلعة، تراوح من الهواتف المحمولة إلى الآلات المنزلية، مرورا بالمنتوجات الزراعية. كما تراجع استيراد بعض المواد الاستهلاكية بعد رفع الضرائب على الاستهلاك إلى 30 في المئة، بينما زادت الضرائب الجمركية على السلع 60 في المئة. ولاقت تلك الإجراءات التقشفية تجاوبا واستحسانا لدى الصناعيين الجزائريين، لأنها حركت الأسواق المحلية الراكدة. ولم يُخف الصناعيون الجزائريون خشيتهم من احتمال لجوء الاتحاد الأوروبي إلى المعاملة بالمثل، ما سيزيد من أسعار المواد المستوردة، التي يحتاجونها في إنتاج سلعهم، ما يُهدد بتوقف بعض المصانع عن الإنتاج، جراء خُلو بعض الأسواق من المواد الأولية. وكان لافتا أن شريكين تجاريين مهمين للجزائر، وهما تركيا وإسبانيا، انتقدتا علنا الإجراءات التي اتخذتها السلطات الجزائرية لإقرار ضرائب على المنتوجات المستوردة من هذين البلدين.

ويعيب الجزائريون على الأوروبيين عدم تنفيذ وعودهم بتكثيف استثماراتهم في بلدهم، في أعقاب التصديق على اتفاق الشراكة، واعتبروا أن الاتحاد يتعاطى معهم بوصف الجزائر سوقا مهمة لهم، وليس أكثر من ذلك. وكتبت صحيفة «الوطن» الجزائرية أن بلدان الضفة الشمالية للبحر المتوسط هي التي قطعت شارة اتفاق الشراكة، لأنه فتح أمام منتوجاتها أبواب سوق كبيرة.

غير أن الأوروبيين يردون بأن الجزائر ليست أصلا منطقة جاذبة للاستثمارات الأجنبية المباشرة، ويستدلون على ذلك بأنها تتبوأ الرتبة 30 بين لائحة البلدان الأفريقية الخمسين، في الجاذبية للاستثمار الأجنبي في القارة الأفريقية. أكثر من ذلك يؤكد المستثمرون الأوروبيون أن البيروقراطية طاردة للاستثمار، وأنها تعتمد على قوانين مجحفة ومتغيرة دوما، وهو انطباع يشاطره كثير من رجال الأعمال والمستثمرين المحليين.

تجاذبات تُخفي رهانات استراتيجية

في خلفية هذه التجاذبات بين الجزائر والاتحاد الأوروبي، توجد رهانات استراتيجية تتعلق بالتوغل الصيني في السوق الجزائرية، وهو يُثير مخاوف عميقة لدى الأوروبيين، إذ تبوأت الصين المعام الخامس على التوالي، المرتبة الأولى بين شركاء الجزائر التجاريين، متقدمة على جميع البلدان الأوروبية، بما فيها فرنسا، التي كانت الزبون التجاري الأول والمزود الأكبر للجزائر. وبالرغم من الحوافز الكثيرة التي منحتها الجزائر لأعضاء الاتحاد الأوروبي في المجال التجاري، بموجب اتفاق الشراكة، ما انفكت حصة الأوروبيين من السوق المحلية تتراجع طيلة السنوات الأخيرة، فيما المنتوجات الصينية تتقدم، حتى استأثرت بالمركز الأول. وبحسب إحصاءات جديدة تتعلق بالأشهر الأولى من العام الجاري ما زالت الصين تتبوأ المركز الأول بين شركاء الجزائر التجاريين، إذ تُؤمن 15 في المئة من الواردات، تليها فرنسا وإيطاليا واسبانيا.

وكانت أوروبا تتطلع منذ 2005 إلى استكمال خطوات إقامة منطقة للتبادل الحر مع الجزائر في نهاية هذه السنة، بعد التدرج عبر مراحل متفق عليها من الطرفين. وكانت تعتقد أن الفترة الانتقالية التي مُنحت للجزائر، من أجل الإلغاء التدريجي للرسوم الجمركية، كافية لتحقيق ذلك الهدف. ويعتقد الأوروبيون أن حصاد تلك الفترة الانتقالية أظهر عدم جاهزية المؤسسات الصناعية الجزائرية لذلك الاستحقاق.

واتهمت مفوضة التجارة في الاتحاد الأوروبي سيسيليا مالمستروم، الجزائر بأنها لم تلتزم بالاتفاقات الموقعة مع الاتحاد، وخاصة اتفاق الشراكة. وخاطبت النواب الأوروبيين قائلة: إن الجزائر لم تكتف بالإخلال باتفاقاتها مع الاتحاد الأوروبي وحسب، وإنما هي تُحابي الصين أيضا، من دون أن توضح مالمستروم بدقة المآخذ التي تُنسب للجزائر. ومنذ ذلك التصريح، خرج الخلاف بين الجانبين من الغرف المقفلة إلى العلن.

الاتجاه إلى الغاز الصخري

بالنظر لشح الاستثمارات الخارجية المباشرة، لجأ الجزائريون أخيرا إلى الاستثمار في تطوير الغاز الصخري، بالرغم من المعارضة التي يلقاها في أوساط مختلفة. وبحسب تقديرات رئيس مؤسسة النفط الجزائرية عبد المؤمن ولد قدور سيؤمن إنتاج الغاز الصخري إيرادات قيمتها 67 مليار دولار في أفق 2030 نصفها سيُعاد استثماره على ما قال. وأكد ولد قدور أن «سوناتراك» ستشجع التفتيش والاستكشاف حتى يصلا إلى 100 مليون طن مكافئ نفط في السنة. وعبرت «سوناتراك» عن عزمها على التعاون مع مجموعة «أكسن موبيل» الأمريكية، التي رأت أنها تمتلك تقنيات التفتيش عن الغاز الصخري. وحاولت شبكة الزوايا الصوفية في منطقة عين صالح، جنوب الجزائر، الاعتراض على اللجوء إلى الغاز الصخري لما راج عن مضاره البيئية، غير أن رئيس مجموعة «سوناتراك» زار ثلاثة من مراكز الصوفية في المنطقة، لتهدئة مخاوفهم.

وسعت الجزائر إلى تطوير قانون الاستثمار في قطاع المحروقات المحلي، من أجل استقطاب مستثمرين خارجيين. وأكد وزير الطاقة والمناجم عبد المجيد عطار أن القانون الجديد يتضمن حوافز وتسهيلات بغية تشجيع المستثمرين الأجانب على العودة إلى الجزائر.

وركز الجزائريون أخيرا على تطوير الاستثمار في القطاع المنجمي، بالنظر لما لديهم من احتياطات كبيرة من الفوسفات، وإمكانات استغلالها في تنمية الصناعات الكيميائية، بالتعاون مع مجموعات دولية متخصصة في هذا الميدان. وتُصنف الجزائر بين أكبر البلدان ذات الثروات المنجمية، إلى جانب أستراليا وروسيا والصين وأفريقيا الجنوبية والبرازيل. ويقول مسؤولون جزائريون إن تطوير إنتاج الأسمدة الأزوتية والفوسفاتية سيمكن من إنعاش القطاع الزراعي، واستطرادا ضمان الأمن الغذائي للبلد.

ويرى محللون اقتصاديون أن الجزائر باتت تنظر أكثر إلى جنوبها، وتخطط للدخول بقوة إلى الأسواق الأفريقية، بانتظار فض الخلافات العالقة مع الاتحاد الأوروبي. وفي هذا الإطار يؤكد الجزائريون أن الاتجاه نحو أفريقيا لن يترتب عليه التخلي عن العلاقات التقليدية مع الاتحاد الأوروبي، أو حتى التهوين من قيمتها.

وستنضم الجزائر مطلع العام المقبل إلى منطقة التبادل الحر الأفريقية، التي أنشئت في العام 2018 والتي تضم 53 بلدا يُقدر عدد سكانها بـ1.2 مليار. ويتوقع وزير التجارة الجزائري كمال رزيق أن تحصد بلاده 3000 مليار دولار من الايرادات. وباشرت الشاحنات الجزائرية نقل المنتوجات الصناعية إلى أسواق الدول المجاورة، وهي مالي والنيجر وموريتانيا.

وتسعى الجزائر إلى الحلول في المرتبة الأولى بين شركاء موريتانيا التجاريين، كما تعمل على إقامة مناطق تجارة حرة في محافظات عدة من جنوبها. وتوجد مشاريع قيد التنفيذ في هذا الإطار، خاصة في تندوف وأدرار وإليزي وتمنراست، وهي من أبرز الأقطاب الحضرية في الجنوب، لكي تكون جسورا اقتصادية مع أفريقيا جنوب الصحراء.

نهاية الاقتصاد الريعي

ووضع وزير الطاقة الجديد عبد المجيد عطار، في مقدم أولوياته التخلص من الاقتصاد الريعي، في إشارة إلى اعتماد الجزائر على مداخيل النفط والغاز في اقتصادها. وأوضح أن على الجزائريين أن ينسوا الريع ويبحثوا عن مداخيل جديدة خارج الطاقة، مؤكدا أن «الجزائر في مأمن طاقوي حاليا وإلى غاية سنة 2040 لكن العالم يتغير طاقويا، ما يستلزم البحث عن مداخيل جديدة من خارج قطاع المحروقات» على ما قال.

والجدير بالملاحظة أن الاتحاد الأوروبي قرر إطلاق مفاوضات ثنائية جديدة مع أربعة بلدان عربية، ليست بينها الجزائر، بُغية إنشاء منطقة للتبادل الحر معها. ووافق أعضاء الاتحاد بالاجماع في 2011 على منح إجازة للمفوضية الأوروبية لمباشرة مفاوضات مع كل من المغرب وتونس والأردن ومصر. ويدل اقتصار مسار المفاوضات على هذه البلدان، على أن الجزائر تشكل حالة منفردة، وأن علاقاتها مع الاتحاد الأوروبي مرشحة لتغييرات لا يمكن التكهن بمآلاتها.

ميناء تجاري في الجزائر

قلب ليبيا النفطي يدق من جديد لكن إلى متى؟

إبراهيم نوار

من جديد تعود الحياة بحذر إلى حقول الإنتاج وموانئ تصدير النفط في ليبيا، بعد اتفاق حفتر – معيتيق على فك الحصار عن المنشآت النفطية الذي استمر أكثر من ثمانية أشهر بين كرٍّ وفر، وأدى إلى حرمان ليبيا من مصدر دخلها الرئيسي. في الأسبوع الأخير من الشهر الماضي قفز الإنتاج من 100 إلى 250 ألف برميل يوميا، ووصل إلى 300 ألف برميل يوميا في أول تشرين الأول/اكتوبر الحالي، ومن المتوقع أن يواصل الارتفاع مع استئناف الإنتاج في الحقول الرئيسية بعد إجراء الإصلاحات الضرورية، بهدف أن يصل إلى معدله الطبيعي في حدود 1.2 مليون برميل يوميا. ومع تطوير الحقول القائمة فإن الإنتاج يمكن أن يزيد إلى 1.6 مليون برميل يوميا، وهو ما يمكن أن يوفر لليبيا دخلا يوميا يبلغ 65 مليون دولار حسب متوسط الأسعار الحالية.

ومع استئناف الإنتاج تعود ناقلات النفط العملاقة إلى موانئ التصدير الرئيسية اعتبارا من الأسبوع الأول من الشهر الحالي، لاستئناف تحميل النفط إلى مراكز الاستهلاك في الاتحاد الاوروبي والصين. ناقلات النفط العالمية التي وصلت فعلا إلى موانئ تصدير النفط الليبية، أو هي في طريقها إلى هناك، من المقرر أن تنقل النفط الخام الليبي لصالح عدد من الشركات المتعاقدة مثل شل البريطانية – الهولندية، وسينو بيك الصينية. ويذهب أكثر من أربعة أخماس النفط الليبي إلى دول الاتحاد الأوروبي، بنسبة تعادل 11 في المئة من واردات النفط الخام لتلك الدول، وعلى رأسها إيطاليا والمانيا وإسبانيا وفرنسا.

اتفاق رفع الحصار شجع على إعلان رفع «حالة القوة القاهرة، التي تعفي مؤسسة النفط الوطنية الليبية من التعرض لجزاءات قانونية، عندما تعجز عن الوفاء بالتزاماتها تجاه المشترين المتعاقدين معها، طبقا لجدول زمني محدد. وكانت المؤسسة قد أعلنت هذه الحالة بعد أن تعرضت حقول الإنتاج وخطوط الأنابيب وموانئ التصدير لحصار من جانب القوات التابعة للجيش الوطني الليبي بقيادة خليفة حفتر، أو من جانب ميليشيات أو جماعات مسلحة قبلية متعددة الولاءات، اقتحمت المنشآت النفطية وأرغمت العاملين فيها على وقف الإنتاج، خلال فترة المواجهات العسكرية ، بين قوات شرق ليبيا في بنغازي وقوات حكومة الوفاق في طرابلس.

أسباب الاتفاق النفطي

وجاء هذا الاتفاق بعد موجة عارمة من الاحتجاجات الشعبية التي اجتاحت طرابلس أولا، ثم امتدت إلى بنغازي، واستهدفت القيادات السياسية والإدارة المحلية للفريقين المتنازعين في ليبيا. وقد أدت هذه الاحتجاجات إلى هز سلطة الفريقين المتنازعين، وكشفت عجز كل منهما عن توفير الاحتياجات الأساسية للمواطنين الليبيين، سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو الأمنية. وبالإضافة إلى الاحتجاجات، فقد كانت وراء الاتفاق النفطي أيضا ضغوط شركات النفط العالمية، ذات المصالح في ليبيا. هذه العوامل وغيرها دفعت ممثلين عن السلطتين المتنازعتين إلى الموافقة على إجراء حوار بينهما بوساطة روسية في منتجع سوتشي الروسي، انتهى إلى اتفاق يتضمن شروط فك الحصار واستئناف الإنتاج، وإخلاء المنشآت النفطية من العناصر العسكرية، التي تحول دون استئناف الإنتاج والتصدير. كذلك تضمن الاتفاق تعهدات يلتزم بها كل طرف تتعلق بأمن المنشآت النفطية، وتوزيع عوائد تصدير النفط بشفافية وعدالة في كل أنحاء البلاد.

وبينما استضافت روسيا المفاوضات النفطية الليبية في سوتشي، فإن سفارة الولايات المتحدة في طرابلس كانت تتابع المفاوضات أولا بأول، كما كانت على علاقة بكل من الطرفين المتنازعين في طرابلس وبنغازي. وجرى في السياق تبادل رسائل تتضمن تأكيدات من جانب حفتر، تتعلق برفع الحصار اعتبارا من 12 ايلول/سبتمبر الماضي، بشرط ضمان توزيع عائدات النفط «بشفافية ولصلحة كل الليبيين». ويبدو أن هناك ضمانات أخرى من أجل عدم إساءة استخدام إيرادات تصدير النفط، خصوصا فيما يتعلق بالتسليح والإنفاق على الميليشيات.

ومع ذلك فإن رفع الحصار عن المنشآت النفطية ما يزال يواجه عددا من العقبات الرئيسية، التي قد تؤدي إلى إعاقة تنفيذه أو وقفه تماما، والعودة إلى إعلان «حالة القوة القاهرة». ومن هذه العقبات الأنقسام في حكومة الوفاق الوطني بشأن صلاحية توقيعه من جانب أحمد معيتيق نائب رئيس المجلس الرئاسي للحكومة، ومعارضة بعض الميليشيات للاتفاق، والخلافات بشأن تنظيم حرس المنشآت النفطية وسلطاته، وعدم وضوح إجراءات ومعايير تقسيم الايرادات النفطية بين السلطتين القائمتين، وكذلك نظرا لوجود مؤسستين للنفط وبنكين مركزيين. هذه العقبات قد تؤدي إلى اشتعال الصراع العسكري مرة أخرى، ووقف ضخ النفط في شرايين الاقتصاد الليبي.

خطورة الانفصال النفطي

بينما تسود حالة من الجمود في الموقف العسكري، فإن الفرقاء السياسيين يحاولون إيجاد مخرج من هذا الجمود، في مفاوضات ترعاها أطراف إقليمية ودولية. التحرك على صعيد رعاية المصالح النفطية لكل الأطراف، بما فيها شركات النفط الدولية العاملة في ليبيا، يمكن أن يقدم طوق النجاة للمفاوضات. أما في حال تغليب مصالح القوى غير النظامية وأطرافها الميليشيات وجماعات المرتزقة الأجانب، فإن الاتفاق النفطي الأخير قد لا يصمد، ما يفتح الباب لتكريس حالة «انفصال نفطي» على جانبي خط التقسيم الحالي الممتد من سرت شمالا إلى الجفرة جنوبا، وهو الخط الذي تقع على جانبيه أغنى حقول النفط الليبية، حيث تستحوذ المنطقة شرقي هذا الخط على ما يقرب من ثلثي النفط الليبي متركزا في خليج سرت، بينما يوجد في الغرب الثلث الآخر متركزا في حقول الشرارة والفيل والوفاء القريبة من حدود ليبيا مع كل من تونس والجزائر.

ويعزز من احتمال «الانفصال النفطي» وجود سلطتين لإدارة المنشآت النفطية، واحدة في الغرب وأخرى في الشرق، وكذلك وجود سلطتين نقديتين. وعلى الرغم من أن موجة الاحتجاجات الشعبية التي اجتاحت كلا من طرابلس وبنغازي أدت إلى تحجيم نفوذ كل من حفتر والسراج، فإن كلا من الرجلين ما يزال يتحكم في عدد من مفاتيح التسوية السياسية وحل المشاكل الاقتصادية، الأمر الذي يتطلب تعاونهما لإنجاح جهود التسوية الراهنة على الصعيدين الاقتصادي والسياسي.

لكن عودة النزاعات واستمرارها قد يدفع القوى الرئيسية، مثل روسيا والولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا، مدعومة بشركات النفط الدولية، إلى صرف النظر عن مسألة الاهتمام بوحدة الأراضي الليبية، وتركيز مجهودها على استئناف الصادرات النفطية، وإدارة الصراع بهدف وقف الاشتباكات العسكرية أو الحد من تداعياتها، وذلك بتكريس الوضع الراهن، من حيث وجود سلطتين سياسيتين منفصلتين واحدة في بنغازي وأخرى في طرابلس، لكل منهما جيشها وشرطتها، وبنكها المركزي، ومؤسستها النفطية، مع العمل على تحييد منطقة حوض سرت باعتبارها القلب الحقيقي لصناعة النفط في ليبيا إنتاجا وتصديرا، أو إيجاد وضع دولي خاص لها.

الدور التركي

ومع تشابك المصالح الاقتصادية لتركيا في شرق البحر المتوسط مع مصالحها في ليبيا، فإن اتساع نطاق الخلاف بين الاتحاد الأوروبي وتركيا فيما يتعلق باعمال المسح السيزمي والتنقيب عن النفط والغاز في شرق المتوسط، سيلقي بظلاله على محاولة إعادة تشغيل القطاع النفطي، خصوصا وأن تركيا أصبحت الآن تملك قواعد عسكرية بحرية وجوية وبرية في ليبيا. وسيصبح الدور التركي في الأسابيع المقبلة هو أحد المحددات الرئيسية لمصير الاتفاق النفطي الأخير، خصوصا عندما يتعلق الأمر بتوزيع إيرادات تصدير النفط بين السلطتين القائمتين في شرق ليبيا وغربها؛ ولذلك فإن تعاون تركيا يمثل شرطا جوهريا من شروط نجاح الاتفاق النفطي، وإلا فإنه سيسقط، وتعود الأمور إلى ما كانت عليه تحت حالة «القوة القاهرة» حيث يتوقف الإنتاج والتصدير.

وتستفيد ناقلات النفط التي يتم تحميلها حاليا من وجود مخزون من النفط الخام في صهاريج التخزين الموجودة في الموانئ النفطية. ولكن بمجرد استنفاد كميات المخزون، فإن عمليات التحميل سوف تتوقف ما لم يستمر تدفق النفط من الحقول إلى صهاريج التخزين. وتحتاج حقول النفط الليبية لفترة من أعمال الإصلاح والصيانة أو إعادة التأهيل، حتى تعود إلى مستويات إنتاجها السابقة. وتتراوح المدة الزمنية المطلوبة لتحقيق ذلك، في ظروف آمنة، بين ثلاثة إلى أربعة أشهر. خلال هذه الفترة فإن حقول النفط ستعمل على الأرجح بطاقة إنتاجية تتراوح بين 10 إلى 20 في المئة فقط، ترتفع تدريجيا حتى تعود إلى المستويات التي كانت عليها سابقا. باختصار شديد يمكن القول إن جوهر الصراع على ليبيا ينقسم إلى شقين، الأول جيوستراتيجي بسبب موقعها وصراعات القوى في شرق المتوسط، والثاني نفطي بسبب ثروتها من النفط والغاز، وارتفاع جودة خاماتها، وانخفاض تكاليف التنقيب والإنتاج، وقربها من سوق الاستهلاك الرئيسية في شمال البحر المتوسط. ولذلك فإن أي اتفاق مستدام يحافظ على المصالح النفطية للأطراف، من شأنه أن يضمن استقرار الأوضاع في ليبيا بشكل عام، حيث أثبتت تجربة المواجهات العسكرية منذ نيسان/أبريل من العام الماضي أن القوى الرئيسية الدولية والإقليمية المتورطة في ليبيا، لن تسمح بهزيمة مطلقة أو انتصار مطلق لأي من الطرفين المحليين المتنازعين على السلطة هناك. والحل الامثل هو التوصل إلى اتفاق متوازن لاستغلال الثروة النفطية وتشغيل البلاد بشكل عام على أسس التوزيع العادل للإيرادات مع العمل على إيجاد الصيغة السياسية الموازية. إذا فشل هذا الخيار فإن البديل سيسير في اتجاه تقسيم هذه الثروة، والفصل بين شرق ليبيا وغربها، وهو ما لن يتحقق بين يوم وليلة. إن تحقيق أي من الخيارين الاقتصاديين يحتاج عملية سياسية وعسكرية طويلة المدى، ما تزال مقوماتها الاقتصادية وغير الاقتصادية بعيدة عن طور النضج حتى الآن.

حقل نفط ليبي

قطاع التمور الفلسطيني يتكبد خسائر فادحة بسبب جائحة كورونا

إسماعيل عبدالهادي

القطاع الزراعي الفلسطيني تضرر كما غيره من القطاعات بفعل جائحة كورونا، ففي مجال التمور زادت كميات إنتاجه مقابل التراجع الكبير في التصدير، بسبب الإغلاق المستمر لمكافحة تفشي فيروس كورونا، وما رافقه من تأثير على الاقتصاد الفلسطيني. وتصدر الأراضي الفلسطينية التمور إلى نحو 25 دولة حول العالم، ويوصف المنتج بأنه يتربول فلسطين، لما يحمله من أفق إستراتيجي من ناحية التأثير على الدخل القومي الإجمالي، لكن مزارعي النخيل لا سيما في مناطق الأغوار حيث تتركز النسبة الأكبر من الزراعة، يعبرون عن خيبة أملهم إزاء تداعيات فيروس كورونا.

ويقول المزارع وسيم ورش آغا، إن موسم التمور لهذا العام، تضرر بشكل كبير كباقي أنواع الخضار والفواكه التي تعرقل تصديرها نتيجة كورونا وما تبعها من إغلاق للمعابر، وتقييد حركة التنقل ومنع العديد من الدول استقبال بعض البضائع والسلع.

وأوضح لـ«القدس العربي» إنه اكتفى بتسويق 500 طن من مصنعه من أصل 250 ألف طن إجمالي طاقة المصنع بسبب تراجع طلب التصدير للخارج، ما انعكس على انخفاض أسعار التمور وتكبدهم خسائر مالية كبيرة.

وأكد المزارع أن الأسواق العالمية تشهد ركودا هذا العام بسبب أزمة كورونا، وما تبعها من انخفاض للقدرة الشرائية، وهو يعمل في قطاع التمور والتصدير منذ عام 2000 ولديه ما يقرب من 200 دونم مزروع بأنواع التمور المختلفة، ويعتمد على موسم التمور في كل رزقه وأسرته كون العمل في هذا القطاع موسمي.

في سياق ذلك يقول رئيس مجلس النخيل والتمور الفلسطيني إبراهيم دعيق إن إنتاج التمور لهذا العام تأثر بفعل أزمة فيروس كورونا وتدهور الاقتصاد العالمي، بعد الإغلاقات التي شهدها العالم تفاديا لتفشي فيروس كورونا المستجد.

وأوضح لـ«القدس العربي» أن غالبية التجار لم يسددوا بقية الصفقات المستحقة عليهم من العام الماضي، كما أنهم لم يتمكنوا من الحصول على تسهيلات بنكية بسبب أزمة كورونا ونقص السيولة، مشيراً إلى أن حجم الإنتاج الفلسطيني لهذا العام وصل إلى 12800 طن من التمور، بزيادة أكثر من 3 آلاف طن على العام الماضي.

ورجح أن انخفاض الطلب على التمور جاء بعد الإغلاق التام الذي يشهده الحرم المكي وإلغاء العمرة واقتصار موسم الحج على أعداد قليلة.

وقال إن الشركات الفلسطينية تصدر ما نسبته 50 في المئة من إنتاج التمور إلى نحو 25 دولة حول العالم، لكن الأزمة الاقتصادية العالمية أثرت سلباً بشدة على حركة التصدير لهذا العام، وكبدت أصحاب المزارع والمصانع العاملة في هذا القطاع خسائر فادحة.

وأضاف أن ما نسبته 40 في المئة من إنتاج التمور في فلسطين حتى الآن معلق بانتظار صفقات طلب تصدير، بسبب حالة الإرباك في الأسواق العالمية، كما بين أن أسعار التمور انخفضت بنحو دولار أمريكي واحد لكل كيلو، وهو ما يزيد من خسائر المزارعين والمصدرين، علماً أن السوق المحلية الفلسطينية تستهلك سنوياً ما بين 4 إلى 5 آلاف طن من إجمالي الإنتاج.

ويقدر حجم قطاع النخيل الاقتصادي بنحو 300 مليون دولار سنوياً من حيث البنية التحتية، سواء المزارع أو التعبئة والتغليف وغرف التخزين والأيدي العاملة، ويوفر قطاع النخيل نحو 5 آلاف فرصة عمل مباشرة وغير مباشرة، إلا أن التزام المصانع ببروتوكولات وزارة الصحة من حيث تشغيل 50 في المئة فقل من نسبة العمال وأيام العمل لهذا العام.

النجمة الزهراء أو قصر البارون يختزل تراث تونس الموسيقي والمعماري

تونس ـ «القدس العربي»: روعة قاسم

يعتبر قصر النجمة الزهراء أو البارون «ديـرلانجـي» من أروع التحف الفنية والمعمارية في تونس والتي تجمع الطراز المعماري المحلي من جهة والأندلسي من جهة أخرى، بالإضافة إلى عناصر معمارية أخرى. كما أن موقع هذا القصر الواقع في منطقة سيدي بوسعيد المطلة على خليج تونس، والتي تصنف ضمن الوجهات السياحية العالمية، يزيده جمالا وبهاء منقطع النظير في منطقة البحر الأبيض المتوسط. وقد كانت المنطقة التي بنيت فيها بلدة سيدي بوسعيد الآسرة، والتي يوجد بها هذا القصر، تسمى في التاريخ الغابر رأس قرطاج أو كاب قرطاج، وكانت جزءا من مدينة قرطاج أو «قرت حدشت» باللغة الفينيقية الكنعانية، أي القرية الحديثة، التي تأسست في القرن التاسع قبل الميلاد لتتوسع وتصبح جمهورية إمبراطورية منافسة للإغريق ثم للرومان في السيطرة على البحر الأبيض المتوسط. لكن استقرار الولي الصالح سيدي أبي سعيد الباجي بتلك المنطقة للتعبد والزهد والتصوف جعلها تحمل إسمه، وقد ولد الباجي سنة 1156 ميلادية واعتبر من أقطاب التصوف وتتلمذ على يديه علماء كثر على غرار أبي الحسن الشاذلي صاحب الطريقة الشاذلية والسيدة عائشة المنوبية التي تحظى بهالة من التقدير والاحترام لدى جمهور المتصوفة في تونس.

تحفة معمارية

وقد بني هذا القصر المنيف على يد مستشرق بريطاني يسمى البارون ديرلانجي، وذلك بين سنتي 1912 و1922 في منطقة جبلية مرتفعة تسمى ربوة المنار مشرفة على خليج تونس التاريخي الشهير في صراع الحضارات المتوسطية، وفي محيط غابي على قدر كبير من الجمال. فاختلطت للناظر من شرفات هذا القصر زرقة البحر والسماء بخضرة الأشجار الوارفة ببياض بيوت سيدي بوسعيد الجميلة، فظهرت لوحة فنية متوسطية استثنائية هام بها كل من وطئت قدماه أرض هذا القصر.

وقد صمّم البارون ديرلانجي نفسه المثال الهندسي للقصر واستلهمه بالأساس من التراث المعماري التقليدي التونسي، بالإضافة إلى مكونات أخرى استطاع أن يوفق بينها جميعا وأبدع في ذلك وهو الفنان المتكامل الذي برع في مختلف الفنون. ولم يكتف البارون بعمال وحرفيين من تونس لبناء تحفته المعمارية تلك، بل جلب آخرين من فرنسا وإيطاليا والمغرب لم يخرجوا جميعا في عملهم على ما سطره لهم البارون في تصميه للقصر والذي كان في النهاية كما أراده هو مندمجا في محيطه المعماري.

وورد في عديد الكتب والمقالات والتدوينات وصف دقيق لقصر النجمة الزهراء، وتحدثت هذه المراجع عن مكوناته الأساسية وخصوصا بواباته الثلاث وطابقيه السفلي والعلوي، وتحدثت أيضا بعض المراجع عن غرفه الكبيرة وخصوصا الغرفة المذهبة الرئيسية والغرفة الزرقاء والصحون المتعددة وباقي الغرف الصغيرة. ناهيك عن الحمام التقليدي، والنقائش الجصية المتضمنة لأبيات الشعر، واللوحات الرخامية بيضاء اللون والتي يفصل بينها الرخام الأسود، وأيضا الغرفة المخصصة للموسيقى وغيرها.

فنان استثنائي

درس صاحب النجمة الزهراء البارون ديرلانجي الفن في أكاديمية جوليان في باريس، واحترف الرسم ولم تكن له علاقة من قريب أو من بعيد بنشاط المال والأعمال الذي غرقت فيه عائلته. وإلى جانب عشقه للرسم والموسيقى كان البارون مغرما أيضا بجمع التحف الفنية والحفاظ على التراث المعماري التونسي وهو ما تجسد في بناء القصر الذي تحول إلى قطب للحفاظ على التراث الموسيقي التونسي وتطويره.

وأعجب البارون بالشرق وهام به، فزار في رحلة استشراقه، إلى جانب تونس، كلا من مصر والجزائر، وخلد أجمل اللوحات الفنية لمشاهد من هذه البلدان الثلاثة لكنه بالنهاية اختار سحر سيدي بوسعيد للاستقرار والإقامة وتشييد قصره المنيف. كانت سيدي بوسعيد بالنسبة له وفي حديثه للمقربين أجمل بقاع الأرض ببيوتها البيضاء ذات النوافذ والأبواب الزرقاء المندمجة في محيطها الطبيعي الآسر للقلب والروح، وبسكانها الذين ينتشر في صفوف الكثيرين منهم الفكر الصوفي ويتميزون بانفتاحهم وتسامحهم وقبولهم بالآخر. وقد حصلت هذه الرحلات الاستشراقية تحديدا مع بدايات القرن العشرين أي خلال الاستعمار البريطاني لمصر والفرنسي لكل من الجزائر وتونس.

لقد كان استقرار البارون المستشرق في ضاحية سيدي بوسعيد سنة 1910 وعاش هناك إلى حين وفاته سنة 1932. وكانت له علاقات جيدة بأهالي القرية الذين يغلب

على طباعهم الإنفتاح والتسامح وذلك بالرغم مما عرف عن والده من إسهام في إفلاس الدولة التونسية وتسببه في حلول الاستعمار الفرنسي تحت ذريعة تراكم الديون. لقد كانت للوالد فريديريك معاملات مالية مشبوهة خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر مع ملوك تونس من العائلة الحسينية باعتباره صاحب بنك إيرلنغر الذي يبدو أنه أقرض الملك وحاشيته الفاسدة بلا حساب وذلك بالتنسيق مع قوى أجنبية تبحث عن الذرائع للهيمنة على البلد واحتلاله بتعلة استرداد ديونها.

وأكد من عرفوا البارون عن قرب أنه كان مريضا وأن سيدي بوسعيد كانت ملائمة لصحته ما جعله يشتري بيتا من طابق واحد للاستقرار به ويعرف هذا البيت اليوم بـ«البلفدير». ولاحقا قام البارون متأثرا بجمال المكان وبالنمط المعماري التونسي، ببناء قصره بجانب المنزل الذي كان مندمجا مع محيطه المعماري من حيث الألوان البيضاء والزرقاء ومن حيث نمط العمارة التقليدي.

ويرى البعض أنه يمكن نعت صاحب النجمة الزهراء البارون رودولف ديرلانجي بأنه فنان تونسي استثنائي رغم جنسيته البريطانية، نظرا لاهتمامه بالتوثيق والبحث وحفظ الذاكرة للفن التونسي، بالإضافة إلى أنه رسام بارع اهتم كثيرا في رسومه بالحياة اليومية للتونسيين ووثق الكثير من مظاهرها. كما أنه كتب في الصحف التونسية كناقد عن وضع الموسيقى التونسية ونشر أول مقال له بالمجلة التونسية سنة 1917 وهو ما جعله مرجعا للكثيرين في النقد الموسيقي في ذلك الوقت.

النخب التونسية

ويرى البعض أن جهود البارون في تطوير التراث الموسيقي التونسي أثرت على النخبة التونسية وخلقت حالة من الوعي في صفوفها للمواصلة على نهج هذا الغريب الذي انتبه لما تجاهله مواطنو هذا البلد. ويؤكد هؤلاء على أن الرشيدية تأسست في هذا الإطار، وهي معهد لتعليم الموسيقى التونسية تأسس سنة 1934 وينسب إلى محمد الرشيد باي المنتمي إلى العائلة الملكية الحسينية وتنازل عن عرشه من أجل الفن التونسي الذي كان شديد الولع به وتفرغ له وابتعد عن شؤون الحكم.

ومن أهم أعمال البارون مساهماته في حفظ وتطوير التقاليد الموسيقية الكلاسيكية والشعبية التونسية وحرصه على الاهتمام بالمالوف التونسي الآتي من بلاد الأندلس مع هجرة الأندلسيين إلى شمال أفريقيا بعد طرد المسلمين من إسبانيا أو ارتكاب المجازر بحقهم لإجبارهم على الرحيل. فقد وصل الأمر بالرجل إلى حد الإنفاق من ماله الخاص على مشاركة تونس في مؤتمر الموسيقى العربية الذي نظمته مصر مع بداية ثلاثينيات القرن العشرين، وحرص على هذه المشاركة حرصا شديدا.

لقد كان البارون على علاقة وطيدة بالنخب الفنية التونسية فكان يجالسهم في قصره هذا ويتدارس معهم سبل تطوير المورث الموسيقي بإنتاج المزيد، ومن أبرز أصدقائه الفنان التونسي الكبير الذي يعتبر من المراجع والأقطاب في الموسيقى التونسية خميس الترنان. ومن جلاسه أيضا أعلام كبار في تونس على غرار الكاتب والمؤرخ حسن حسني عبد الوهاب والشيخ أحمد الوافي الذي ينحدر من عائلة أندلسية ويعتبر من أبرز رواة المالوف، إضافة إلى أنه كان عازفا بارعا وقد جلبه البارون ديرلانجي إلى تونس كمرجع لتأليف الموسيقى العربية.

النجمة الزهراء اليوم

تحولت النجمة الزهراء ومنذ سنة 1991 إلى مركز الموسيقى العربية والمتوسطية الذي يضم خزينة وطنية للتسجيلات الصوتية الموسيقية والغنائية يسهر عليها مختصون في صيانة هذه التسجيلات النادرة. ويضم القصر مكتبة فنية هامة واستثنائية وقسما للدراسات والبحوث وورشة لصناعة الآلات الموسيقية ومتحفا خاصا بالآلات الموسيقية والتحف القديمة ومكونات أخرى.

ويقصد الباحثون في المجال الموسيقي قصر النجمة الزهراء بحثا عما بداخله من نفائس وكنوز معرفية موسيقية تونسية وعربية ومتوسطية في بلد يعتبر القطب الثقافي والحضاري في منطقته المغاربية بامتياز وتجاوز إشعاعه هذا المجال الجغرافي. ويجد هؤلاء الباحثون عادة ظالتهم في المكتبة الهامة التي يتضمنها المركز أو في خزينة التسجيلات النادرة أو في غيرها، ويتمتعون بجمال القصر من الداخل والذي يعتبر تحفة معمارية بكل ما للكلمة من معنى.

ويقصد الزوار التونسيون والأجانب النجمة الزهراء أيضا لمشاهدة المتحف الموسيقي أو للتمتع بجمال القصر وحدائقه الغناء أو كذلك للتمتع بجمال مدينة سيدي بوسعيد والغابة الجبلية التي تحتضن المباني البيضاء ذات الأبواب والنوافذ الزرقاء. كما يأتي الزوار للتمتع بسحر خليج تونس من أعلى هضبة المنار حيث يكتشف المرء سر افتتان الولي الصالح سيدي أبي سعيد الباجي والبارون ديرلانجي وآخرين بذلك المكان الآسر للقلب والروح والذي يثير شعورا خاصا هو مزيج من الرهبة والخشوع وعشق الجمال الذي يدفع إلى التأمل في عظمة الخالق المبدع.

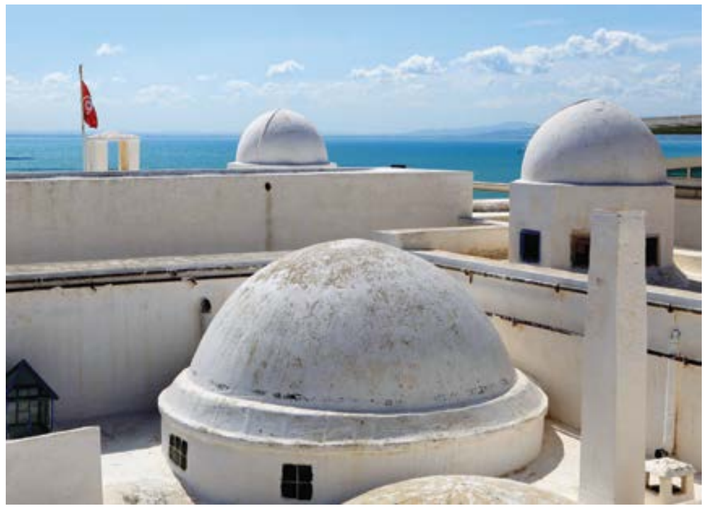

وتظهر من شرفات القصر الجبال المحيطة بالخليج على غرار جبل بوقرنين الأسطوري الذي اهتدت به الأميرة الفينيقية عليسة أو إيليسا أو اليسار، مؤسسة مدينة قرطاج إلى مكان تأسيس مدينتها في القرن التاسع قبل الميلاد، وذلك بعد أن أخبرها عنه كاهن من موطنها في صور بسواحل بلاد الشام. ويظهر أيضا من قصر البارون جبل الرصاص الشامخ شأنه شأن جبل قربص من ولاية نابل والمرتفعات المحيطة به ناهيك عن شواطئ الضاحية الجنوبية لمدينة تونس.

ويتم تعهد قصر النجمة الزهراء بالصيانة والترميم منذ اقتنائه من قبل الدولة التونسية سنة 1989 وذلك في كل مرة تتعرض بعض أجزائه لأضرار حتى بدا وكأنه بني لتوه. وكانت المرة الأخيرة التي تم فيها ترميم القصر سنة 2017 حيث لم يقتصر الترميم على الجدران الخارجية بل شمل خشب الزينة والأثاث وحتى النقوش الداخلية ليبقى القصر في أبهى حلة مستغلا كما يجب في العروض الفنية من قبل وزارة الثقافة التونسية.

وتمت أيضا في إطار الترميم الأخير توسعة المباني الملحقة بالقصر وتهيئة الفضاءات الخارجية المحيطة به من خلال بناء فضاء للاستقبال وشباك تذاكر لزوار المتاحف وعشاق العروض الفنية الراقية التي تقام في هذا الفضاء. كما تمت تهيئة الطرقات الداخلية والممرات في حدائق القصر على غرار الحديقة الأندلسية وهو ما ساهم في جعل القصر فضاء ثقافيا هاما صالحا للعروض الموسيقية مثل عروض مهرجان قرطاج التي أقيمت فيه في وقت ما بالتوازي مع المسرح الأثري الكبير. وللإشارة فقد نال مركز الموسيقى العربيّة والمتوسّطيّة الجائزة الشرفية التي يسندها المجلس الدولي للموسيقى الراجع بالنظر لليونسكو وهو ما يجعل تغيير شكل القصر يمنع منعا باتا ويتم الاكتفاء فقط ببعض الإضافات الخارجية التي لا تمس المشهد العام. وكانت بلدية سيدي بوسعيد هي التي بادرت مطالبة المعهد الوطني للتراث باقتراح تسجيل القصر وذلك منذ سنة 1988 وتمت الاستجابة للطلب وبذلت الجهود في سبيل تحقيق ذلك.

رياضة

دوري أبطال أوروبا

قرعة النوستالجيا وكلاسيكو رونالدو ضد ميسي!

لندن – «القدس العربي»: عادل منصور:

أسفرت مراسم قرعة دور مجموعات دوري أبطال أوروبا، عن مواجهات من العيار الثقيل، منها مباريات نارية وأخرى عاطفية بامتياز، لكن الأهم والأكثر إثارة وجماهيرية، سيكون صدام المجموعة السابعة، الذي سيجمع بطل إيطاليا في آخر تسع سنوات بالعملاق الكتالوني برشلونة، في قمة ستعيد إلى الأذهان زمن الكلاسيكو الاستثنائي بين ليونيل ميسي وكريستيانو رونالدو، كأول مواجهة بينهما منذ انتقال صاروخ ماديرا إلى يوفنتوس في صيف 2018.

هدية اليويفا للعالم

سواء كانت للكرات الباردة والساخنة دورا في اختيارات القرعة أم لا، يبقى وقوع اليوفي والبارسا في مجموعة واحدة، جنبا إلى جنب مع دينامو كييف الأوكراني وفرينكفاروش المجري، أفضل مكافأة وهدية لعشاق الكرة الجميلة بوجه عام، وعشاق الدون والبرغوث على وجه الخصوص، إذ أنها ستعيد إحياء الصراع الأزلي بين الاثنين بعد سيطرتهما على الألقاب الفردية المرموقة طيلة السنوات الـ12 الماضية، بحصول الأرجنتيني على الكرة الذهبية 6 مرات مقابل 5 مرات لأيقونة البرتغال، وفي الوقت ذاته، ستعطي رسائل مبكرة للأكثر رغبة وجدية في الحصول على «الكرة الذهبية» وجائزة «الأفضل» في العام المقبل، بعد ظروف جائحة كورونا، التي أفسدت حفلة «البالون دور» هذا العام، وما يعطي إشارة مضاعفة للقمة الإيطالية الكتالونية، أنها من نوعية المباريات التي يصعب الاجتهاد فيها، سواء بتوقع النتيجة أو التكهن بالسيناريو، الذي ستسير عليه المباراتان، وذلك بطبيعة الحال، للظروف المشابهة لكلا الفريقين، بوجود مدرب جديد هنا وهناك، بهدف وضع حجر أساس مشروع مستقبلي، بعد الفشل الذريع لماوريسيو ساري في موسمه العابر مع سيدة إيطاليا العجوز، والأمر ذاته بالنسبة لكيكي سيتيين، الذي أنهى رحلته القصيرة مع البلوغرانا، بفضيحة القرن أمام بايرن ميونيخ. الفارق الوحيد، أن الفريق الإسباني، عانى من أزمات بالجملة خارج الملعب، على خلفية نزاع ميسي مع مجلس الإدارة بقيادة الرئيس جوسيب ماريا بارتوميو، بحثا عن الرحيل الأمن، ورغم فشل المحاولة، لتمسك الإدارة ببقاء الهداف التاريخي، بمقايضته بالشرط الجزائي في عقده، وما حدث بعد ذلك، بخروج ميسي عن صمته في حواره الشهير مع موقع (Goal)، لكن المتغيرات الجديدة، تُعطي مؤشرات إلى أن النجم الكبير تراجع خطوة إلى الوراء، والدليل على ذلك، اعتذاره الضمني للمشجعين في أحدث ظهور إعلامي مع صحيفة «سبورت» المقربة من النادي، وهي التصريحات التي لم يتوقف عندها الإعلام، كونها من النوع غير المفضل بالنسبة للصحف والمواقع في عصر «السوشيال ميديا»، أو بالأحرى خالية من الإثارة، على عكس توجه الذوق العام، الذي يبحث دائما عن «التريند».

رسائل ميسي

في كل الأحوال، فهمنا من ميسي، أنه تقريبا، والله أعلم، نادم أو يشعر بعقدة الضمير، لمجرد أنه تسبب في خلع قلوب المشجعين، بالكشف عن رغبته في الرحيل. بجانب ذلك، طلب من عشاق النادي الالتفاف حول الفريق، ليكون القادم أفضل، فيما يمكن تفسيره أنه قد يعيد النظر في فكرة إنهاء مسيرته في مكان آخر غير «كامب نو»، إذا جرت الأمور كما يتم التخطيط لها مع المدرب رونالد كومان، وذلك تزامنا مع بدء التحقيق في صحة الأصوات المطالبة بعزل الرئيس جوسيب ماريا بارتوميو، وأيضا بعد البداية المقنعة، التي استهلها بقيادة المشروع الشاب لاكتساح فياريال برباعية بلا هوادة في 45 دقيقة، ثم بإسقاط ريال بيتيس خارج القواعد بثلاثية نظيفة، وذلك بعشرة لاعبين منذ طرد الفرنسي كليمونت لينغليه مع بداية الشوط الثاني، كثاني مباراة يخرج منها بشباك نظيفة بدون جدار برلين تير شتيغن المصاب، مع كسر عقدة ملعب «بالاديوس»، ذاك الملعب، الذي لم يخرج منه ميسي وباقي الرفاق بأي انتصار منذ 2015، والشيء المهم، أن الفريق يلعب بشكل جيد، بظهور الملامح الأولى لبصمة مدرب الأراضي المنخفضة سابقا، بما في ذلك، الثقة الواضحة على أداء مفاجأة الموسم أنسو فاتي، الذي سجل بمفرده 3 أهداف في أول مباراتين، ومعه العائد بصورة مختلفة فيليب كوتينيو، وكأنه لاعب جديد يرتدي القميص رقم 14، بتجسيد المصطلح الكروي المعروف «الكثافة» في الثلث الأخير من الملعب كما يقول الكتاب، وإذا أردت عزيزي مشجع البلوغرانا تفسير حالة الانفجار التي يبدو عليها فاتي، فتابع تحركات كوتينيو جيدا، وراقب المساحة التي يجدها الصغير الإسباني، بفضل الحل الفردي الذي يقوم به زميله البرازيلي، المتواجد على مسافة قريبة جدا منه في الرواق الأيسر، ناهيك عن الرعب الذي يصدره ليو للمدافعين في العمق والجانب الأيمن. كذلك فرينكي دي يونغ، بدأ يقدم أوراق اعتماده، بتقديم نسخة مماثلة لما كان عليها مع أياكس أمستردام، ومهندس الوسط سيرجيو بوسكيتس، بدأ الموسم بصورة أعادت إلى الأذهان الصورة التي كان عليها مع الرسام أندرياس إنييستا والمايسترو تشافي هيرنانديز، وهناك رغبة واضحة لدى اللاعبين في تحقيق الفوز، وتوزيع جيد لمهام اللاعبين وشخصية مفعمة بالثقة والطاقة داخل الملعب، فقط ينقص مشروع كومان قطعة مختلفة في مركز الظهير الأيمن وجلاد حقيقي لخلافة السفاح لويس سواريز، ليكون على أتم الاستعداد لأول اختبار من العيار الثقيل أمام الهداف التاريخي للميرينغي ومدربه الجديد بيرلو، منها سيكسب ثقة ودعم الجماهير، فيما ستكون أشبه بالمصالحة الأولى بعد ليلة البايرن الظلماء، ومنها أيضا سيعزز مكانه في منصبه، بصرف النظر عن نتائج الانتخابات الرئاسية، ولم لا، قد يقنع ليو بصرف النظر عن فكرة الرحيل.

ثنائية بيرلو ورونالدو

كما أشرنا أعلاه، ظروف اليوفي لا تختلف كثيرا عن برشلونة، هو الآخر لا يحظى برفاهية الاستقرار الفني، بإسناد المهمة لمدرب خاض مباراته الرسمية الأولى أمام سامبدوريا في افتتاح حملة البحث عن لقب الكالتشيو للموسم العاشر على التوالي، وتبعها بأول اختبار معقد أمام روما في عقر داره «الأولمبيكو»، والمفارقة، أنه استكمل الشوط الثاني بعشرة لاعبين بعد إقصاء أدريان رابيو لحصوله على بطاقتين صفراوين، تماما كما حدث مع كومان في مباراته الأولى مع البارسا خارج «كامب نو»، الفارق، أن بيرلو خرج بنقطة والمدرب الهولندي حقق الفوز، لكن من شاهد أداء البيانكونيري، لاحظ ارتفاع نسق الكرة وبعض الإيجابيات، خاصة في تحركات لاعبي الوسط والمهاجمين، والشيء المطمئن بالنسبة لمشجعي النادي، أن المدرب يحظى باحترام وثقة كريستيانو رونالدو، وهذا يرجع في الأساس لكاريزما بيرلو وتاريخه الأسطوري كلاعب، ما يساعده على احتواء الدون في غرفة خلع الملابس، ويجعله يبدو سعيدا، كما أقر بنفسه بعد توقيعه على هدفين في مرمى الذئاب، منهما هدف بالتخصص بتقنية «التحليق في الهواء»، حتى أنه قال: «الفريق أكثر سعادة مع بيرلو، ونحن ما زلنا في بداية الموسم، والشيء الجيد أن الفريق جيد بدنيا، وأرى مستقبلا رائعا لليوفي مع بيرلو، هناك مدرب جديد، لكنني أرى الفريق متحركا، نحن في وضعية جيدة وأرى مستقبلا جيدا للفريق، ومن المبكر الحكم عليه، لكنني أرى الفريق أفضل نعمل ونحن نضحك، وهذا مهم».

ومثل هذه التصريحات، لم يدل بها منذ أيامه الخوالي مع زين الدين زيدان في «سانتياغو بيرنابيو»، وفي الوقت ذاته، تعكس الثقة وحالة التناغم المتبادلة بين رونالدو ومدربه، كأنه عثر على زيزو جديد، يملك من الشخصية والهيبة ما يكفي للسيطرة على غرفة خلع الملابس، ولديه الحلول العبقرية لإحداث الفارق بتغييراته وأفكاره داخل المستطيل الأخضر. وبين هذا وذاك، ضرورة استغلال الدون في مركزه المفضل، كمهاجم صريح، مع تعليمات بادخار جهده قدر المستطاع في الركض وسباق السرعات في مناطق بلا أهمية في الملعب، على عكس ما كان عليه مع ساري، حيث كان يعاني الأمرين في مركزه القديم، كجناح أيسر مهاجم، وهو مركز لا يحترم عمره مع اقترابه من عامه الـ36، وقد ظهر الفارق الجوهري بأثر فوري، بنجاح كريستيانو في تسجيل ثلاثة أهداف في أول مباراتين، وهذا أمر لم يفعله سوى مع العظماء سير أليكس فيرغسون وجوزيه مورينيو وكارلو أنشيلوتي أعوام 2008 و2011 و2014، وهي مواسم استثنائية في مسيرته، الأخير ختمه بأفضل سجل في تاريخه، بتسجيل 61 هدفا من مشاركته في 54 مباراة في مختلف مسابقات موسم 2014–2015، كأقوى إشارة إلى ارتياح وانسجام الدون مع أسلوب بيرلو، ورغم أنه من المبكر جدا الحكم على أداء اليوفي مع مدربه الجديد، كما هو الوضع بالنسبة لكومان مع البارسا، إلا أن البداية المبشرة لكلا المدربين، تعطي على الأقل جرعة تفاؤل لأنصار اليوفي والكتالان، على أن تكون مواجهتا «كامب نو» و«يوفنتوس أرينا»، بداية التعارف الحقيقية لكل مدرب مع مشجعي فريقه، ولو أن الإطراء

بتحول صداقة زين الدين زيدان وقائده السابق في يوفنتوس أنطونيو كونتي، إلى عداء لمدة 90 دقيقة في «جوسيبي مياتزا» ومثلها في «الفريدو دي ستيفانو»، لطموح زيزو في إثبات جديته في العودة للهيمنة على أوروبا بدون كريستيانو رونالدو، بعد معانقة ذات الأذنين 3 مرات متتالية، فيما يتطلع ملك الغرينتا في تحسين سجله على المستوى الأوروبي، بعد خسارة نهائي اليوربا ليغ قبل شهور قليلة، الذي كان أفضل إنجاز أوروبي بالنسبة له، منذ تمرسه على المشاريع الكبرى عام 2011. وفي المواجهة ذاتها العاطفية ظاهريا، سيكون المغربي أشرف حكيمي على موعد مع مواجهة فريقه القديم، بعد بيعه للأفاعي هذا الصيف، رغم تألقه اللافت مع بوروسيا دورتموند على مدار موسمي إعارته في «سيغنال أيدونا بارك». بينما ستكون المجموعة الثامنة التي تضم باريس سان جيرمان ومانشستر يونايتد ولايبزيج وباشاك شهير، شاهدة على مواجهة عدائية جديدة، بين أنخيل دي ماريا ومشجعي الشياطين الحمر، في ثاني صدام، بعد الحرب الباردة بينهما في الموسم قبل الماضي، عندما تفنن اللاعب في استفزاز جمهور ناديه السابق في قلب «أولد ترافورد»، ليلة الفوز على كتيبة أولي غونار سولشاير بهدفين نظيفين في ذهاب دور الـ16 لدوري الأبطال، وذلك قبل أن يرد الفريق الإنكليزي بفوز لا يتكرر كثيرا في العمر بنتيجة 3–1 في «حديقة الأمراء»، الأمر الذي يُنذر بتجدد المناوشات بين راقص التانغو وجمهور اليونايتد، لا سيما بعد استقرار اليوفيا على إعادة الجماهير بنسبة معينة. هناك أيضا مدافع بايرن ميونيخ لوكاس هيرنانديز، هو الآخر سيصطدم بفريقه السابق أتلتيكو مدريد في المجموعة الأولى، التي تضم معهما ريد بول سالزبورغ ولوكوموتيف موسكو، في أول لقاء ضد رفاقه القدامى، منذ انتقاله من «واندا متروبوليتانو» إلى «أليانز آرينا» الصيف الماضي مقابل 90 مليون يورو، كذلك سيكون مهاجم لانتسيو تشيرو إيموبيلي على موعد خاص مع زملائه السابقين في بوروسيا دورتموند، بعدما أوقعتهما القرعة في المجموعة السادسة جنبا إلى جنب مع زينيت سان بطرسبرغ وكلوب بروج، كما تضم القائمة الحارس السنغالي إدوارد ميندي، الذي سيقوده القدر، لمواجهة فريقه السابق رين بعد أسابيع قليلة من عملية انتقاله إلى تشلسي، بوجود الفريقين في المجموعة الخامسة المعقدة برفقة بطل اليوروبا ليغ إشبيلية وكراسنودار، بينما لا توجد هذه الظاهرة في المجموعتين المتبقيتين، وهما الثالثة التي تضم بورتو ومانشستر سيتي وأولمبياكوس ومارسيليا والمجموعة الرابعة الحديدية التي تجمع ليفربول وأياكس وأتالانتا ورابعيهم الوافد الجديد على دوري الأبطال ميتيلاند الدنماركي. مشاهدة ممتعة للجميع ولنا عودة للنقاش في أمور مختلفة مع ضربة بداية البطولة يومي 20 و21 من الشهر الجاري.

رونالدو يعبث بقوانين الطبيعة والفيزياء في جنة كرة القدم!

لندن – «القدس العربي»:

منذ أبريل/ نيسان 2008 وحتى وقتنا هذا، تغيرت أشياء كثيرة في عالمنا، كانت فئة محدودة تعرف وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة «فيسبوك» و«تويتر»، ودخل العالم في أشهر أزمة اقتصادية في العصر الحديث وخرج منها، وتبدل على بريطانيا 4 رؤساء وزراء بعد توني بلير، وانتخب باراك أوباما، كأول رئيس أسمر البشرة يحكم بلاد العم سام في ولايتين، وانفجرت ثورات الربيع العربي، وظهرت دول جديدة على خريطة الكرة الأرضية مثل كوسوفو وجبل طارق وغيرها، وحتى في كرة القدم، اختلت موازين القوى، وانتهاء عصر هيمنة ريال مدريد وبرشلونة على أغلى وأفضل لاعبي العالم، بعد ثورة مانشستر سيتي وباريس سان جيرمان وتعاظم القوة الشرائية لأندية البريميرليغ، وأنت كذلك عزيزي القارئ، إن كنت بدأت العد التنازلي لدخول النصف الثاني من عقد الثلاثينات، فمن رابع المستحيلات أن تكون بنفس الطاقة التي كنت عليها قبل 12 عاما، إلا شخص واحد يعيش معنا على هذا الكوكب لا يعرفه الزمن... يدعى كريستيانو رونالدو.

عودة الرجل الطائر

لا جديد يُذكر ولا قديم يُعاد، للموسم التاسع عشر توالياً، حافظ صاروخ ماديرا على هوايته المفضلة، بهز شباك خصومه في افتتاح الدوري، وكانت البداية بإطلاق رصاصة الرحمة الثالثة في مرمى سامبدوريا، وتبعها بثنائية على طريقته الخاصة، في أول اختبار معُقد للمدرب الجديد أندريا بيرلو أمام روما في وكر الذئاب «الأولمبيكو». صحيح اليوفي عاد إلى بييمونتي بنقطة واحدة، وهناك جوانب سلبية سيحتاج المدرب للعمل عليها لتحسين مشروعه الحديث، لكن هذا لم يمنع الدون من إشباع غريزته، بتحطيم الأرقام الإعجازية، بجانب التسجيل بالتقنية الحصرية المعروفة عنه، كيف لا وبعد آخر هدفين، أعاد صياغة التاريخ بوصوله لهدفه الشخصي رقم 450 في الدوريات الأوروبية الكبرى، وهو أمر لم يفعله أي لاعب منذ اختراع اللعبة أواخر القرن قبل الماضي، وربما لن يفعله أي لاعب آخر في ما تبقى من القرن الحالي، وفعل ذلك، بواقع 88 هدفا من مشاركته في 196 مباراة بقميص مانشستر يونايتد، و311 هدفا في 292 لقاء مع الميرينغي المدريدي، وحتى الآن 55 هدفا في 66 ملحمة في دون ملوك الدفاع، غير أنها المرة الرابعة في مسيرته، يتمكن خلالها من تسجيل ثلاثة أهداف في أول مباراتين، بعدما فعلها مع مانشستر يونايتد في موسمه الأخير، ومع الريال عامي 2011 و2014.

ولا ننسى أن كريستيانو تقمص دور البطل بامتياز في موقعة «الأولمبيكو»، ووضح ذلك بعد طرد الفرنسي أدريان رابيو في منتصف الشوط الثاني والنتيجة تقدم أصحاب الأرض بهدفين لهدف، حيث ظهر الفارق، الذي يُميز رونالدو عن أي لاعب كرة قدم أو رياضي في ريعان شبابه، وبسببه فاق خيال مؤلف أعجوبة براد بيت «بنجامين باتون»، بإيقاف عجلة الزمن، وليس بالسير على عكس عقارب الساعة، والدليل اللوحة الفنية التي رسمها في هدفه الثاني، مكررا ما فعله في نفس الملعب قبل 12 عاما، عندما كان لاعبا في الشياطين الحمر، وتحديدا في صدام ذهاب ربع نهائي الكأس ذات الأذنين، بالارتقاء فوق الأرض بفاصل 2.50 متر، ليواجه عرضية الفتى الموهوب بول سكولز، برأسية أشبه بالمطرقة، الفارق هذه المرة، تغير لون القميص وصاحب العرضية السحرية، كان زميل الأمس في «سانتياغو بيرنابيو» دانيلو، وكما شاهدنا، لم يفوت الفرصة، بقفزة جعلته يبدو وكأنه حلق في الهواء، وظل معلقا ما لا يقل عن ثانية ونصف ثانية بين ثنائي الدفاع برونو بيريز وجانلوكا ماشنيني، ليقصف شباك الحارس المغلوب على أمره أنطونيو ميرانتي، برأسية من على ارتفاع أكثر من مترين ونصف متر عن الأرض، تأكيدا أن العمر مُجرد رقم بالنسبة له، لكن الأهم من ذلك، أنه لا يَحول الخرافات إلى حقيقة على أرض الواقع من فراغ.

كيف يصدم العالم؟

نتذكر في ديسمبر/ كانون الأول الماضي، عندما تصدرت قفزته في سماء ملعب «لوجي فيراريس» عناوين الصحف والمواقع العالمية، لتحليل وفهم ما حدث في الدقيقة 45، وقال عنه المدرب كلاوديو رانييري «رونالدو فعل شيئا تراه في الدوري الأمريكي للمحترفين، لقد ظل في الهواء لمدة ساعة ونصف ساعة»، ربما المحنك الإيطالي يكون قد بالغ في مدحه للنجم البرتغالي، لكن الشيء الثابت، أن رجل معجزة ليستر سيتي وعمره الآن 69 عاما، لم يواجه أو يرى من قبل لاعبا يقفز 2.70 متر عن الأرض، ومن ثم يضرب الكرة بهذه القوة والدقة في أصعب مكان في المرمى، وهذا أشبه بالأمر المستحيل بالنسبة لسكان الكرة الأرضية، بمن فيهم أساطير كرة السلة الامريكية، وذلك استنادا إلى نتائج اختبار الميكانيكية الحيوية، الذي خضع له عام 2011، بعد اكتشاف صفاته ومميزاته، التي كانت تؤهله لمقارعة نجوم دوري المحترفين لكرة السلة الأمريكية، وكشفت النتائج الصادمة لخصومه، أنه مع الركض، يمكنه القفز 2.78 متر، أعلى بـ7 سم عن القفزة المعتادة لنجوم دوري المحترفين الأمريكي، لهذا كان أسطورة مانشستر يونايتد سير أليكس فيرغسون، صادقا مع نفسه، عندما تراجع عن انتقاد باتريس إيفرا، بعد اكتفائه بمشاهدة زميل الأمس، وهو يضرب شباك دي خيا من أعلى نقطة في «مسرح الأحلام» في إياب ثمن نهائي الأبطال 2013، حتى أنه قال: «بين الشوطين قُلت لإيفرا لماذا لا تشترك معه، لكن بعد أن رأيت الإعادة، شعرت بالغباء».

يقول البروفسور نيل سميث الذي أشرف على اختبار رونالدو في العام 2011: «عندما يقفز عاليا، يطوي ركبتيه ورجليه خلفه تحت مؤخرته، هذا له تأثر ارتفاع مؤقت لمركز ثقله، هذا يساعد في إعطاء الانطباع بأنه معلق في الهواء، ويساعده في توجيه الكرة نحو المرمى»، لكن ما يستحق الدراسة بحق والوقوف أمامه، قدرة اللاعب على الصمود طيلة هذه السنوات، ليبدو في 2020 بثوب شاب في النصف الأول من عقد العشرينات وليس على وشك الاحتفال بعيد ميلاده الـ36، وبالنظر إلى السر وراء ذلك، سنجد أنه لا يتعلق فقط بعقليته وطعمه المشروع في وضع اسمه على رأس قائمة عظماء المركولة المجنونة، في ما يعرف بالصراع على لقب «GOAT» (الأفضل في كل العصور) مع غريمه الأزلي ليونيل ميسي، بل أيضا، بتفانيه وعمله الشاق في صالة الألعاب الرياضية، بجانب التزامه بأوقات شبه مقدسة في غرفة العلاج بالتبريد، التي كلفته أكثر من 50 ألف جنيه إسترليني، لمساعدته على التعافي وبناء عضلات ساقه كما يريدها لنفسه، ونفس الأمر بالنسبة لنظامه الغذائي، بتناول من 5 إلى 6 وجبات يوميا، شاملة اللحوم البيضاء والحمراء والخضروات والفواكه اللازمة لتقوية عضلاته، غير أنه يحرص دائما وأبدا على النوم لمدة ثماني ساعات ليلا، وأمور أخرى منها الانضباط والالتزام، لدرجة أنه لا يكتفي أبدا بالتمارين اليومية كباقي اللاعبين. ومن جبروته، أحيانا يتدرب بعد المباريات، كما نقل عنه المغربي مهدي بنعطية، ولنكن محقين، هذه مجرد عناوين فرعية أو شرح مختصر للطريقة التي يحافظ بها كريستيانو على ثروته البدنية، حتى يواصل العبث بقوانين الطبيعة والفيزياء بعمره الحالي.

ماذا بعد؟

رغم ما قيل إن رونالدو لا يجب أندريا بيرلو، بحجة أن الأخير ينحاز للبرغوث في المفاضلة التقليدية بين الثنائي الأفضل عالميا في آخر عقد ونصف عقد، لكن هداف الفريق، أظهر دعمه الكامل لقائد المشروع الجديد، وأثنى كذلك على الأفكار الجديدة التي جاء بها بيرلو، فيما يعكس حالة التناغم الواضحة بين الاثنين، والتي أفصح عنها المدرب في بداية سبتمبر/ أيلول، عندما كشف عن تعاون النجم البرتغالي، بموافقته على الجلوس على مقاعد البدلاء في المباريات المحلية، مقابل ذلك، لا يمنعه من اللعب في دوري أبطال أوروبا أو في المباريات الدولية مع منتخب بلاده، وهذا يرجع لجوع كريستيانو وطمعه في توسيع فارق الأهداف مع ليو في صدارة الهدافين التاريخيين لذات الأذنين، بجانب إصراره على كسر رقم الهداف التاريخي لنتخبات العالم الإيراني علي دائي، بعدما كسر حاجز الـ100 هدف، وهذا يعني أن المدرب الجديد، سيسير على نهج زين الدين زيدان، الذي كان يملك مفاتيح إقناع الدون بالجلوس على مقاعد البدلاء، ليبقى واقفا على قدميه في بطولته المفضلة دوري الأبطال حتى النفس الأخير. ونلاحظ كذلك، أن بيرلو يعتمد على كريستيانو في مركزه المفضل، كمهاجم رقم (9)، وليس كجناح أيسر مهاجم، ذاك المركز، الذي كان يستنزف طاقته ومجهوده مع المدرب السابق ماوريسيو ساري، ما ساعد الهداف التاريخي للملكي على تسجيل ثلاثة أهداف في أول جولتين، وبطبيعة الحال، مع إعطاء الانطباع بأنه معلق في الهواء، ستتضاعف فرص رونالدو في التسجيل، وهذا ما يريده بيرلو وكل عشاق النادي، على أمل أن يقود السيدة العجوز للاحتفاظ بلقب الكالتشيو للموسم الثامن على التوالي، والأهم من ذلك، كسر لعنة دوري الأبطال، فهل يحقق ما جاء لأجله وتنتظر منه الجماهير منذ وصوله من ريال مدريد العام قبل الماضي؟ دعونا ننتظر.

ليفاندوسكي «ماكينة التهديف» عريس أوروبا

لندن – «القدس العربي»:

أخيراً ابتسمت الجوائز الفردية لمهاجم بايرن ميونيخ ومنتخب بولندا روبرت ليفاندوسكي ليصبح «عريس أوروبا»، بفوزه بجائزة أفضل لاعب في القارة العجوز باختيار الاتحاد الأوروبي لكرة القدم (يويفا).

وكان مهاجم البايرن ليفاندوسكي الذي يعتبر «ماكينة» لتسجيل الاهداف، يحلم دائما باحراز جائزة فردية في مسيرته حتى انه لم يتردد في انتقاد ترتيب جائزة الكرة الذهبية مرات عدة بعدما وجد نفسه متخلفا بفارق كبير عن النجمين الارجنتيني ليونيل ميسي والبرتغالي كريستيانو رونالدو مرات عدة. وكان ليفاندوسكي أنهى عام 2016 في المركز السادس عشر في ترتيب الكرة الذهبية التي توج بها رونالدو بطل اوروبا مع منتخب بلاده ووصف ذلك بـ«المهزلة». وقال ليفاندوسكي قبل ان يحرز دوري ابطال اوروبا بفوز فريقه على باريس سان جيرمان 1–صفر في النهائي في 23 اب/اغسطس الماضي: «اذا سألتموني اذا كنت اريد ان اصبح لاعب العام في يوم ما، فالجواب هو نعم بالطبع».

وتوج ليفاندوسكي هدافا للمسابقة القارية الموسم الفائت برصيد 15 هدفا في 10 مباريات بفارق هدفين عن الرقم القياسي المسجل باسم رونالدو (17 هدفا). وبعمر الثانية والثلاثين، كان ليفاندوسكي أبرز لاعبي فريقه في موسم حقق فيه ثلاثية جديدة تاريخية. سجل 34 هدفا في البوندسليغا (دوري)، و15 هدفا على الساحة الأوروبية. لكن ليفاندوسكي الذي اظهر استقرارا في تسجيل الاهداف على صعيد الدوري الالماني (توج هدافا خمس مرات في الموسم السبعة الاخيرة)، وفي دور المجموعات في دوري الابطال، لم يكن على الموعد اطلاقا في المباريات الاقصائية في البطولة القارية على مدى الموسم الاخيرة. فمنذ رباعيته الشهيرة عندما كان يدافع عن الوان بوروسيا دورتموند الالماني في مرمى ريال مدريد الاسباني في الدور نصف النهائي لعام 2013، لم يسجل اي هدف في المباريات الاقصائية حتى الموسم الفائت، ما جعله عرضة للانتقادات بانه يغيب في المباريات الكبيرة لفريقه. لكن ليفاندوسكي اسكت جميع منتقديه الموسم الفائت في الدور الثاني وتحديدا في مواجهة تشلسي الانكليزي حيث سجل ثلاثة اهداف ونجح في اربع تمريرات حاسمة ذهابا وايابا ليخرج فريقه بفوز مزدوج 3–صفر و4–1. وأشاد به قائد منتخب المانيا الفائز بمونديال 1990 لوثر ماثايوس وصاحب الكرة الذهبية التي تمنحها مجلة «فرانس فوتبول» الفرنسية سنويا، وقال بعد المباراة ضد تشلسي: «كان ليفاندوسكي رائعا. انه المهاجم العصري الافضل في العالم كرة القدم العالمية حاليا وهو اثبت ذلك مرة جديدة».

اما في البطولة المجمعة لدوري الابطال التي اقيمت في لشبونة عاصمة البرتغال اعتبارا من الدور ربع النهائي في اب/اغسطس الماضي، فلم يفز ليفاندوسكي بأي مباراة بمفرده، فقد سجل الهدف السادس لفريقه في مرمى برشلونة خلال الفوز التاريخي 8–2، والثالث في مرمى ليون الفرنسي (3–صفر) في نصف النهائي، في حين كان هدف المباراة النهائية الوحيد في مرمى باريس سان جيرمان من توقيع الفرنسي كينغسلي كومان. ولقي ليفاندوسكي الدعم دائما من مسؤولي النادي البافاري ومدربه هانزي فليك.

وقال رئيس بايرن ميونيخ كارل هاينز رومينيغه في تصريحات صحافية في آب/ أغسطس الماضي: «يخوض ليفاندوسكي افضل موسم في مسيرته. كان يستحق جائزة الكرة الذهبية لعام 2020 لو لم يتم الغاؤها» بسبب جائحة كوفيد–19».

وبالاضافة إلى موهبته التهديفية، فان زوجته آنا البطلة السابقة في رياضة الكاراتيه في بلادها، هي مدربته الخاصة، كما تشرف على حميته، لذلك لا يتردد زملاؤه في غرف اللابس باطلاق عليه لقب «الجسد»، نظرا لبنيته الهائلة وجسده المنحوت، اما زوجته فتقول عنه «زوجي ماكينة». ولم يتردد اولیفر كان حارس مرمى بايرن ميونيخ السابق وعضو مجلس الادارة المرشح لخلافة رومينيغه في رئاسة النادي، في الاشادة بهداف الفريق بقوله: «انه مثال يحتذى به من الاحترافية وهذا امر اساسي في المحافظة على اعلى المستويات وهو يتمتع بروح عالية مثل حارس المرمى مانويل نوير أو رونالدو».

خلدون الشيخ

هل تأثرت سوق الانتقالات بكورونا؟

عندما بدأ رعب فيروس كورونا يهدد البشرية في شهر مارس/ آذار الماضي، توقع كثيرون تغير طبيعة العالم عما تعودنا عليه، وان ما قبل كوفيد–19 لن يعود كما كان من بعده، ليعم التشاؤم في كل مناحي الحياة، وفي كل الحقول، بينها كرة القدم، حيث توقع الخبراء أن أبرز التغييرات التي سنلمسها، هو انهيار سوق انتقالات اللاعبين.

اليوم وبعد مرور 7 شهور على التعليمات الصارمة والاغلاق والعزل المنزلي للحد من انتشار هذا الفيروس، وأيضاً مع استمرار انتشار هذا الوباء بتصاعد أعداد المصابين والوفيات مجدداً في كل أنحاء العالم، فان كرة القدم استؤنفت بكل حلتها، ورغم ابتعاد الجماهير عن المدرجات، والذي يؤرق رؤساء الأندية، كونه يجردهم من أهم العناصر الثلاثة للمداخيل، فان سوق الانتقالات ما زالت تعمل بكامل نشاطها وحيويتها وكأن شيئاً لم يكن، رغم تحذيرات الخبراء، وتوقعات المحللين بأن سوق الانتقالات ستفقد على الاقل 30 % من قيمتها، وأن أسعار النجوم واللاعبين قد تهبط إلى النصف، بل ان كثيراً من الأندية لن يستخدم المال لشراء اللاعبين، لان الصيفة الجديدة المحببة ستكون المقايضة والتبادل عوض دفع المال.

ورغم ان سوق الانتقالات الصيفية ستغلق رسمياً غدا الاثنين، الا انه إلى الآن أنفقت أندية البطولات الأوروبية الخمس الكبرى (انكلترا واسبانيا وايطاليا وفرنسا وألمانيا) أكثر من 2.7 مليار جنيه استرليني (نحو 3 مليارات يورو)، بينها أكثر من 1.3 مليار جنيه استرليني أنفقتها اندية الدوري الانكليزي، ما يعد خطوة تفوق المنطق والتوقعات الاقتصادية، التي اعتبرت أن تأثر مداخيل الأندية من حقوق النقل التلفزيوني والحضور الجماهيري إلى الملاعب وعمليات التسويق والترويج، ستقود بشكل حتمي الأندية إلى التريث واعادة رسم استراتيجياتها، ووضع أولويات جديدة لتتماشى مع متطلبات الوضع الجديد، إلى درجة أن أندية مثل توتنهام الانكليزي وضع غالبية موظفيه من غير اللاعبين على المعونة الحكومية، بل ان رئيسه دانيل ليفي اقترض مبلغا بقيمة 750 مليون استرليني لتسيير أعمال النادي خلال هذه الازمة، ومع ذلك نجح مدرب فريقه البرتغالي جوزيه موريينو في اقناعه بضم 7 لاعبين جدد بقيمة أكثر من 90 مليون جنيه استرليني، ليس بينها قيمة النجم الويلزي غاريث بيل القادم من ريال مدريد على سبيل الاعارة. فيما غزا جاره اللندني تشلسي نفسه عن العالم الحقيقي، وكأنه من كوكب آخر، وكسر الرقم القياسي في قيمة الصرف في نافذة واحدة، بانفاقه أكثر من 225 مليون جنيه استرليني على 7 لاعبين جدد، بينهم صاحب الرقم القياسي للنادي كاي هافيرتز (72 مليون استرليني) ولاعبان بالمجان (تياغو سيلفا ومالانغ ساني)، فيما احتفل مانشستر سيتي بانتصاره في محكمة العدل الدولية، بعد اتهامه بكسر قانون العدل المالي، بانفاق نحو 130 مليون جنيه استرليني على المدافعين روبن دياز وناثان آكي والجناح فيران توريس، ليكون المدرب الأسباني بيب غوارديولا قد أنفق 400 مليون جنيه استرليني على مدافعين فقط منذ قدومه إلى السيتي في 2016. ونحن ما زلنا ننتظر اللحظات الاخيرة في يوم الانتقالات، والأعين منصبة على مانشستر يونايتد والذي حاول مرارا ضم نجم بوروسيا دورتموند جادون سانشو بأكثر من 100 مليون استرليني، واذا اخفق فانه من المؤكد سينجز صفقة ضم نجم أو نجمين قبل اغلاق السوق.

وفي ايطاليا، البلد الذي كان الأول والأكثر تأثراً من فيروس كورونا، فان أنديته أنفقت نحو 800 مليون يورو على عقد صفقات جديدة، بينها أكبر صفقة في سوق الانتقالات الحالية في كل أوروبا، بالمبلغ الذي دفعه نابولي، الذي لن يلعب في دوري أبطال أوروبا بل في الدوري الاوروبي، والمقدر بـ76 مليون يورو على مهاجم ليل الفرنسي فيكتور أوسيمين، فيما أنفق الانتر 95 مليون يورو، بينها 42 مليوناً على المغربي أشرف حكيمي من ريال مدريد. فيما جاء الدوري الاسباني ثالثا بنحو 700 مليون يورو، والدوري الفرنسي رابعاً بـ620 مليونا، واخيراً الدوري الألماني، الاكثر منطقية بصرفه نحو 530 مليون يورو فقط.

الآن يتبقى السؤال المهم: هل كرة القدم معزولة عن العالم الواقعي، أم ان الشعبية العالمية الجارفة لهذه اللعبة يحتم استمراريتها مهما كان الثمن؟

@khaldounElcheik

مجتمع

عربيات يحتضن أطفالاً بالتبني رغم التحديات

نساء وعائلات عربية تقدم على تبني واحتضان وكفالة أطفال في بلاد مختلفة رغم عدم تقبل المجتمعات العربية لذلك، كيف تبدو ردود الفعل على ذلك، وما هي التحديات التي تواجه هذه العائلات؟

ففي ظل تغييرات عالمية «قاسية» تعيشها البشرية على الصعيدين السياسي والاجتماعي، ومع الظروف البيئية المرعبة التي «تُوّجت» مع فيروس كورونا تضيّق مساحات العيش. وعلى ضوء ذلك ترتفع أصوات شبابية عربية رافضة لفكرة إنجاب المزيد من الأطفال إلى هذا العالم، وترتكز هذه الأصوات على قلق شرعي حول مصير الأطفال في عالم يزداد المجهول به ثقلاً، كما أن العالم كي يصبح «أفضل» يحتاج إلى تحديد ما للنسل.

لكن من جهة أخرى، هناك من يطرح سؤال لما الإنجاب والعالم مليء بأطفال بلا أهالي ولا عائلات وتحتاج لبيوت دافئة؟ وهو سؤال يُوجه عادة لمن لديهم رغبة بتكوين أسرٍ مع أولاد وبنات. وفي هذا التقرير، لم أناقش الاختلاف بقدر ما أردت أن ألقي الضوء على قصص عائلات عربية وتحديدا على أمهات تبنّت أو احتضنت أطفالاً في بلاد متنوعة، وعلى التحديات الشخصية والعائلية والمجتمعية وعلى المخاوف أيضاً، في سياق لا نسمع فيه قصصا كثيرة عن التبني وقلما نسمع عنها قصصاً إيجابية للأسف.

ردود تنبع من جهل حول التبني

بالنسبة لهناء عموري، (فلسطينية، 37 عاماً)، تبنّت هي وزوجها طفلاً، وقد اتخذا القرار حسب تعبيرها، بعدما «سلما بقرار أنهما لن يخوضا علاجات لإنجاب طفل».

لكن مع قرار التبني، جاءت الأسئلة والمخاوف الذاتية، عن هذا تقول هناء: «كان خوفي أن يقترحوا لي طفلاً عليّ أن أنزعه من امّه، وهذا كان مرفوضا بالنسبة لي حتى لو كانت أسوأ أم في العالم».

أما عن ردود فعل المجتمع، فترى هناء أنّ أغلبها ينبع من جهل وعدم معرفة بالتبني، كسؤال: «من وين جبتيه؟» وتتابع: «بالإضافة إلى أسئلة فضولية مثل هل أعرف امّه؟ ما هي قصّته؟ بالإضافة إلى ردود أفعال تأتي ممن لمست لديه جاهزية للتبني، وهي غالباً أسئلة حول المستقبل، مربوطة لربما بفضول الطفل أن يعرف امّه البيولوجية أو أن يتعرّف عليها، فمثلاً سؤال: إذا تعرّف عليها وأحبها أكثر مني؟ فأجيب لو أنا امّ سيئة لدرجة أن يحب ابني امرأة لا يعرفها أكثر مني، فأنا أستحق ذلك، ولكنه ما زال صغيراً، لربما ستكون هنالك تحديات أكبر بالمدرسة».

كيف سأحكي له بأني لست والدته البيولوجية؟

سميرة (اسم مستعار، أردنية، 45 عاما) تحدثت عن أن مسألة احتضان طفل لم تكن مقبولة كثيراً في الأردن قبل سنوات كثيرة، وبعد مرور 20 سنة على زواجهما، شعرت أنها ترغب بطفل يعطيها محفزاً يومياً للحياة. بالبداية، أراد الزوجان أن يتبنيا طفلاً في كندا، لأن كلاهما يحمل جنسية كندية، لكنها خافت من أن تجد طفلاً لأم مع خلفيات صعبة، ويؤثر ذلك على الطفل في المدى البعيد، وعندما عاد الزوجان إلى الأردن، فحصا مسألة الاحتضان وبدأ بمسار كان سريعاً نوعاً ما، حسب تعبيرها، وحصلا على حضانة طفل.

ترى سميرة أن التحديات ستأتي بالمستقبل. وتضيف: «كيف سأحكي له أني لست والدته البيولوجية؟ كيف سيتقبل هذه الحقيقة؟ هل سيحتفظ بالسرّ أم سيحكي عنه علناً بكل فخر؟».

وتتابع: «لم يأخذ ابني اسمي أو اسم زوجي، لأنه ليس تبنيا إنما احتضانا. لكني أريد أن أجهز نفسي من اليوم لسرد القصة له، بطريقة يفهمها ولا تؤذيه. مسألة الاحتضان غير التبني الممنوع في الإسلام، لأن الطفل عندما يكبر وأمّ كافلة لابنتها. كانت قد بدأت المبادرة من خلال فيديوهات قصيرة عبر صفحتها الشخصية، توضّح ماهية الكفالة، والفرق بينها وبين التبني، ومع الوقت، توسّعت الفكرة إلى مبادرة حاضنة لعائلات كثيرة كافلة لأطفال في مصر. عن هذا تقول يمنى: «هنالك تغييرات كثيرة حصلت في السنوات الأخيرة، كما أن وزارة التضامن الاجتماعي قادرة على أن تتفهم بأن المجتمع المصري يحتاج إلى الكفالة، وأن هنالك أولاد وبنات محتاجون لعائلات تكفلهم، لكن كل شيء يحتاج إلى وقت وقوانين، ونحن بدأنا وقمنا بخطوات مهمّة».

وتتابع: «هدفي أن يكون للأولاد بيوتا دافئة ومجتمعاً يتقبلهم. أنا ابنتي منهم، مهم لي أن تعيش في مجتمع عندما تقول فيه أن أسرتي كافلة لي، أن يحترمها الناس. وهذا لن يحصل بيوم وليلة، إنما خلال سنوات وعن طريقنا نحن العائلات الكافلة. بالماضي لم يخرج أحد ليقول أن ابنته مكفولة، اليوم هناك عائلات كثيرة قادرة أن تقول هذا بصوت عالٍ».

استمراراً للحديث عن المجتمع، وردود أفعاله تجاه الكفالة، تقول يُمنى: «ردود الأفعال اليوم نابعة عن غياب الوعي وغياب المعرفة بأن الكفالة هي شيء جميل. الأمر الثاني هو أن المجتمع يعتبر دائماً أن الأطفال المكفولين قد وُلدوا بطريقة غير شرعية، وأنهم أولاد حرام، كما أن الأسر كانت تخاف من وصمة العار الموجهة لها إن عُرف بكفالتها لطفل، فالمجتمع سيتنمّر عليهم على أنهم فاقدين لشيء ما».

وتتابع: «نظرة المجتمع لأي شخص مختلف هي مسيئة وغير عادلة، مجتمعنا العربي يعتبر المرأة غير المتزوجة، حتى لو وصلت لأعلى مراتب النجاح، ناقصة. لمجتمعاتنا مقاييس نجاح ما لو لم تصلين لها فأنت غير طبيعية. بالعودة إلى مسألة الكفالة، هناك أيضاً لوم على وسائل الإعلام عموماً، لأنها لم تقدّم من خلال المسلسلات نموذجاً جيداً عن الكفالة، كل ما قدّموه كان سيئاً. وبالتالي، كيف سيتعامل المجتمع بشكل إيجابي مع الأطفال المكفولين إن لم يتغيّر كل هذا؟ وإن لم ير نماذج تفيد بأن لا فرق بين ابنتي وبين طفلة وُلدت من رحم أمها». (Dw)

نظرة المجتمع لأي شخص مختلف هي مسيئ

أما يمنى عبد العزيز دحروج (36 عاماً، مصرية ومقيمة في الإمارات) فهي صاحبة ومؤسسة مبادرة «الاحتضان في مصر» أكون حرمة بالنسبة له، وبالتالي كان عليّ أن آخذ هرمونات كي أرضعه، وعندها أصبح ابني بالرضاعة، وبالتالي لن يجرؤ أحد أن يقول لي لماذا أحضنه أو أقبّله عندما يكبر».

لكن المسألة الوحيدة التي تشغل سميرة كثيراً اليوم هي عدم إمكانية منح الطفل الجنسية الكندية، لأن الاحتضان يختلف عن التبني، فلا يمكنها منح اسمها أو اسم زوجها للطفل حسب الشريعة الإسلامية، وبالتالي السلطات الكندية تحتاج لإثبات نسب. وتضيف: «لكني أحارب، آملة أن أعطيه جنسية كندية تحميه بالمستقبل ويجد مكاناً آخر ليعيش فيه، لأني أتوقع أن مجتمعنا لن يرحمه من التنمّر».

البركانة

جبنة موزاريلا

المكوّنات

صدر دجاج
توابل دجاج
بودرة الثوم
بودرة البصل
ملح
فلفل أسمر

للحشوة:
مكعبات صغيرة من صدور الدجاج
بصلة
فلفل أخضر
مكعبات الجزر
بقدونس
مكعبات بطاطا مقلية
باذنجان مقلي

للتزيين:
جبنة مثلثات

طريقة التحضير

نفرم صدر الدجاج جيدا ونتبله بتوابل الدجاج وبودرة الثوم وبودرة البصل والفلفل والملح ندعكه جيدا ونتركه.

نجهز الحشوة التي هي عبارة عن مكعبات الدجاج المطبوخة مع بصل وفلفل أخضر ونضيف عليها مكعبات الجزر ومعدنوس وبعدها مكعبات بطاطا مقلية وبادنجان مقلي.

نضع الدجاج المفروم والمتبل على حوافي كوب الشاي الصغير من الداخل ونترك منتصفه فارغا ثم نعبئه بالحشوة. ننزل الدجاج والحشوة التي صارت في داخله الآن بأناة في مصفاة على قدر فيه ماء مغلي ونغطي المصفاة من الأعلى لكي تستوي الطبخة من خلال البخار.

للتزيين يمكن وضع قطعة جبنة مثلثات أو موزاريلا.

يمكنكم المساهمة في طبق الاسبوع بارسال وصفاتكم الخاصة إلى ايميل:
recipe@alquds.co.uk

الفطور الصحي للتخلص من الاكتئاب

يعاني ملايين الأشخاص في العالم من الاكتئاب لأسباب مختلفة. ويرى خبراء التغذية أن الأكل الصحي خصوصاً في وجبة الفطور من شأنه المساعدة على التخلص من الاكتئاب. فما هي المواد الغذائية اللازمة التي يجب أن تضمنها وجبة الفطور؟

يلجأ غالبية المصابين بالاكتئاب إلى زيارة طبيب نفسي أو تناول أدوية مضادة له. غير أن ممارسة الرياضة والتأمل كاليوغا والمشي في الطبيعة يمكن أن تؤثر على صحتنا النفسية بشكل إيجابي. إضافة إلى ذلك يؤكد الكثير من خبراء التغذية على أهمية الوجبات الغذائية للتخلص من الاكتئاب، نقلاً عن موقع «بيزنيس إنسايدر» الألماني.

وحسب خبيرة التغذية الألمانية ميليسا برونيتي، التي تجري أبحاثاً حول العلاقة بين النظام الغذائي والصحة العقلية والنفسية، فإن النظام الغذائي السليم هو مفتاح الصحة النفسية. وترى الخبيرة أن وجبة الفطور الصحيحة لا تساعد فقط على بداية اليوم بصحة جسدية جيدة بل يشمل ذلك الجانب العقلي والنفسي. فدماغنا يحتاج لمواد غذائية تساعد على ذلك، خاصة تلك التي تحتوي على الأحماض الدهنية غير المشبعة والأحماض الأمينية وفيتامين ب، وفيتامين د، إضافة إلى المعادن كالزنك والحديد والمغنيسيوم. وغياب هذه العناصر في وجبة الفطور يكون له تأثير سلبي على الصحة العقلية للفرد وبعدها على الصحة النفسية.

وتنصح بتناول وجبة فطور صحية خصوصا للأشخاص الذين يعانون من الاكتئاب. ومن بين وجبات الإفطار: البيض لأنه غني بالأحماض الأمينية، والوجبات الغنية بفيتامين د والأحماض الدهنية، والخبز الكامل والأفوكادو. وفي هذا الصدد تقول: «الدماغ يتكون من 60 في المئة من الدهون ويجب علينا تناول الدهون في الأكل. والأفوكادو غني بالتربتوفان (حمض أميني) كما يحتوي على حمض الفوليك وأوميغا 3» كما جاء في موقع «بيزنيس إنسايدر».

وينصح الخبراء الأشخاص الذين يعانون من الاكتئاب باتباع النظام الغذائي المتوسطي. ووفقا لدراسة حديثة نشرتها دار نشر «بيومد سنترال» البريطانية المتخصصة في العلوم والتكنولوجيا والطب، فإن تحليل عادات الأكل لـ150 ألف شخص لمدة عشر سنوات، كشفت أن مخاطر الإصابة بالاكتئاب كانت أقل لدى الأشخاص الذين يتبعون النظام الغذائي المتوسطي.

والسبب هو أن النظام الغذائي لدول حوض البحر المتوسط يعتمد في جزء كبير منه على الأغذية النباتية التي تحتوي على عناصر غذائية هامة للصحة. وينصح بتناول وجبتين اضافيتين خفيفتين قبل وجبة الغذاء ووجبة العشاء.

الحمل

تحظى باحترام الآخرين ولكن لن تجد من يهتم بعواطفك

الثور

تتميز اليوم بكفاءتك في العمل

الجوزاء

خذ وقتك الكافي حتى تتابع ما يحدث اليوم بالتفصيل

السرطان

ابتعد عن جو الإحباط والفشل والغضب

الاسد

أنت قلق جدا اليوم بشأن مستقبلك

العذراء

تحتاج أن تركز طاقتك وقوتك على شيء واقعي

الميزان

اليوم يدعوك للتفكير في مستقبلك المهني

العقرب

تميل إلى الفصل بين العمل والترفيه والمرح

القوس

تعجبك رومانسية الشريك، لكن الحذر واجب

الجدي

تحاول ممارسة أنشطة رياضية لزيادة لياقتك البدنية

الدلو

تضيع طاقتك اليوم في أمور لا فائدة منها

الحوت

تشعر بالملل ولكن تخشى الاعتراف بذلك

جديد الطب

كورونا تحوّر وأصبح أكثر قدرة على العدوى

قارن باحثون أمريكيون الموجة الثانية من فيروس كورونا بموجته الأولى وخرجوا بنتائج مثيرة: تحور الفيروس السبب لمرض كوفيد–19 أدى إلى أنه أصبح قدرة على العدوى. ماذا يعني ذلك للمصابين بأمراض سابقة؟

يبدو أن فيروس كورونا قد تحوّر بالفعل، وبتحوره ذلك يصبح أكثر قدرة على العدوى. هذا ما خرج به باحثون من مشفى هيوستن ميثوديست في الولايات المتحدة الأمريكية. قام الباحثون بمقارنة عينات مختلفة من فترات زمنية متباعدة. النتيجة كانت العثور على عدد أكبر من الخلايا المعدية في أجسام مصابي الموجة الثانية.

الدراسة هذه هي واحدة من الكثير من الدراسات التي خرجب بنتيجة أن الفيروس المتحور هو أكثر قدرة على العدوى. ومنها دراسة بريطانية في مدينة شيفيلد التي أكدت أن المريض المصاب بفيروس كورونا المتحور يحمل عدداً أكبر من الخلايا المعدية في جسمه، بيد أن شدة المرض الناتج عن الفيروس المتحور لم تزداد ضراوة.

وعزا الباحثون السبب وراء قدرة الفيروس المتحور على العدوى بشكل أكبر إلى زيادة عدد الفيروسات في الحنجرة، ما يعني أن الفيروس المتحور أصبح أكثر خطورة على من يطلق عليهم المجموعة المعرضة أكثر من غيرها للخطر، أي من لديهم أمراض كالسكري والقلب وغيرها.

وأوضح الدكتور جورج–كريستيان تسن، مدير مركز النظافة والوقاية من العدوى في مجموعة مخابر التحاليل الطبية المنتشرة في أنحاء ألمانيا، للتلفزيون الألماني الخاص RTL على ضرورة الالتزام بقواعد التباعد الاجتماعي وارتداء الكمامة واستخدام المعقمات.

هذا ولم تتأثر عملية إيجاد لقاح ضد فيروس كورونا بالتحور، ويعود ذلك إلى أن الفيروس وشكله لم يتغيرا بشكل كامل بعد التحور، حسب ما يرى الخبير الألماني، والذي يضيف أن فيروس كورونا يتغير بشكل أبطئ من تغير الفيروس المسبب للانفلونزا.

الأعداء الثلاثة: ما خطورة تزامن كورونا مع الزكام والأنفلونزا؟

وكأن كوفيد–19 وحده لا يكفي! فموجة الزكام والأنفلونزا السنوية ستبدأ قريبا مع حلول فصلي الخريف والشتاء. فما الذي سيحدث عندما يجتمع الأعداء الثلاثة في آن واحد؟ وكيف ينبغي مواجهتهم؟

ففي وقت يقترب العلماء من تحقيق نجاح في البحوث المرتبطة بفيروس كورونا، تلوح في الأفق مشاكل أخرى جديدة. فالخريف والشتاء على الأبواب، وهو ما يعني حلول موسم نزلات البرد والزكام السنوي الذي سوف يتزامن هذه المرة مع انتشار فيروس كورونا، وهو ما سيعني بروز حقل جديد أمام البحوث العلمية يتمثل دراسة تداعيات تزامن عدة أمراض معدية.

هناك تكهنات كثيرة حول ما يمكن توقعه وما الذي سيحصل، وهذا يصعب الترتيبات للاستعداد بما يكفي لمواجهة الفصل البارد. فالسعال والزكام والبحة في الصوت أثناء الخريف والشتاء ليست ظواهر جديدة، وحتى نزلة البرد هي جزء من فصل السنة البارد. ويمكن أخذ لقاح ضد هذه الإصابات، و«إذا ظهرت عوارض زكام على أشخاص ملقحين ضد الأنفلونزا، فإن ذلك لا يرتبط باحتمال كبير بالأنفلونزا» كما يقول جيرار كراوزه من مركز هيلمهولتس لبحوث العدوى في مدينة براونشفايغ الألمانية.

لقاح ضد الزكام

اللقاح ضد الزكام قد يبين عوارض المرض إما زكام عادي أو كوفيد–19. لكن هل هذا اللقاح له أيضا تأثير على سلوك الفيروس الخطير والجديد؟ الأمر ليس واضحا بعد.

وفي كل فصل شتاء تكون قاعات الانتظار عند الأطباء مليئة بأشخاص يسعلون وينشقون والغالبية منهم تكون لديهم جرثومة قوية في جهاز التنفس. وحتى كورونا يخضع للتقلبات حسب الفصل السنوي، كما هي المعلومات المتوفرة لحد الآن. ففي الشتاء تشعر فيروسات البرد بأجواء إيجابية، لأن الهواء البارد والجاف يقدمان ظروفا مثالية لانتشارها. كما أنه من الصعب تهوية الغرف بانتظام وبشكل مكثف. وسيكون ذلك إجراء اضافيا لمواجهة الفيروس وتقييد الخطر الناجم عن الهواء.

وحسب معطيات معهد روبرت كوخ للأمراض المعدية وغير المعدية يُصاب في ألمانيا في كل سنة بين خمسة و20 في المئة من السكان بالزكام. وحتى هذا الفيروس قد يكون خطيرا ويمكن أن يؤدي إلى الموت. وفي كل سنة وجب تكييف اللقاح ضد الزكام مع فيروسات الأنفلونزا، لأنها تتحور. لكن على الأقل يوجد لقاح. ومن المستبعد أن يتوفر اللقاح ضد كورونا حتى حلول موجة الزكام المقبلة، كما تجمع غالبية الخبراء.

رزنامة مزدوجة

وعلى هذا النحو تنقص التجربة العملية في التعامل الآني كل من كوفيد–19 والزكام. لكن هذا يترك مجالا للتكهنات بأن الزكام سيسهل الإصابة بفيروس كورونا، فـ«حالة الضعف العام لنظام المناعة بسبب الإصابة بالأنفلونزا قد ترفع لدى المريض قابلية استقبال عدوى فيروس كورونا» كما يشرح كراوزه.

لكن ما هي خطورة هذه العدوى المزدوجة؟ هذا الأمر لا يزال غير معروف، كما أنه لا يُعرف ما الذي يمكن فعله ضد ذلك. وحسب كراوزه يجب علينا أن نتهيأ لمواجهة الأمراض الثلاثة. وفي حالة نزلة برد ينبغي ملازمة السرير، إضافة إلى شرب الشاي الساخن ومواد ضد السعال. وضد الزكام يمكن أخذ لقاح، لكن كيف التعامل مع كوفيد–19؟ ويأمل المرء، إذا ما أصيب بالعدوى، بأن تكون إصابته خفيفة، وينصح كالعادة بالالتزام بقواعد النظافة.

النظافة ثم النظافة

وإجراءات النظافة التي نحاول من خلالها السيطرة جزئيا على كوفيد–19 تنطبق أيضا على نزلة البرد. فكلما كان الاتصال بفيروسات أقل، كلما كانت الفرصة أكبر بأن نبقى سليمين من الإصابة لعدوى أو أنها تمر بشكل خفيف. ومن بين تلك الإجراءات في النظافة العامة يكون غسل اليدين المتكرر واستخدام الكمامة؛ «اجراءات النظافة المختلفة ضد كوفيد–19 ستقلص أيضا انتشار الأنفلونزا. فكلا الأثرين هما تقريبا عكسيان» كما قال كراوزه الذي أضاف: «ربما سنكشف عن آليات مناعية إضافية». ويبقى الأمل قائما، لأن فصل الزكام لم يبدأ بعد. (dw)

منوعات

قضية الإنتاج السينمائي أزمة عربية بطلها الممول الأجنبي

عاطف سالم

كمال القاضي

لم يعد الحديث عن أزمة الإنتاج السينمائي مقصوراً فقط على الدول العربية الفقيرة، لكن المشكلة امتدت آثارها للدول القادرة اقتصادياً بما فيها الدول النفطية التي بدأت فيها صناعة السينما منذ تاريخ قريب، ومع ذلك باتت تئن من أزمات الإنتاج المتوالية نتيجة الركود في سوق التوزيع وإغلاق المنافذ أمام الفيلم العربي لدواع سياسية وأمنية وخلافات دبلوماسية وغير ذلك.

ما كان يخص دولة أو دولتين في المنطقة العربية صار مُنسحباً على كافة الدول، ومن ثم تعقدت المشكلة ولم يعد من سبيل لإنقاذ الصناعة السينمائية غير إيجاد حلول جوهرية تعيد التوازن مره أخرى لعملية الإنتاج وتفتح منافذ التوزيع مجدداً أمام المُنتج الفني لترويج الحركة التجارية وتنشيطها لتعود إلى سابق عهدها.

الشواهد كلها تؤكد أن هناك عوامل مستجدة أدت إلى تفاقم الأزمة من بينها اهتمام بعض الفضائيات العربية بإنتاج الأعمال الدرامية التلفزيونية وقيامها بضخ كمية من الأموال في هذا الاتجاه، ما ترتب عليه انسحاب الكتلة الجماهيرية من محبي السينما إلى الشاشة الصغيرة، وبناءً علية تراجع معدل الإقبال على دور العرض السينمائية وانخفضت الإيرادات بشكل ملحوظ، فضلاً عن التأثر السلبي الواضح للجهات الإنتاجية الرسمية في معظم الدول العربية بدخول المحطات الفضائية الخاصة سوق الإنتاج التلفزيوني وتركيزها على المسلسلات متعددة الأجزاء والإنفاق عليها بسخاء لحساب جهات معينة تشجع على استمرار الظاهرة الدرامية وتدعم الفكرة السلبية الرامية إلى سحب البساط من تحت أقدام السينما، لتظل الرؤى الفنية خاضعة لوجهات نظر بعينها تسعى لإعادة تشكيل الخريطة الثقافية العربية بمقاييس جديدة.

ولأن السينما تتمتع بقدر كبير من الاستقلال في اختيار موضوعاتها وقضاياها ولها من الحرية ما يؤهلها لمناقشة الأزمات والمشكلات في ضوء الوعي المتراكم لديها عبر سنوات طويلة، فقد أدى ذلك إلى استهدافها والعمل على إضعافها كونها مُستعصية على التطويع والانقياد للموجات الطارئة من التلون والتغير على مستوى الشكل والمضمون، ويأبى صُناعها أن يتحولوا إلى دُمى في أيدي الدخلاء من المستثمرين في صناعة الأدب والثقافة والفن.

وتعود مسألة التركيز على السينما ومحاولة توجيهها إلى خصوصيتها وطبيعة جمهورها الذي يتميز أغلبه بالذكاء والإلمام بكافة المحاور الفكرية، إضافة إلى تمتعه بقدر وفير من الثقافة السياسية، الأمر الذي يجعله نقطة محورية في حسابات التشكيل الجديد وإعادة رسم الخريطة وفق مقاييس عالية يهتم أصحابها بتفريغ العقلية العربية من المحتوى الثقافي والإبداعي الراقي ليعاد ملأها بالسطحي والتافه والمستورد من الأفكار الهدامة.

ولا يمكن فصل هذه المحاولات عن مخططات الدول الكبرى وعلى رأسها أمريكا، الساعية إلى تحقيق حُلم التطبيع الثقافي والفني مع بعض الدول العربية لصالح إسرائيل، ليتسنى لها إذابة الرواسب التاريخية وفرض منهجية جديدة مفادها إعادة النظر في مسألة الصراع العربي الإسرائيلي وإقناع الشعوب بالتخلي عن ثوابتها الوطنية، وهو المخطط الذي دخل حيز التنفيذ بالفعل بترحيب من بعض الدول البترولية الصغيرة التي تجتهد في أن يكون لها تاريخاً ثقافياً وإبداعياً تباهي به الأمم!

وعلى هذه الخلفية بدأت منذ فترة حزمة من النشاطات المثيرة للتساؤل، يأتي على رأسها مبادرات التمويل الأجنبي للأفلام ذات الطبيعة الخاصة ومنح الجوائز لكل ما هو مُلتبس ومغاير من الإبداعات الفنية الغريبة، وتشجيع المهرجانات النوعية التي تغازل الغرب وتطرح الأفكار الثقافية غير التقليدية في إطارات مختلفة تشير في ظاهرها إلى تيارات الفن الحداثي وعلاقتها بنهضة الشعوب في ربط تعسفي مُريب بين مفهوم الحداثة وتمييع الهوية كهدف استراتيجي لجهات التمويل التي تنفذ مشروعاتها عبر مؤسسات غامضة.

وقد بدأت مبادرات التمويل الأجنبي قبل سنوات قليلة في القاهرة بأشكال متعددة بإيهام التثقيف والتواصل مع الآخر، وتحت هذه الدعاوى جاءت فكرة المهرجانات والاحتفاليات وكرنفالات السينما العربية التي طافت معظم العالم العربي لتبشر بالثقافة النوعية الجديدة وتُفعل الدور السينمائي داخل السياقات المدروسة، تبعاً لسياسة الراعي الرسمي للأنشطة وتمويلاتها وأطرها.

وبرغم توقف هذه النوعية من المهرجانات، إلا أن التمويل لا يزال مستمراً بشكل غير مُعلن وفي حدود ضيقة لأسباب، قد تعود إلى ضخامة ما تم إنفاقه على مدار السنوات الماضية بغير حدوث نتائج مُرضية أدت إلى تغيير الخُطة، أو أن ما حدث كان مجرد مرحلة تمهيدية جرى خلالها حرث التربة الثقافية قبل زراعتها بما يلائم المشروع الثقافي – التطبيعي – التوسعي – الأجنبي – الكبير!

وثّقت الأغنيات الفولكلورية وما تختزنه

نائلة عزّام لبّس «لبّست» الأبيض لعرايس الجليل

بيروت ـ «القدس العربي»: زهرة مرعي

نائلة عزّام لبّس من فلسطين، ارتبط اسمها بأبحاث ومؤلفات عن التراث الغنائي والشعبي. كل من يعمل على تجديد الغناء التراثي الفلسطيني لابد سيعود إليها لتشرف على صوابية مساره، هذا إن كان من سكّان «البلاد». وإن كان من فلسطينيي الشتات فكتبها خير دليل ومعلم، كما ساهمت وسائط التواصل الحديثة بفك العزلة، وحلّ بعض العقد.

عناوين كتبها تثير الفرحة في النفوس كمثل «لبّسْتك الأبيض: عرايس الجليل بعدسة فوتو نبيل». وكذلك اسطوانة «قريمشة يا قريمشة» التي يرغب بسماعها الكبار قبل الصغار نظراً لرقتها، وحجم المعلومات الاجتماعية القديمة التي تتضمنها عن فلسطين وشعبها. إلى كتاب «أغانينا النصراوية: شامية وجاي الشام» بالغلاف التشكيلي الجميل.

شغف الحوار مع نائلة لبّس تلاقى مع قبول سريع من قبلها. هنا التفاصيل:

○ متى شغلك التراث الفلسطيني من غناء وعادات وتقاليد؟ وكيف اعتبرت حفظه واجباً وطنياً؟

● سؤال يعيدني إلى طفولتي، فقد ولدت بعد احتلال فلسطين سنة 1948. هذا الاحتلال خسّر والدي عمله في شركة بترول العراق، وعاد إلى الناصرة ليعمل بالتصوير. كنت المولود الأوسط بين ثلاثة أبناء وتميزت بكثرة الإزعاج. لهذا تمّ تصديري إلى «دار ستي» في يافة الناصرة حيث عشت طفولتي المبكرة. «دار سيدي فلاّحين» وهناك تشبعت بتلك الحياة الغنية ولا لحظت كيف يحللون الأمور ويتعاملون معها، إلى غير ذلك من الممارسات الفلاحية التي عشتها يومياً. عندما كبرت عملت في التدريس في مدرسة قرية «عين ماهل على جبل سيخ قريباً من الناصرة». وهناك نظمت سنة 1983 أسبوعا للتراث الشعبي، حيث تم تخصيص كل يوم من أيامه بنوع محدد من التراث، منها الغناء والدبكة والزجل وغيرها. وفي تلك البلدة المشهورة بتراثها الشعبي بدأت أملم تلك الأغنيات بهدف تنفيذ الأسبوع التراثي. ومع انتهاء هذه المهمة وجدت بين يدي ثروة من الغناء أضفتها لما أحفظه من طفولتي ومطلع شبابي. وهكذا بدأت تلك المرحلة المهمة من حياتي من دون أن أخطط لها بل جاءت بالصدفة وحفّزتها خلفيتي الفلاّحية التي عشتها في طفولتي.

○ هل طال اهتمامك كافة أرجاء فلسطين التاريخية؟

● بل طال اهتمامي المثلث والجليل من فلسطين ولم أصل إلى النقب، الذي يشكل حالة خاصة قائمة بذاتها. يختلف النقب كل الاختلاف من حيث اللهجة واللحن على صعيد الأغنية الفولكلورية.

○ هل كانت بين يديك مادة مكتوبة؟

● سعيت للحصول على كل ما كتب حول الفولكلور، فأنا مُدرِّسة موسيقى، والفولكلور هواية ممارستها. وتمكنت من جمع كتب كثيرة لكتّاب محليين فلسطينيين أو غيرهم. قرأت وتابعت بمفردي، فكافة أبحاثي أتت نتيجة مجهود شخصي ولا صلة له بالجانب الأكاديمي.

○ وما هو دور المثـافهة أي روايـة الحكاية في حفظ تراث فلسطين كون بعضه تعرض للمصادرة أو الإبادة على يد المحتل؟

● في الواقع لم تكن لدينا سوى المشافهة ولسببين. الأول أن تراثنا لم يكن مكتوباً قبل سنة 1948. ففلسطين قبل الاحتلال لم تكن قد دونت فولكلورها، بل بقي محفوظاً في ذاكرة الجيل الذي عايش تلك المرحلة السابقة. هذا الجيل زودنا بالقدر الممكن من الأغنيات ومن الحكايات. شخصياً لم أتخصص بالحكايات، بل

من عادات وتاريخ وجغرافيا تقلق المحتل

و«قريمشة يا قريمشة» خلّدت مفرداتنا العتيقة

الراحلة الدكتورة حنان جرايصي أولت هذا الجانب كبير اهتمامها واختارته عنواناً لتخصصها الأكاديمي العالي. بالنسبة لي دخولي إلى موضوع الحكاية الشعبية جاء في إطار خدمة مهمتي الأساسية وهي الأغنية الشعبية.

○ ثمة نظرية تقول بان المرأة هي الأمينة على التراث ونقله عبر الأجيال. هل أكد عملك المتخصص ذلك أم نفاه؟

● السبب في تلك النظرية أننا حيال عالمين من الغناء الشعبي، هما عالم الغناء الرجالي وعالم الغناء النسائي. لم يؤد الرجل الأغنية، بل أدى نمطاً من الغناء. في حين أدت المرأة الأغنية التي لها بداية ونهاية. وتلك الأغنيات قائمة على «موتيف» واحد في كافة أبياتها، وفيها نسمع الرجل يتحدث عن موضوعات كما موضوعات المرأة، إنما هي تفتقد إلى التركيز الموجود في الأغنية النسائية. وبعد التجربة الأولى التي قمت بها اكتشفت أن تراثنا يكتنز تاريخاً وجغرافيا في آن. لقد ذكرت الأغنيات النسائية التاريخ والجغرافيا في فلسطين منذ عقود بعيدة جداً. كنت أذهل وأنا بصدد تفسير وتحليل «الغناوية» نتيجة حجم المعلومات التي تتضمنها عن البلدان، والمواقع والقلاع والأسوار التي كانت ترد في تلك الأغنية. وعندما تؤدي المرأة الأغنية، فهي تساهم بترسيخ مادتها في الأذهـان. وهكذا تتعلم الأجيال التاريخ والجغرافيا من دون قصد. خلال أبحاثي وجدت أن أهم موضوعات الفولكلور هي تلك البعيدة عن العامل المادي من أيادي وطعام وشراب. الفولكلور يتألف من «فول وكلور» أي الفكر الشعبي. هذا الفولكلور طرح كل ما له صلة بالفكر، من الحكايات والأمثال الشعبية والحزازير وإلى آخره. يأتي الغناء في مكان مهم من الفولكلور، فهو متداول جداً.

○ هل باتت أبحاثك موثقة ومحفوظة في كتب؟

● بالتأكيد. أصدرت إلى سنة 2019 ستة أبحاث أحدها يختص بالأغنيات الفولكلورية في الأعراس. والثاني «أغانينا النصراوية: شامية وجاي من الشام». وكتاب عن «الأمومة والطفولة في الفولكلور الفلسطيني». وبناء على المعطيات التي تتضمنها الأغنيات لاحظت حجم حضور الحسد في الأغنيات النسائية، وكـان لـي بحث بعنوان «الحسـد في ممارساتنا الشعبية: طرق الوقاية والعلاج». وألّفت كتاباً للأطفال بعنوان «قريمشة يا قريمشة». هو كتاب مبني في كامل التعبيرات التي يتضمنها التراث. والهدف كان إطلاع الأطفال على مفردات كانت في حياتنا سابقاً ومنها «شوبك، وطابونة، وطبلية وسـواهـا». تلك التعابير الفولكلورية صفتها في أغنيات للأطفال ولحنتها شقيقتي، وتضمنها كتاب يحمل النصوص ومرفق بسي دي. وبالتأكيد كافة مؤلفاتي مرفقة بـ «سي ديز» يضم الأغنيات الواردة في الكتاب. أما اصداري الأحدث ولد سنة 2019 فحمل عنوان «لبّسْتك الأبيض: عرايس الجليل بعدسة فوتو نبيل» وفيه بينت المتغيرات التي طرأت على ملابس العروس بين الخمسينيات والثمانينيات من القرن الماضي. وما هي المؤثرات الاجتماعية والإقتصادية التي ساهمت بهذا التغيير.

○ هل كانت طريق البحث سالكة وآمنة في ظل الاحتلال؟

● لم تعترضني مشكلة في موضوع جمع التراث، خاصة وأني تكفلت بتكاليف أبحاثي وإصدارها في كتب. حتى الآن ترفض حكومة الاحتلال إضافة أي من موضوعاتي التراثية إلى المنهاج الأكاديمي، خاصة وأنها تتضمن التاريخ والجغرافيا كما سبق وذكرت. فالاحتلال يتحاشى تلك الموضوعات لأنها كفولكلور تتضمن أسماء القرى والبلدات قبل تهويدها. وكذلك تذكر تلك الأغنيات تاريخاً عن تلك البلدات وسكانها.

○ إلى أي حد تمكن الاحتـلال من إقناع الآخرين بنسب ما سرقه من تراث فلسطين للشعب اليهودي؟

● لا أعتقد أنه يستطيع. ليس للمحتل أن يفلح حين يفتح مطعماً للفلافل في الولايات المتحدة الأمريكية ويقول للناس أنه طعام يهودي. نسب المحتلون لهم الطعام الفلسطيني والزي التراثي الفلسطيني ولم ينجحوا. تطريز «الستات» الفلسطينيات للثوب هو الذي يفرض نفسه، ولن يكون إسرائيليا بمجرد «أكم من وحدة لبست أكم من فستان وصار إسرائيليا».

○ هل من تضارب في المعلومات لدى الباحثين في التراث الفلسطيني؟

● تضارب المعلومات لدى الباحثين يفرض نفسه. وهنا أقصد أمرين. أولهما في كيفية تداولنا للأغنية الفولكلورية؟ هل نتركها على حالها، أم ندخلها في مجال التوزيع وتحسين الأداء والموسيقى والذي يُعرف بالتوزيع الموسيقي؟ هل نلبسها الثوب الحضاري أم نتركها على حالها؟ النقاش دائم حول هذا الأمر. والأمر الثاني الذي أقصده تفسير المعاني. كي أصل لتفسير أمر معين أطرح الكثير من الأسئلة، وبالنهاية الإجابة التي أجدها مناسبة أعتمدها. فنحن لا نملك قاموساً يفسّر تلك المعاني، باستثناء القاموس الذي أنجزه الراحل عبد اللطيف البرغوتي «التعابير الشعبية الفلسطينية» مع العلم أن ذاك المجلد الوحيد لم يتضمن كافة ما نتداوله من تعابير شعبية.

○ كم أنت راضية عن الأصوات التي تغني التراث الفلسطيني في الداخل والشتات؟

● راضية كل الرضى عن أي صوت يغني الفولكلور وأرحب به. عندما أقدم محاضرات وفي كافة أنحاء «البلاد» وفي الخارج من الأردن إلى الدانمارك، وفي الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، وفيها جميعها كان الرابط بين الجميع الأغنية. والأغنيات نوعان، النوع الذي أقول فيه الجملة كمؤدية ويرددها الحضور من بعدي. والنوع الثاني وهي الأغنيات الفلاحية التي يعرفها الجميع كما «الروزانا وهلالالية، ورمانك يا حبيبي». كل من يغني الفولكلور مُرحب به، إنما قمة الرقي في تقديم الفولكلور تمثل في البرنامج الذي أنجزته مع المطربة المتألقة والفلسطينية المبدعة دلال أبو آمنة. قدمنا معاً معظم أنواع الغناء، من أغنيات الطفولة، والأعراس وغيرها. وتمت مشْرحتها جميعها من خلال حوار مشترك بيننا ومن ثم كانت تقدم الأغنية. إنها أغنيات غاية في الروعة.

○ هل اشتغلت بغير التدريس؟

● درّست الموسيقى على مدى 30 سنة، وتقاعدت منذ 24 سنة. كنت معلمة موسيقى لأني نشأت في بيت موسيقي خاص ومميز، وكنّا فرقة موسيقية من الأب والأم والأبناء الخمسة. مارست الكتابة الصحافية الأسبوعية على مدار 13 سنة، واستمر ذلك إلى حين سقوط بغداد فسقط معها قلمي. إنها مهمتي في الحياة.

○ ما الذي يشغلك ولم تهتدِ إليه من التراث بعد؟

● إنه أكثر بكثير مما كتبته، رغم أني كتبت مئات الموضوعات. فالنبع الفيّاض الذي اسمه تراثنا الشعبي لا ينضب. لدينا كم هائل من الأغنيات، فأغاني «المهاهاه» لا تعد ولا تحصى وفي كتبي حوالي 600 منها. لا تزال هناك الكثير من الأغنيات في «كمام النسوان» لكنني في الحقيقة تعبت من الترحال والسفر بين البلدان لمقابلة سيدة هنا أو هناك للحصول على الأغنيات التي في حوزتها. ومن ثم تدوينها وكتابتها وتحليلها. انشغلت كثيراً بالأغنيات وما زال، واعتبرها اختصاصي. أما سواها من الحسد وضربة العين، ولماذا الحلاقة للعريس، ولماذا نجلّي العروس؟ جميعها مواضيع منبثقة من قلب الأغنيات، فتعاملت معها بقدر ما سمح به وقتي ووضعي الاجتماعي. فأنا ربة أسرة وأم لثلاثة أبناء، ورحل زوجي قبل سنتين. وبقدر ما سمح لي الوقت كتبت وحللت في موضوعات التراث الشعبي.

○ وهل لديك نشاط اجتماعي وإنساني في مدينة الناصرة؟

● نعم. أنا عضو في لجنة تدير حضانة في مدينة الناصرة تتبع لمجلس الطائفة الأرثوذكسية. ومن مهماتي زيارة تلك الحضانة مرّة كل أسبوع لتقديم حكاية شعبية للأطفال، وتعليمهم أغنية فولكلورية. وهذه التجربة حققت نجاحاً باهراً. ومن ثم وجدت نفسي أخصص وقتاً لحضانات أخرى رغم ندرته.

القدس العربي الاسبوعي
تأسست عام 1989
الناشر: مؤسسة «القدس العربي» للنشر والاعلان

رئيسة التحرير:
سناء العاول
Editor In Chief
Sana Aloul

Al-Quds Al-Arabi Weekly Independent Newspaper

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

المقر الرئيسي (لندن):
2nd FLOOR 26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
هاتف: 0208-741 8008 +44 (6 خطوط) * فاكس: 0208-741 8902 +44
مكتب القاهرة: 43 شارع قصر النيل ـ الطابق الأول ـ شقة رقم (2)
* هاتف/فاكس: 25282918 (202)
مكتب المغرب: 8 زنقة المرج شقة 6 حسان ـ الرباط
* هاتف/ فاكس: 23152 5377 00212
مكتب عمان: شارع الملكة رانيا مجمع عكاوي
الطابق الرابع رقم 408 * هاتف/فاكس: 5066089 (009626)

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و750 دولارا أمريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد

Head Office (London): 2nd FLOOR
26-28 HAMMERSMITH GROVE . LONDON W6 7HA England
Tel: +44 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: + 44 0208-741 8902
Email: alquds@alquds.co.uk * www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St. First Floor.
Flat No (2) * Tel/Fax: (202) 25282918
Morocco Office: 8 Elmerj Street Flat No.6
Hassam - Rabat - Morocco * Tel/Fax: 00212 5377 23152
Amman Office: Queen Rania St. Akkawi Complex
4th Floor/ No 408 * Tel/Fax: (009626) 5066089

Published In London. New York and Frankfurt
by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe. Middle East.
North Africa and North America.

القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI
الاسبوعي
السنة الثانية والثلاثون العدد 10045 الأحد 4 تشرين الأول (اكتوبر) 2020 – 16 صفر 1442 هـ
Volume 32 - Issue 10045 Sunday 4 October 2020

نجمة التلفزيون صوفيا فيرغارا أعلى الممثلات أجرا في العالم

تصدّرت الممثلة صوفيا فيرغارا نجمة مسلسل «مودرن فاميلي» التلفزيوني قائمة الممثلات الأعلى أجرا في العالم لسنة 2020 متخطية نجمات سينمائيات في ظل تراجع إيرادات ممثلي هوليوود جراء جائحة كوفيد–19 على ما أظهر التصنيف السنوي الذي نشرته مجلة «فوربس» الجمعة.

فمع 43 مليون دولار جنتها خلال اثني عشر شهرا، تصدرت صوفيا فيرغارا (صاحبة المركز الثاني في التصنيف العام الماضي) القائمة متقدمة على أنجيلينا جولي (35 مليون دولار) وغال غادوت (31 مليون دولار).

وتتقاضى صوفيا فيرغارا 500 ألف دولار عن كل حلقة من «مودرن فاميلي» وهي باتت عضوا في لجنة تحكيم برنامج «أميريكاز غت تالنت» الذي يدرّ عليها «ما لا يقل عن عشرة ملايين دولار في الموسم الواحد» من دون احتساب العقود الإعلانية المختلفة، وفق «فوربس».

وقد تسببت جائحة كوفيد–19 بتوقف أكثرية الإنتاجات الضخمة في هوليوود منذ الربيع، ما انعكس تراجعا كبيرا في إيرادات النجوم إذ يتقاضى هؤلاء في العادة نسبة من الأرباح التي تحققها أعمالهم في صالات السينما، إضافة إلى الأجور.

وأتاح إغلاق صالات السينما بسبب الوباء وغياب الأفلام الجديدة، لنجمات أخريات من الشاشة الصغيرة دخول تصنيف الممثلات الأعلى أجرا. وبينهن إيلين بومبيو من مسلسل «غريز أناتومي» في المركز الثامن مع 19 مليون دولار، وإليزابيث موس من مسلسل «ذي هاندمايدز تايل» في المرتبة التاسعة مع 16 مليون دولار.

وباستثناء أنجيلينا جولي وإميلي بلانت (المركز السادس مع 22.5 مليون دولار) جنت جميع الممثلات في التصنيف إيراداتهن من التلفزيون وخدمات الفيديو على الطلب، بمن فيهن النجمة السينمائية المخضرمة ميريل ستريب (المركز الخامس مع 24 مليون دولار).

وفي المحصلة، جنت الممثلات العشر الأعلى أجرا في العالم سنة 2020 ما مجموعه 254 مليون دولار (من حزيران/يونيو 2019 إلى حزيران/يونيو 2020) وهو مبلغ يعكس تراجعا بنسبة 20 في المئة مقارنة بالعام السابق.

وعلى سبيل المقارنة، جنى الممثلون العشرة الأعلى أجرا في الفترة عينها إيرادات تفوق الضعف، مع ما يقرب من 550 مليون دولار. وقد نال متصدر التصنيف، دواين «ذي روك» جونسون، عائدات مقدارها 87.5 مليون دولار وفق التصنيف الذي نشرته «فوربس» الشهر الماضي. (أ ف ب)

نسخه شيخ الخطاطين الأتراك: اكتشاف مثنوي «ليلى والمجنون» في برلين

اكتشفت الأكاديمية التركية غولر دوغان آفربك، وجود مثنوي «ليلى والمجنون» في العاصمة الألمانية برلين، وهي مخطوطة مكتوبة بيد الخطاط التركي حمد الله حمدي (1436–1520م) الذي يُعتبر مؤسس مدرسة الخط التركية.

وتعود مخطوطة «ليلى والمجنون» لحمد الله حمدي، الابن الأصغر لآق شمس الدين، معلم السلطان محمد الفاتح.

وعثرت الأكاديمية التركية غولر دوغان آفربك، عضو هيئة التدريس بجامعة إسطنبول مدنيت، على المثنوي، أثناء قيامها بأبحاث في المكتبة الوطنية الألمانية العام الماضي.

والشعر المثنوي هو ضرب من الشعر تتساوى فيه قوافي مصراعي كل بيت، بعكس الشعر التقليدي الذي تتطابق فيه قوافي أبيات القصيدة بأكملها.

آفربك تحدثت عن قصة عثورها على المخطوط بالقول «هذه الأعمال تحفظ في صناديق كرتونية دون استخدام أي أحماض، وعندما قلبت أولى صفحات العمل رأيت عبارة ليلى والمجنون بخط الشيخ، مكتوبة بخط اليد».

وأوضحت: «هذا شيء يعرفه المتخصصون في تاريخ فن الخط، فعندما يُقال خط الشيخ يُقصد به الشيخ حمد الله لا غيره».

ولفتت إلى أن الخطاط محمد أزوتشاي، قال إن «مستوى الخط وخصائصه الفنية تثبت أنه خط الشيخ حمد الله».

وأشارت إلى أن «الشيخ حمد الله هو مؤسس مدرسة الخط التركي وهو خطاط القرن الخامس عشر، والخطاطون الكبار الذين أتوا من بعده ساروا على دربه».

وعن أهمية الكشف عن هذا العمل، قالت آفربك، قالت «يصادف هذا العام الذكرى الـ500 لوفاة الشيخ حمد الله، لم نستطع أن نحضر العمل نفسه إلى إسطنبول إلا أنه تم نشر نسخة طبق الأصل منه الشهر الجاري بواسطة رئاسة هيئة الآثار الأدبية التركية». وأوضحت أن العمل تمت كتابته بين عامي 1499–1500 في إسطنبول، ويُعتقد أن أحدا ما طلب من الشيخ حمد الله إعادة نسخه.

وأشارت إلى أنه «من الواضح أن العمل كتب ليتم تقديمه إلى السلطان، أو إلى أحد كبار رجال الدولة، أي من المحتمل أن يكون العمل أُعد من أجل القصر، إلا أنه غير معروف ما إذا كان تم تقديمه إلى القصر أم لا». وفيما يخص عودة العمل إلى تركيا، قالت آفربك، إنه لا توجد أي سجلات تشير إلى أن العمل تم تسجيله في أي من المكاتب الوطنية، وفي تلك الحالة يجب إحضاره إلى تركيا.

وعن وصول العمل إلى يومنا هذا بحالة جيدة، أردفت: «من الواضح أن الأشخاص الذين تناقلوا العمل، كانوا يعرفون أنه للشيخ حمد الله، ولذلك كانوا يحافظون عليه جيداً جداً».

وذكرت آفربك أن «الكتاب يتألف من 240 صفحة، وأنه دخل مكتبة الدولة ببرلين عام 1980 ولكن غير معروف كيف وصل إلى ألمانيا، وكيف دخل مكتبة الدولة». (الاناضول)